مواقف وأحداث أمرية

ترجمة واعداد وتنظيم
سيفي سيفي النعيمي
1996/1994

الطبعة الأولى
شهر الجلال 154 بديع
نيسان 1997م

الاهــداء

أقدم هذا العمل المتواضع هدية بسيطة الى كل أحبائنا الأعزاء في اليمن السعيد (إن شاء الله)، والى كل حبيب ناطق باللغة العربية والى أفراد عائلتي. عسى أن يقبل مني.

واذا ما ورد خطأ او تقصير فأرجو المعذرة.

مع شكري واحترامي للسيدين جعفر عبود فليجه، ورضوان سيفي لما بذلاه من مساعدة قيمة في تنقيح وتصحيح هذا الكتاب.

المترجم

ملاحظة

ان كل ما جاء من أحاديث ونصوص عن حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء وبقية الشخصيات المقدسة، ما هي الا تراجم غير حرفية لما تفضلوا به.

المقدمة

إن هذه القصص الأمرية القصيرة ما هي إلا مواقف وأحداث عاشها الأحباء، ولم تكن كتابتها إلا صدى جواب رغبة "بيت العدل الأعظم الإلهي" في تعريف جزء يسير من حياة حضرة "بهاءالله" مؤسس الشريعة البهائية، وحياة مُبيّن آثاره المعصوم حضرة "عبدالبهاء" وعدد من أوائل الأصحاب والشهداء الأبرار.

جُمعت هذه القصص - المواقف - من مصادر مختلفة ونُظمت ليسهل تناولها لجميع الأعزاء الأحباء، عسى أن تضيف صفحة جديدة لمعلوماتهم الأمرية الواسعة.

يحتوي هذا الكتاب، عدداً من القصص. المواقف عن حياة حضرة "بهاءالله" وشخصيته الفريدة، لتقديمها للأجيال الأعزّاء، باعتبارها الرافد الأول والمهم لإنارة حياة البشرية جمعاء من المؤمنين وغيرهم. مدركين تماما ان اشعاعات حضرته الروحانية هي السبب المباشر لوجود العالم ومجريات أموره، وهي دليل فريد يُقتدي به على مَرّ العصور والاجيال.

لكن من المؤكد أن كل عمل أدبي لا يصل حد الكمال، وأن لكل منا قدرته المحدودة في العمل والإبداع. وكل الأمل أن تحفّز هذه القصص - المواقف - الأحباء الأعزاء أصحاب الأقلام المبدعة على شحذ أقلامهم وهممهم وأفكارهم لعطاء أفضل وأكمل.

ولإخراج هذا الكتاب بشكل أوسع وأدق أوردنا فيه مواقف وأحداث من واقع حياة أولئك المؤمنين الابطال الشجعان الذين خطوا بدمائهم تاريخ صدق وحقيقة الديانة البهائية، وهي بالتأكيد تشكل حجر زاوية في تنوير الأفكار وزيادة الايمان والاخلاص في ايصال رسالة حضرة "بهاءالله" الى جميع البشر والتفاني في خدمة البشرية جمعاء من كل ملة ومذهب.

سيفي سيفي
اليمن / صنعاء
1994 - 1996

بهاءالله

الرسالة البيضاء

وصل أحد الزوار اليزديين البسطاء من ايران لأول مرة الى الأرض المقدسة، ولم يكن قد شاهد أو تشرف بحضرة بهاءالله من قبل. وعندما دخل البيت المبارك ووجد العديد من المؤمنين الأحباء جالسين جنباً الى جنب دون تمييز. فقال وهو يلتفت يمينا وشمالا:

الله أبهى.. أيكم حضرة بهاءالله؟

وحال سماع حضرة بهاءالله سؤال الرجل، نهض فاتحا ذراعيه ليعانقه ويرحب به بحرارة ولطف.

أنهى الرجل بعد عدة أيام زيارته لعكاء، ثم يمم وجهه شطر ايران.

ومضت الأيام والشهور.. وكالعادة وصلت من ايران مجموعة من رسائل الأحباء والتماساتهم الى فلسطين، فتفضل حضرة الجمال المبارك يخاطب خادمه وهو يشير لرسالة معينة:

"افتح رسالة الحبيب اليزدي أولا".

تناول الخادم الرسالة وفتحها، فإذا بها ورقة بيضاء خالية.

فقال متعجبا: مولاي انها رسالة بيضاء!!

ابتسم الجمال المبارك، وتفضل:

"ان لغة القلوب لا تحتاج الى خطوط وكتابة".

ثم انزل لوحا لصديقه اليزدي ملأها بالرحمة والبركة جوابا لرسالته البيضاء.

***

انتبـه

حكى السيد طاهر مالميري عن تجربة حدثت له عندما كان في زيارة الأرض الأقدس في زمن حضرة بهاءالله، قال:

"كنت في عكاء متشرفا بالمحضر المبارك حينما أشار لي حضرته بالجلوس، ثم أشار لخادمه بتقديم الشاي لي. فتقدم الخادم مني وهو يحمل كوب الشاي. فرفعت يدي وعيني لاستلامه. فإذا بعيني تقع فجأة على محيا الجمال المبارك نتيجة هذه الحركة. وفورا وفي نفس اللحظة وجدت نفسي أحلّق في عالم الخيال الجميل الذي لا يمكن وصفه أبدا، وغمرني احساس عجيب من الفرح والسرور لم أشعر به من قبل اطلاقا. كان مزيج من السعادة والهناء الروحاني الذي لا يخطر على بال بشر. وفقدت احساسي بالوقت، وانقطعت عن هذا العالم مغمور في بحار النور. لم أشعر بشيء الا عند سماعي صوته المبارك وهو يتفضل:

"انتبه... لقد دلقت الشاي على ملابسك، عليك بالمحافظة عليها والاعتناء بها، لأنك ستحتاجها كثيرا حتى وصولك إيران".

انتبهت لنفسي، فاذا بكوب الشاي منقلب في حجري والصحن فارغا في يدي وملابسي مبتلة بالشاي الذي لم أشعر بحرارته.

بعد انتهاء الزيارة وخروجي من محضره المبارك، فكرت كثيرا في مغزى كلامه ومعنى اشارته لي بخصوص ملابسي ووجوب محافظتي عليها. خاصة وأنا أمتلك الكثير منها. لكني لم استطع الوصول الى أي تفسير لذلك.

بعد فترة، وفي طريق عودتي الى ايران، تعرضت قافلتنا لهجوم مجموعة من قطاع الطرق. فسلبوني كل شيء ولم يتركوا لي سوى الملابس التي أشار حضرته بالمحافظة عليها. حينها أدركت معنى كلامه.

المتسلل الصغير

قال أحد المؤمنين يروي ذكريات طفولته:

في الرابعة أو الخامسة من عمري كنت أذهب وعائلتي بصحبة العائلة المباركة في كل يوم جمعة الى قصر البهجة للتشرف بلقاء الجمال المبارك.

وذات يوم من أيام الصيف الحارة، نام جميع من في البيت بعد تناول الغداء، إلا أنا. عندها خرجت من الغرفة متسللا الى الدور العلوي دون أن ينتبه أحد، وبدأت أمر على الغرف أفتشها واحدة بعد الأخرى حتى مررت أمام باب غرفة مفتوح، لقد كانت غرفة المؤونة، فدخلتها واتجهت فورا صوب مخزن القند والسكر، ورحت أملأ يدي وأفرغها في فمي.. توقفت قليلا وتلفت يسارا ويمينا للتأكد من وحدتي، وباطمئناني من خلو المكان، عدت لأغرف بكلتا يدي مرة ثانية.

عندما شعرت بالاكتفاء، استدرت بهدوء للخروج قبل أن ينتبه لغيابي من في البيت. فاذا بي وجهاً لوجه مع حضرة بهاءالله وهو يقف أمامي وسط باب الغرفة يسد طريقي بهيكله المبارك. فارتبكت ولم أعرف ماذا أفعل، وخفت كثيرا وتجمدت في مكاني. فتقدم مني بهدوء ولطف وعلى محياه اللطيف ابتسامة لا يمكن وصفها، وبحركة أبوية حنونة قادني لوسط الغرفة حيث توجد علبة حلوى مطروحة على الطاولة. فتناولها – وانا صامت أنظر اليه – ثم فتحها والتقط بعض الحلوى منها وقدمها لي. فأخذت ما قدمه وأنا في غاية السرور. وتفضل يخاطبني:

"من الواضح انك تحب الحلوى كثيرا.. متع نفسك".

في الحقيقة... اني أتذكر هذه الحادثة كلما احتجت الى السكر.

***

اشارة حازمة

قال طباخ حضرة بهاءالله، حسين آشجي، يصف حادثة وقعت أمامه داخل قلعة عكاء في أول أيام ورود الجمال المبارك اليها، قال:

كان مطبخي يقع أمام غرفة حضرة بهاءالله، حيث كان باستطاعتي رؤية وسماع كل ما يدور في محضره.

ذات يوم أذن حضرة بهاءالله لمفتي مدينة عكاء الشيخ علي ميري بزيارته والتشرف بمحضره، نتيجة لالتماس من حضرة عبدالبهاء.

جاء الرجل وهو يحمل مجموعة من الأسئلة يطلب أجوبة وحلولا لها. فاصطحبه حضرة المولى الى المحضر المبارك، وأشار له بالجلوس على أحد الكراسي داخل الغرفة، ثم انسحب حضرة عبدالبهاء بمنتهى الخضوع والخشوع ليقف عند باب الغرفة بخشوع وصمت.

بعد أن طرح المفتي أسئلته، شرع لسان العظمة بالكلام والإجابة، وخلال الحديث، بدت من الزائر علامة للشروع في الكلام والمقاطعة. فما كان من حضرة المولى، إلا أن أشار له بالتزام الصمت والهدوء وعدم مقاطعة البيانات المباركة. كانت إشارة حازمة سهل على الزائر فهمها، لكنه شعر بالخجل والانزعاج وهو يغادر المكان بصحبة حضرة المولى نحو بوابة السجن، وأحس ان كرامته قد جرحت. خاصة وأنه رجل محترم من جميع سكان المدينة، وغالبا ما ينحنون ليقبلوا يده وهو يسير في شوارعها وبين أزقتها دليل احترامهم له.

لم يمض وقت طويل على هذه الحادثة حتى أدرك المفتي بعد عدة لقاءات، أنه لم يكن سوى قطرة صغيرة أمام بحر علوم الشاب

حضرة عبدالبهاء. فنمت بينهما علاقة صداقة حميمة، واعتاد الزيارة والتشرف وطلب المشورة. وكثيرا ما شوهد وهو يسير خلف حضرة عبدالبهاء تاركا مسافة عدة خطوات دليل الاحترام والتقدير. وازداد أيضا تعلق المفتي بحضرة بهاءالله كثيرا.

وذات مرة ذكر أنه كلما وقف للصلاة، كان جلال وعظمة هيكل حضرة بهاءالله يظهر أمامه.

***

محبـة

كان هنالك شابان مؤمنان يحمل كلاهما اسم "محمد"، وكانا يكنّان لحضرة بهاءالله حباً جماً ليس له حدود. قال محمد لصديقه:

ان الجمال المبارك سجين داخل أسوار عكاء، ولا يمكنه الخروج لرؤية الريف والخضرة والطبيعة. فلمَ لا نقوم نحن بنقلها اليه؟

استحسن محمد الفكرة، وشرعا بتنفيذها على الفور، فحمل كلا واحد منهما شتلتين من ورد النرجس المفضل لدى الجمال المبارك. وغادرا ايران قاصدين أرض فلسطين. وراحا يقطعان البراري والوديان والصحارى والجبال، يدخلون قرية ويخرجون من مدينة. ورغم طول الطريق وبعد المسافة، إلا أن الشابين أصرا على تجاوز كل تلك العقبات والصعاب والمحافظة على الورد. وعندما كانا يردان عيون أو جداول الماء، يقومان بسقي الشتلات أولا، ثم يشربان بعدها، خوفا عليها من الموت عطشا.

ويوما بعد يوم، بدأت شتلات الورد تنمو وتكبر وتظهر عليها براعم وأوراد زكية الرائحة.

لقد مضت شهور عديدة على سفرهما الطويل.

أخيرا، وبعد طول سفر، لاح لهما من بعيد منظر مدينة عكاء، فتسارعت واشتدت ضربات قلبيهما واحمرت وجنتاهما المكسوة بوعثاء السفر. وها هما يقتربان من مقام مولاهما المبارك، وراحت فكرة التشرف تتبلور أمام عينيهما وتهتز لها روحيهما، مما أبعد عنهما كل إحساس بالتعب والارهاق، ولتظهر عليهما بدلا منها آثار القلق والاستفسار!

كيف هي صحة الجمال المبارك؟

هل سيعجبه الورد؟

هل سيرضى بهذه الهدية المتواضعة؟

ماذا سيقول لنا؟

وأخذا يسرعان الخطى شوقا لمعرفة الاجابة.

كان منظرهما جميلا يجلب أنظار الناس من حولهما وهما يحملان شتلات الورد ويطوفان شوارع عكا وأزقتها.

وفي النهاية.. دنت لحظات اللقاء التي بقيا يحلمان بها طويلا، ولم يستيقضا منها الا وهما في المحضر المبارك.

وعندما قدما زهورهما، كانا يبكيان بحرقة، ويقولان:

جعلنا فداك.

عانق الجمال المبارك هذين الشابين عنوان الصبر والمحبة والاخلاص، وتقبّل بمحبة وامتنان هديتهما واستحسنها بعدما شاهد بجانبه تلك الأزهار البيضاء الجميلة وهو داخل السجن.

***

درويش محمد

مرّ الجمال المبارك ذات يوم باحدى قرى جبل سركلو في منطقة كردستان قرب مدينة السليمانية في شمال العراق، فشاهد صبيا صغيرا يجلس وحيدا على صخرة وهو يبكي بحرقة.

فاقترب حضرته منه ليلاطفه، ويسأله عن سبب بكائه.

أجاب الصبي: سيدي.. ان أستاذي قد عاقبني بسبب رداءة خطي. وبما انني لا أملك نموذجا للخط استنسخ عنه، لذلك فانني لا أعرف كيف أحسّن خطي وأجمّله حسب أمر معلمي، كما اني لا أجرؤ على العودة الى المدرسة خوفا من تكرار العقاب.

فتفضل حضرته بطريقته الأبوية الجميلة، قائلا:

"لا تبكِ.. سأعلمك كيف تحسن خطك وتجعله جميلا".

بعد أن نسخ حضرته عدة مخطوطات، فرح الصبي بهذه المساعدة، واستنسخ عنها باعتناء. وحينما أخذها للمدرسة وقدّمها لمعلمه، استغرب المعلم بشدة لجمال الخط وانتبه لفحوى معاني كلمات المخطوطات الفريدة النادرة وشكلها الرائع. فاستفسر من تلميذه عن مصدرها وكاتبها. فأجابه بأن الدرويش محمد الايراني الساكن في أحد كهوف جبل سركلو، قد خطها له.

ومن يومها بدأت تنتشر في تلك المناطق حكايات وأحاديث وقصص عن وجود رجل على هيئة درويش يسكن الجبال، وربما يكون رسولا أو نبيا أو إماماً! وأصبح سكان تلك المناطق يحترمون حضرته احتراما كبيرا ويواظبون على زيارته، ووصلت شهرته الى مناطق بعيدة.

***

السلطان عبد العزيز

إن ظلم ناصر الدين شاه للجمال المبارك وأمره بنفي حضرته من طهران (أرض الطاء) الى بغداد (مدينة الله)، كان سببه حادثة محاولة الاعتداء على حياة الشاه التي قامت بها مجموعة من الشباب البابيين المتهورين. أما ظلم السلطان عبد العزيز لحضرته، فلم يكن له سبب أو مبرر مقبول.

كان هذا السلطان أكثر الملوك قسوة على حضرة بهاءالله بعد ناصر الدين شاه. فهو الذي نفاه من بغداد الى استنبول (المدينة الكبيرة) ومنها، نفاه مرة أخرى الى أدرنة (أرض السر)، ثم نفاه في النهاية الى عكاء (السجن الأعظم) ليبقى هناك طوال حياته. كما انه هو القائل:

"على بهاءالله قضاء تمام حياته في السجن حتى مغادرته هذه الأرض". لقد كان الله شاهدا على جميع مظالمه.

ذات يوم، حدثت حركة عصيان داخل الدولة العثمانية - والجمال المبارك ما زال في سجن عكاء – ونجحت الحركة، وألقي القبض على السلطان عبد العزيز وأودع السجن، واحتل العرش مكانه ظالم آخر هو السلطان عبد الحميد المشهور بالظلم والقسوة. بينما عومل السلطان اللئيم القديم أسوأ معاملة، ورمي في السجن في زنزانة انفرادية وحيدا لدرجة أنه توسل كل الطرق الممكنة من زنزانته الضيقة للحصول على كمية طعام أكثر، فما خصص له، لا يكاد يسد جوعه ولا يشبعه. كما طالب السماح بنقله الى زنزانة أوسع، فمساحة التي يحتلها كانت صغيرة جدا لا تسمح بالحركة داخلها.

إلا أن طلباته رفضت بشدة، ولزم عليه البقاء في ذلك المكان القذر الضيق لبقية حياته، حتى هلك جوعا وعطشا وذلة وإهانة. أما

الحرس، فكانوا قساة جلفين يزودونه بالماء والطعام كلما تذكروا ذلك وتوفر لديهم الوقت.

ذات مرة، صادف ان مضت عدة أيام دون أن يتذكر الحرس سجينهم. ثم قام أحدهم ليذهب اليه حتى يتأكد من وجوده في زنزانته، فاذا به يجده جثة هامدة متعفنة.

كان قد مات السلطان اللئيم منذ عدة أيام دون أن ينتبه اليه الحرس، وكانت رائحته النتنة قد ملأت المكان. وبهذه الطريقة المهينة هلك ذلك الملك الذي تمتع بكل تلك العظمة والأبهة والسلطة التامة، وكان نصيبه في النهاية، نفس الظلم والحقد والكراهية التي واجه بها الجمال المبارك "مظلوم العالم".

لقد أمضى بقية حياته كلها في السجن حتى الممات، بعدما أمر بايداع حضرة بهاءالله في السجن المؤبد طوال حياته.

***

ناصر الدين شاه

كان هذا الملك من أشد الملوك معارضة لحضرة بهاءالله وحضرة الباب، فهو الذي أمر بقتل المؤمنين من البابيين والبهائيين بأبشع الوسائل والسبل، وهو الذي هتك الحرمات وسفك الدماء ونهب أموال أتباع حضرة بهاءالله، حتى لقبّه الجمال المبارك بـ "أمير الظالمين" لكثرة أعماله الشيطانية القبيحة.

وهو من أودع حضرة بهاءالله في غياهب سجن "سياه شال" المظلم المنتن، وتركه فيه مظلوما أكثر من أربع شهور بين القتلة واللصوص وقطاع الطرق والمجرمين.

وهو الذي أمر بنفيه وعائلته المباركة الى بغداد في برد الشتاء القارس وجراحه لم تشف بعد. وفي زمانه وتحت سمعه وبصره أستشهد الرسول الشاب المبجل، حضرة الأعلى بكامل المظلومية.

وفي عهده زادت وكثرت غارات الغوغاء والعوام والقتلة الوحشيين ضد البابيين والبهائيين الأبرياء وعوائلهم. وفي زمانه حدثت المجازر الرهيبة ضد المؤمنين الجدد، ولم يتحرك لايقافها، وبقي يتفرج ببلاده وغفلة على نتائجها، حتى راح ضحيتها آلاف الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ الذين لا حول لهم ولا قوة.

وفي عهده حدثت مجازر قلعة طبرسي ونيريز وزنجان، واستشهد حضرة القدوس بأبشع صورة، وحضرة الطاهرة، وجناب ملا حسين بشروئي، وجناب بديع، وشهداء طهران السبعة.

لقد أمهل حضرة بهاءالله، ناصر الدين شاه خمسين سنة حتى يميز الحق من الباطل والصواب من الخطأ والبريء من المذنب، لكنه بقي غافلا ولم ينتبه.

مرت سِنين حكم هذا الظالم ثقيلة طويلة على نفوس المؤمنين جميعا. وجاءت المناسبة الخمسون لاعتلائه كرسي العرش. فأمر بتهيئة العباد وتزيين البلاد لاستقبال هذه المناسبة الفريدة وإقامة الاحتفالات والولائم.

والحقيقة ان المرء ليندهش من حكمة الله وصبره على معاقبة هذا الظالم!

ألم يكن هو نفس الحاكم الذي اضطهد وعذب وقتل البابيين والبهائيين!

ألم يلقبه حضرة بهاءالله بأمير الظالمين!

كيف اذن لم يقتص منه بسرعة وأمهله كل هذه السنين الطويلة ليعيش ويقترف كل تلك المظالم؟

لقد منحه الله الفرصة الكافية تماما لاكتشافه الحقيقة ومعرفتها بنفسه، لكنه بقي كما هو منذ حادثة الشبان الثلاثة الحمقى البابيين الذين تعرضوا له وحاولوا الاعتداء على حياته. ومنذ ذلك الحين، بقي يعتقد ان البابيين يعملون ضد حكومته ودولته ويتحينون الفرص للانقضاض عليه. وبقي رجال الدين وحاشيته يؤججون نار هذه الفكرة كلما خبت وضعفت في نفسه.

في ليلة من ليالي عمره الأخيرة، رأى في منامه كابوسا رهيبا. شاهد قصره ينهار على رأسه وهو جالس فوق عرشه. ففزع من فراشه مذعورا، وأرسل من فوره في طلب مفسري الأحلام الذين وصلوا على عجل والذعر والاضطراب يلفهم. وبعد جلوسهم وسماعهم تفاصيل الحلم، أدركوا أن مليكهم يعيش آخر أيام حكمه ومنيته قريبة جدا، لكن أحدا منهم لم يجرؤ على البوح بحقيقة تفسير الحلم. وبدلا من ذلك، قالوا له: "يا صاحب الجلالة، ليس هنالك شيء مهم. من الممكن أن تواجهك بعض المشاكل قريبا، فلا تزعج نفسك بهذه الأحلام".

إلا أن تلك التهدئة والطمأنة لم تساعدا في تخفيف حدة اضطرابه، وفهم أن هنالك شيئا خطيرا غامضا سيحدث له. فأمر بعدم السماح لأي شخص بدخول مسجد مرقد شاه عبد العظيم فجر اليوم التالي حيث سيؤدي صلاته. وقال: انه سيدعو الله في صلاته غدا، ليزيل عنه المتاعب ويمنحه الراحة والاطمئنان.

عند أول ضياء فجر اليوم الجديد، ظهر ناصر الدين شاه بهيئته المهيبة وملابسه الجميلة المزركشة راكبا عربته الملكية يحيط به عدد من أعوانه ووزرائه من كل ناحية، وهو يتوجه الى مسجد ضريح شاه عبد العظيم. فوصل اليه وترجل من عربته ودخل باحته ليشرع في الصلاة.

فجأة.. وخلال لحظات الصلاة والصمت، تقدم منه شاب وهو تظاهر بتقديم رسالة التماس له، لكنه وفي غفلة من الحاضرين والمحيطين به، أخرج بدلا منها مسدساً من تحت ملابسه وصوبه بسرعة نحو صدر الشاه، ثم أطلق رصاصة مباشرة الى قلبه. فسقط ناصر الدين شاه صريعا في مكانه في الحال والدماء تنزف منه. لقد كان هدفا كبيرا ساكنا قريبا سهلت اصابته.

وعندما أسرعت حاشيته لنجدته، صعق الوزراء وكبار رجالات الدولة لموته السريع، فلقد تمزق قلبه الأسود الحقود. وتداركاً للموقف ومنعاً لحصول هياج بين الناس، أجلسه أتباعه في عربته فيما بينهم، ليبدو وكأنه ما زال على قيد الحياة، وتوجهوا عائدين الى القصر. وفي الطريق كانوا يرفعون يده الميتة الباردة ليلوحوا بها للجماهير المحتشدة على جانبي الطريق، يوهمونهم أنه ما زال حياً على قيد الحياة.

***

الباشا الجديد

أيام سجن الجمال المبارك في مدينة عكاء، عيّنت الحكومة العثمانية أحد الباشوات رئيساً جديداً لدائرة الجمارك فيها.

وحدث أن جلس هذا الباشا مع عدد من الضباط وكبار الشخصيات في أحد المقاهي المدينة مساء اليوم الأول لوصوله وتسلمه لمنصبه الجديد، ليتعرّف على أحوالها. وبينما هم جلوس يتبادلون أطراف الحديث، إذا بحضرة بهاءالله يظهر ماشياً من أمامهم وهو في طريقه لزيارة بيت أخيه أقا كليم. وعلى الفور نهض الجميع من أماكنهم ومعهم الباشا الجديد وانحنوا إحتراماً وإجلالا لحضرته، فالتفت اليهم ليلقي عليهم التحية وينزل عليهم رحمته وبركته.

بعد تواري هيكله المقدس عن الأنظار، وعودة الواقفين الى مجالسهم، التفت الباشا وعلامات التعجب ترتسم على وجهه يسأل من حوله:-

"من يكون هذا الرجل؟ هل هو الروح الأمين، أم هو ملك الملوك؟"

فجاءه جواب الحاضرين بصوت واحد: "إنه والد عباس أفندي".

***

الله أكبر

أعدت وليمة فاخرة داخل البيت المبارك في بغداد، دعي اليها غالبية الأصحاب والأحباب وشخصيات المؤمنين المعروفة. وكان المضيف فيها شابا ذا ثمانية عشر ربيعا، يفيض حيوية ونشاط، وبوجوده.. أدخل الفرح والسرور لهذه المناسبة بشخصيته الجذابة وخدمته الضيوف بنفسه.. إنه حضرة عبدالبهاء.

يقول جناب زرندي في مذكراته.. كان بين الموجودين عدد من مؤمني مدينتي بغداد وكربلاء، منهم العالم الكبير سيد جواد كربلائي، وشيخ سلطان، وسيّاح.. وغيرهم.

بعد الانتهاء من الطعام وشرب الشاي، جلسنا نقرأ الألواح والآيات، وبسرعة أصبح الجو مفعما بالروحانية الخالصة، وامتلأت القلوب بالمحبة الالهية وتنورت الأرواح بنور اشراق اليوم الجديد. وبينما نحن غارقين في ترتيل الألواح والقصائد، جاء دور ترتيل قصيدة "أز باغ الهي"، وتجلت واتضحت معاني رموزها للأصحاب وكشف النقاب عن مقام حضرة بهاءالله، فغمر الفرح والسرور كل ذي روح مخلصة في ذلك الجمع، ومليء الجو بالاثارة والحبور.

في هذه القصيدة الرائعة، يشير حضرة بهاءالله في أحد أبياتها الى الخونة المندسين بين الأصحاب، وعند ترتيل هذا البيت، حصلت حادثة لطيفة انتبه لها الحاضرون، فالتفت العيون ودارت وجوه جميع الموجودين نحو نحو السيد محمد أصفهاني ينظرون اليه، مما أظهر عليه شيء من الارتباك والاضطراب، ووسط دهشة واستغراب الجميع، نهض من مكانه ليقدم رقصة جميلة، حاول بها تشتيت الشكوك من حوله.

بعد هذه الحادثة.. وفجأة، فتح باب الغرفة وظهر الجمال المبارك بكمال هيبته وجلاله، ليلقى تحيته على الجميع **"الله أكبر"**، فتحرك الجميع للنهوض وتحيته، إلا أنه أمرهم بالبقاء في أماكنهم جالسين وعدم قطع جلستهم. وتفضل:

"شاهدت روحانية مجلسكم، لذلك سأعطركم بماء الورد".

ثم دار على الجميع ليعطرهم بكل لطافة، ومن بعدها.. غادر المجلس بكمال العظمة والجلال. فأدخلت هذه اللحظات الخالدة تلك الليلة الى ذروتها، ولم يستطع أحد منا النوم حتى الصباح، وثمل الجميع من خمر محضره المبارك.

ويكمل ‘نبيل أعظم’ كلامه معلقا على تلك الليلة في مذكراته: "لم تشهد عين الخليقة ليلة كتلك الليلة أبدا".

***

لـوح

يروي الحاج طاهر مالميري حكاية طريفة جميلة حصلت له في عكاء سنة 1878م، قال:

سألت في أحد الأيام، كاتب وحي حضرة بهاءالله، خادم الله أقا جان، أن ينقل التماسي المتواضع الى مولاه، برغبتي في الحصول على لوح منه بخط يده المباركة. وان لم يكن لوحا كاملا، فبضع كلمات. لأني سمعت احدى نصائح حضرة الأعلى تقول:

"أي بابي يدرك زمان من يظهره الله، عليه المحاولة قدر الامكان في الحصول على لوح أو سطر أو حتى كلمة واحدة بخط يده. ففيها بركة غير محدودة".

انتابتني خيبة أمل ومرارة كبيرة ولم أكرر طلبي مرة أخرى، عندما رفض أقا جان نقل طلبي، وأجابني:

"إن حضرته نادرا ما يمسك القلم بنفسه ويكتب بيده المباركة منذ أيام أدرنة..".

حدث في اليوم التالي ان تشرفت بالمحضر المبارك، وأول بشارة كانت لي من فمه المبارك، حينما تفضل انه كتب لي لوحا بخط يده المباركة، وسوف أستلمه لاحقا. فلم أستطع وصف سعادتي في تلك اللحظات.

مضت عدة أيام، استلم خلالها أقا جان رسائل والتماسات جاءت من مدينة يزد بأسماء مجموعة من الأحباب يطلبون فيها ألواحا بأسمائهم. وعندما كنت في المحضر المبارك بعد عدة أيام، سمعته يتفضل:

"إن ألواحا عديدة نزلت بأسماء جميع المذكورين في القائمة، ولكنها سوف ترسل لاحقا الى مدينة يزد وفي الوقت المناسب لتصل بسلام".

يستطرد الحاج طاهر مالميري حكايته، ويقول: وبما اني كنت أعتزم السفر الى ايران قريبا، اعتقدت أنني سأستلم اللوح لا محالة عند وصول الألواح الى هناك. وأكون قد سبقتها في الوصول.

بعد وصولي الى ايران ووصول الألواح المباركة من بعدي وتوزيعها على أصحابها، اكتشفت خطائي، اذ لم يكن لوحي موجودا بينها.

ثم مضت مدة طويلة بعد ذلك، ومرة أخرى، استلمت تأكيدا من حضرة الجمال المبارك يقول إني سأستلم اللوح المذكور في يزد. وبعث لي أيضا تحية وسلام.

ومرت سنة وراءها سنة.. واللوح الموعود لم يصلني بعد. ثم حدث أن بدأت الاضطرابات تنتشر في مدينة يزد. فقررت على أثرها ترك المدينة، وأعددت كل شيء للرحيل خلال منتصف الليل.

وبينما كنت أهم بركوب حماري مغادراً، رأيت احدى المؤمنات وكان اسمها "بيبي صاحب" وهي مقبلة نحوي ترفع بيدها كتاباً دفعته نحوي لتسلمني إياه!

سألتها: ما هذا؟

قالت: انه لك.

أخذته وتفحصته على عجل، فاذا به لوح باسمي!!

انه بخط الجمال المبارك شخصيا!

لكني استغربت من شيء عجيب لا يقبل التصديق. فهذا اللوح قد كتب منذ مدة طويلة - وذلك واضح من نوعية الورق والحبر - انه قديم، انه مكتوب منذ زمن بعيد.

سألتها: كيف.. ومتى وصل هذا اللوح اليك؟

قالت: ذات يوم.. وقبل أربع وعشرين سنة، عاد السيد رضا الروح من بغداد حيث كان يقيم حضرة بهاءالله، وسلمني هذا اللوح حسب تعليمات الجمال المبارك بنفسه. ثم قال لي:

"سيأتي صاحبه لاستلامه في المستقبل وليس الآن. فخبئيه واحتفظي به جيدا".

وها قد مضى على استشهاد رضا الروح اثنا عشر عاما. وإني أشعر الآن ان الوقت المناسب قد حان لتستلم لوحك، وها هو ذا أسلمه بيدك.

يتفضل حضرة عبدالبهاء مؤكدا ومعلقا على هذه الحادثة، بقوله: "نعم.. ان هذا اللوح كتب في بغداد باسم الحاج طاهر".

ويقول مالميري: ان هذا اللوح كتب قبل طلبي بأكثر من عشرين سنة.

***

صدارة مجلس

في هذه الحكاية اللطيفة.. يقص علينا الملا محمد قائني الملقب بـ "نبيل أكبر"، ما حدث له داخل بيت حضرة بهاءالله في بغداد زمن اقامته فيه، فيقول:

كنت أجلس في احدى الأمسيات بصحبة العالم الكبير ملا محمد صادق خراساني الملقب بـ "مقدس"، داخل غرفة الضيوف في البيت المبارك نتجاذب أطراف الحديث. بينما كان صاحب البيت المبجل خارجه. وبينما نحن على هذه الحال، عاد حضرته وبصحبته الأمير (ملك آرا). وبمجرد دخوله الى مجلسنا، نهض الملا صادق ورمى بنفسه تحت أقدامه بكل خشوع وعبودية. لكن حضرته لم يستحسن تصرفه، وأمره بالنهوض. ثم ترك الغرفة بصحبة ضيفه الأمير.

تعجبت كثيرا لتصرف الملا صادق وانتابتني الحيرة من ذلك، إذ لم أتوقع منه أبدا قيامه بهذا التصرف. وما شجعني لمعاتبته على هذه الحادثة، رؤيتي جواب الجمال المبارك لتصرفه. فقلت له بعد مضي بعض الوقت معلقا على الحادث:

يا جناب الملا.. أنت عالم كبير وذو مقام محترم مقارب لمقام حضرات حروف الحي، اضافة لذلك أنت من المتشرفين بلقاء حضرة الأعلى. نعم، ان الجميع يعترف ان حضرة بهاءالله رجل مشهور ومحترم ورفيع النسب وشغل أجداده وأسلافه مراكز حكومية رفيعة، والحق يقال انه عانى كثيرا من الاضطهاد والتعذيب والسجن لاعتناقه أمر الله، وصودرت أملاكه، ونفي من وطنه الى هنا. لكن تصرفك هذا المساء تجاهه كان عجيبا، كنت تبدو كخادم حقير أمام ربه العظيم.

ساد بيننا بعض الصمت، قبل أن يبدأ الملا صادق إجابته المقتضبة، وكان ما يزال غارقا تماما في حالة روحانية ووجهه يفيض فرحا: "أتضرع الى الله أن يزيح الحجبات عن بصرك وينزل عليك رحمته الواسعة".

تعجبت كثيرا من هذه العبارة وهذا الجواب! وقلت في نفسي: ما هذا؟ ماذا يقول الملا!؟ ماذا يعني؟ أهنالك شيء لا أفهمه؟

بعد هذه الحادثة العجيبة وهذا الحديث الغريب، قررت مراقبة تصرفات شخص حضرة بهاءالله بدقة شديدة ومحاولة اكتشاف ما قصده الملا صادق بكلامه. فأنا عالم مشهور ومشهود لي برجاحة العقل وصواب الرأي بين أقراني.

لكني.. كلما زدت في مراقبتي لحضرته، كلما قلّت اكتشافاتي لأي اشارة أو علامة تشير الى ما يميزه عن غيره. بل على العكس تماما، لم أجد فيه شيئا مختلفا يجلب انتباهي لا في أقواله، ولا في أعماله. ولم أجد لديه سوى التواضع ونكران الذات والعبودية وخدمة الغير.

وهنا.. وقعت في خطأ جسيم نتيجة اكتشافي هذا، وبدأت أعتقد انني أعلى شأنا وأعظم مقاما من حضرته، ومن ثم بدأت أفضل نفسي عليه نتيجة لتصوراتي التافهة البسيطة هذه. وبدأت أشغل مكان الصدارة وكرسي الشرف فيما أحضره من اجتماعات وجلسات بين الأصحاب، وأبادر في الكلام قبل الجميع، ولا أعطي فرصة الحديث لا لحضرة بهاءالله ولا لغيره. فالجميع أقل علما وشأنا مني.

في يوم من الأيام، عقد اجتماع صغير للاصحاب في بيت حضرة بهاءالله في نفس الغرفة السابقة. وعند حضوري، تصدرت المجلس كالعادة وتجهزت لاستلام زمام الحديث في اللحظة

المناسبة. أما حضرة بهاءالله فاتخذ له مجلسا بين الأصحاب دون ما يميزه عنهم، بل أكثر من ذلك، إذ شرع بخدمتهم وتقديم الشاي لهم بيديه.

وبينما نحن جلوس، طرح سؤال معين.. ولما لم أجد بين الحضور مجيبا له، شرعت بالكلام والاجابة والشرح. فراح يصغي الجميع لي بانتباه صامتين تماما، ما عدا حضرة بهاءالله الذي كان يبدي بين الحين والآخر تأييده لي ببعض الكلمات والاشارات، وأحيانا كان يزيد على الموضوع بعض التعليقات.

ورويدا رويدا.. وقليلا قليلا..

انقلب الحال.. وأصبح هو المتكلم وأنا المستمع، بل ولذت بعدها بالصمت ولم أتكلم اطلاقا، فغمرتني حالة من الذهول العجيب وأحاطني عمق تفسيراته وشدة أمواج بحر بيانه وسحر وعذوبة صوته بشعور من الخوف والرعب، وصعقت وأنا أستمع لدقائق معدودة سحر بيان كلماته الفريدة..

ثم..!! لم أعد أسمع شيئا!؟ ماذا حصل؟ هل انتهى كلامه فجأة؟ هل توقف عن الحديث، أم قطعه؟

نظرت اليه.. فوجدته ما زال يتكلم وشفتاه ما زالتا تتحركان والجميع ملتفت يصغي اليه.

اذا ماذا حصل!؟ ماذا أصابني؟ هل أصبت بالصمم فجأة؟

تملكني شعور بالخزي والندم لاحتلالي صدارة المجلس، وانتظرت بفارغ الصبر نهاية الاجتماع. لكن الدقائق كانت تمر ببطأ شديد وأنا أنظر الى شفتيه أنتظر سكونها بفارغ الصبر، فهما دليلاي الوحيدان على انتهائه حديثه.

أخيرا.. توقفت شفتاه.. اذن لقد أنتهى من كلامه. فقمت لأتسلل الى خارج البيت مثل طير ضعيف تحرر من مخالب نسر عظيم،

ووقفت قرب الجدار والألم يغمرني والندم والأسف يعصران قلبي، ووبخت نفسي بشدة لحماقتي وجهلي وقلة عقلي وانعدام روحانيتي، وضربت رأسي بالجدار ثلاث مرات ندما على غفلتي وعدم انتباهي لمقامه من قبل.

***

لوح أنت الشافي

ميرزا جعفر يزدي، عالم ورجل دين كبير، آمن وتشرف بلقاء حضرة الجمال المبارك في بغداد، فترك مركزه الرفيع بعد تذوقه حلاوة الايمان، وخلع زيّ رجال الدين، واستبدل عمامته الكبيرة بغطاء رأس متواضع، وراح يتعلم مهنة النجارة كسباً لقوته.

كان رجلا متواضعا ناكراً لذاته رغم غزارة علمه وسعة معرفته، وخدم العائلة المباركة في بغداد لبعض الوقت، كما خدم الموكب المبارك وهو في طريق رحلته الى استنبول بكل وسيلة ممكنة. فكلما توقفت القافلة للراحة، خرج بصحبة حضرة عبدالبهاء يطوفان الانحاء المجاورة بحثا عن علف للخيل والبغال. وكانا يغيبان لساعات طويلة وأحيانا لا يرجعان الا عند ساعات الصباح الأولى بحثاً عن طعام للبهائم.

وفي أدرنة خدم مولاه ونفي معه الى السجن الأعظم، فلم يكن السجن الشديد بالنسبة له، إلا حديقة مملوءة بالورود والأزهار، وزنزانته الضيقة ليست سوى فناء واسع رحيب.

يتفضل حضرة عبدالبهاء راوياً قصة فريدة حصلت لميرزا جعفر، فيتفضل: "سقط ميرزا جعفر طريح الفراش نتيجة سوء الطعام وقلة الماء وقذارة المكان وانعدام وسائل المعيشة والراحة،

سقط والأصحاب فريسة مجموعة من الأمراض داخل السجن. فساءت حالته الصحية يوما بعد يوم، وأصيب بمضاعفات كبيرة، يئس على أثرها الطبيب المداوي ولم يعد يزوره، فالأدوية لم تعد تجديه نفعاً، ومن الواضح أن الرجل يعيش لحظاته الأخيرة..

وفي النهاية لفظ الرجل أنفاسه الأخيرة.. ومات.! فما كان من ميرزا آقا جان بعد معرفته الخبر إلا بالهروع الى حضرة بهاءالله يخبره بوفاة ميرزا جعفر.

فتفضل الجمال المبارك:-

"اذهب لجانبه، ورتّل لوح أنت الشافي، وستعود له الحياة سريعا، وسيرجع كما كان من قبل".

وتنفيذا لأوامر حضرة بهاءالله، عاد آقا جان ليجلس قرب رأس المتوفي وبدأ بترتيل اللوح. وقليلا قليلا.. إذا بالجسد الخامد البارد تتحرك أطرافه ببساطة وهدوء، ثم بدأت الحرارة واللون يعودان اليه.. ولم تمض سوى ساعة حتى استطاع المتوفي، رفع رأسه والجلوس معتدلا.

وكعادته.. بدأ بالقاء الطرائف والنكات والضحك. وعاش بعدها مدة طويلة منشغلاً بخدمة البيت المبارك والأصحاب.

***

ابريق الماء

ذكر السيد طاهر مالميري، أن من عادة ميرزا جعفر خادم حضرة بهاءالله وعائلته المباركة أيام إقامته في قصر المزرعة، أن يترك لحضرته كل ليلة، ابريق ماء في الطابق العلوي خارج

غرفته، حيث كان للقصر في نفس الطابق، شرفة كبيرة غير مسورة يستعملها حضرة الجمال المبارك للحركة والتمشي في كثير من الأحيان.

وفي ليلة مظلمة غير مقمرة، وبعد أربع ساعات من الغروب تقريبا، حمل ميرزا جعفر ابريق الماء كعادته، واتجه للغرفة المباركة في الطابق العلوي، ونتيجة للظلام الدامس وخطأ في التقدير، زلت قدمه وتمايل ثم فقد اتزانه ليسقط وابريقه في يده من فوق السقف الى الحديقة في قسمها المهجور خلف البيت.

وحيث أنه سقط خلال ظلام الليل وسكن ولم يتحرك أو يصدر صوتا مسموعاً، لذا لم ينتبه اليه أحد، وبقي ممددا على الأرض والابريق مقلوب بجانبه حتى اليوم التالي.

في الصباح.. انتبه الأصحاب لغيابه، فبحثوا عنه في كل مكان الا في الحديقة الخلفية، ولما لم يجدوه، قام بعضهم بتأدية أعماله نيابة عنه.

بعد ثلاث ساعات من شروق شمس ذلك الصباح، ظهر حضرة بهاءالله على شرفته كعادته، وتوجه فورا نحو مكان سقوط الرجل، ثم نادى باسمه: **"ميرزا جعفر".**

فإذا بميرزا جعفر ينهض من مكانه على الفور، ويبدأ بإزالة التراب عن ملابسه ثم يلتقط ابريقه الخالي ويخرج من الحديقة وهو بصحة جيدة، وعاد ليكمل عمله وكأن شيئا لم يكن.

وكلما سأله الأصحاب عن الحادث، قال: لا أدري.. فقدت شعوري واحساسي منذ سقوطي ولم أشعر بشيء حتى سمعت حضرة بهاءالله ينادي باسمي، فانتبهت ثانية.

***

أيام عصيبة

تفضل حضرة بهاءالله ذات يوم يخاطب نبيل أعظم متذكرا أيام سجنه الرهيبة في طهران، بما يلي:

إن أغلب الذين شملتهم العاصفه الرهيبة في تلك السنة، كانوا رفاق سجني في سياه شال.. لقد حجزنا في زنزانة واحدة.. وصفّوا أقدامنا معا وحشروها بقسوة داخل قطعتين ثقيلتين من الخشب (الدهق) جمعتا لبعضهما عند منطقة الساق، فلم يكن بالإمكان أبدا تحريكهما بأي شكل من الأشكال، وهذا ما كان يسبب لنا عظيم الآلام.. أما حول الرقبة، فقد ثبتوا أقسى أنواع السلاسل والأغلال وأثقلها (سلاسل وقره جوهر)[1]. فكان يصعب رفعها أو حتى تحريكها. هذا بالاضافة الى تشبع هواء الزنزانة بالعفونة والروائح الكريهة. أما القذارة والأوساخ، فكانت تعلو أرضية المكان، بينما تنتشر في أرجائه مختلف أنواع الحشرات. ولم يكن هناك سبيل لدخول أشعة الشمس لتبديد ظلمته أو تدفأة برودته القارسة.

كان نهاره ليل، وظلامه دامس..

قيدونا الى الجدار في صفين متقابلين..

ولرفع روحانية زملائي ومعنوياتهم، لقنتهم بعض الآيات لترتيلها كل ليلة بحماس شديد.

يقول الصف الأول: (قل الله الكافي عن كل شيء).

فيرد الخط الثاني: (وعلى الله فليتوكل المتوكلون).

وهكذا تبقى أصواتنا مجلجلة تهز أرجاء المكان حتى ساعات الصباح الأولى.

كان الترديد وصداه يملآن السجن ويخترقان جدرانه السميكة حتى يصل لمسامع ناصر الدين شاه، في قصره حيث لم يكن بعيدا عن مكان السجن كثيراً.

وذات ليلة.. نادى الشاه على حاشيته وسألهم:
ما هذه الأصوات؟
فجاءه الجواب: إنها ترانيم البابيين في سجنهم.
فكان هذا الجواب كافيا له.. فلم يعاود السؤال مرة ثانية..

---

(1) أسماء الأصفاد التي وضعت حول عنق ويدي وأقدام حضرة بهاءالله المباركة. وكان وزنها معاً يقارب المائة كيلو غراما.

***

أسطى إسماعيل[1]

كانت الحراسة مشددة قاسية في بداية فترة سجن حضرة الجمال المبارك وعائلته وأصحابه داخل مدينة عكاء، فلم يكن يسمح لهم بالخروج أو الدخول لأي سبب كان مهما كانت الحاجة اليه، كما لم يسمح لأي مؤمن بزيارتهم أو الالتقاء بهم لمختلف الأسباب، فالناقضون والأعداء والحرس كانوا يقفون لهم وللزوار بالمرصاد.

ومع ذلك.. بقي يرد لأطراف المدينة من مختلف أنحاء إيران والعراق أعداد من الأحباء للزيارة والاطمئنان على سلامة حياة مولاهم وأصحابه. لكنهم كانوا يقفون خارج أسوارها لينظروا من بعيد نحو نافذة حضرته، وغايتهم ومناهم، مشاهدته وهو يخرج بيده ملوحاً بمنديله الأبيض من شباك زنزانته، دليلا على التحية والسلام. وعندها كانوا يعودون لأوطانهم يغمرهم سرور الزيارة وروعة اللقاء.

كان هناك رجل كبير السن ضعيف البصر يدعى أسطى إسماعيل، ترك أهله وموطنه في إيران وهاجر الى بغداد ليكون قريبا من محبوب قلبه.

لكنه في بغداد لم يسلم من تعرض الأعداء ومضايقاتهم، حتى نفي في النهاية مع عدد من الأصحاب الى مدينة الموصل في شمال العراق.

وبعد قضائه عدة سنوات منفياً هناك، وجد الفرصة سانحة ليتخذ طريقه نحو الأرض الأقدس (فلسطين) لزيارة محبوبه.

حاول عند وصوله دخول المدينة، لكنه وجد بابها مغلقاً، حيث استطاع الناقضون التعرف عليه، فكانوا يخبرون الحرس في كل مرة ليبعدوه كلما تقرب منها.

لذا كان يقف خارج أسوار المدينة مقابل بناية السجن الضخمة العالية ويحاول رؤية هيكل محبوبه الواقف خلف نافذة زنزانته.

إلا أن بصره كان ضعيفا، فيحول بينه وبين تحقيق أمنيته، ولم يستطع مشاهدة شيء. بينما كان يراه أفراد العائلة المباركة من الجهة المقابلة من شبابيك زنزاناتهم، ومعالم الخيبة والحزن واضحة عليه وهو ينوح عائدا في كل مرة الى مكانه يندب سوء حظه.

إلا أن اليأس والقنوط لم يتطرقا الى قلب أسطى إسماعيل، ولم يفكر في العودة الى بلاده. فأين سيذهب ومراد قلبه وحبيبه سجين في قلعة عكاء. لذا اتخذ أحد كهوف جبل الكرمل مسكناً له، وكأنه يقلد ما فعله النبي إيليا قبل آلاف السنين.

ولم يغادر فلسطين، فلقاء المحبوب في مستقره المبارك بقربه، أغلى كثيرا من العيش على أرض الوطن بين الأهل والأصحاب.

فعاش في تلك النواحي الغريبة الموحشة حول بناية السجن لسنوات طويلة، أملاً في لقاء معشوق فؤاده.

وفي النهاية.. وبعد عدة سنوات تحققت أمنية قلبه، واستطاع دخول المحضر المبارك، وقرّت عيناه بالتشرف.

بعد مضي نصف قرن تقريبا، أعاد حضرة عبدالبهاء حكاية هذا المؤمن، متفضلا:

"اتخذ أسطى اسماعيل أحد كهوف جبل الرب مسكنا له، وحمل فوق رأسه صينية صغيرة عرض فيها بعض الخواتم والدبابيس والكشتبانات[2] الرخيصة وراح يدور بها بين الأزقة والطرقات يذرع المدينة ماشيا ذهابا وإياباً من الصباح حتى المساء سعياً وراء لقمة العيش، وكانت أفضل أيام عمله، عندما يكسب أربعين قطعة نحاسية. وفي العادة لم يكن يزيد دخله اليومي عن عشرين أو ثلاثين قطعة نحاسية، حيث يعود بعدها الى ملجئه ليتناول وجبة غذاء بسيطة، قانعاً شاكراً منتظراً".

***

---

(1) أسطى أو "معلم"، كل من احترف مهنة ما.

(2) قطعة معدنية تلبس في الإصبع عند الخياطة.

حرمان

زار جناب طراز الله سمندري الأرض الأقدس، وهو في سن السادسة عشر من عمره، وظل هناك مدة من الزمن، بقي خلالها يحظى بالمشاهدة والتشرف بلقاء حضرة بهاءالله كل يوم تقريبا في أواخر أيام حياته على هذه الأرض.

صادف ذات مرة، أن مضت عدة أيام عليه، لم يحظ فيها بشرف لقاء مولاه. وبينما هو جالس يفكر في وسيلة لذلك، إذا بطفلة من العائلة المباركة تمر من أمامه ماشية. فنادها بإسمها.. وبعد ملاطفتها والسؤال عن صحتها وأحوالها، أدرك من كلامها أن الجمال المبارك يجلس وحيداً في تلك الساعة، ولا أحد بصحبته.

فحمّلها لحضرته راجيا متوسلا التشرف واللقاء.

مضى بعض الوقت حتى جاءه الإذن.

وعندما دخل المحضر المبارك، سأله الجمال المبارك بطريقته اللطيفة المحببة:

" ألا تقابل المولى كل يوم؟".

أجاب جناب سمندري: "نعم".

فتفضل حضرة بهاءالله:

"إذن لماذا تتكلم عن حرمانك من اللقاء، وأنت الذي تحظى بشرف صحبته كل يوم".

كان سؤالا وجوابا ذا مغزى عظيم، ساوى بين لقاء حضرته ولقاء المولى.

***

أزل

قال أحد البابيين الأوائل ويدعى سيّد عبد الرحمن، يصف عظمة حضرة بهاءالله أمام شخصية أخيه ‘صبح أزل’ الهزيلة قائلا:

ذاعت في جميع أنحاء ايران، سمعة صبح أزل، وأمسى معروفا للجميع بعد شهادة حضرة الأعلى أنه قائد البابيين بعد حضرته. ورغبة مني في لقائه، تركت بلدتي وسافرت متوجهاً الى طهران أبحث عنه.

وفي أول دخولي أحد أسواق المدينة التقيت بحضرة بهاءالله الذي لم يكن قد كشف عن نفسه آنذاك بعد وبقيت آلاف حجب النور تخفي عن الأنظار جلاله وعظمته وقدسيته.

تقرّب مني وحيّاني وسألني بغاية الكياسة واللطف إن كنت قد جئت لمقابلة أزل ورؤيته. ولدى سماعه جوابي، أشار اليّ بمرافقته الى منزله. وهناك جلسنا في حجرة الضيوف، وأمر باحضار الشاي. وكم كان عجبي شديداً، عندما دخل أزل الى مجلسنا ولوازم الشاي والسماور بين يديه، وبدأ يصب الشاي ويقدمه لنا، ثم انسحب لينزوي ويقف جانبا بهدوء وصمت دون حراك. بينما بقي حضرة بهاءالله يتكلم ومياه أنهار الحكمة والمعرفة تتفجر وتتدفق من بين شفتيه لتنقلني من عالم الى آخر وتغمرني سعادة لا توصف وأنا أنصت له واستمتع بصحبته ومجالسته.

بعد الانتهاء من شرب الشاي. نهض حضرته متوجها الى داخل منزله ليتركنا بمفردنا، وخاطب أزل متفضلا:

"لقد جاء لرؤيتك".

انحنيت احتراما لأزل، وبقيت واقفا حتى جلس، ولذت بالصمت انتظارا لما سيقوله، لكنه لم يتفوّه مطلقاً، وبقي طوال اللقاء صامتاً دون كلام!

***

تاج العظمة

قال ميرزا حيدر علي:-

سألت الحاج سيّد جواد كربلائي ذات يوم، أمام جمع من الأحباب، وصف جمال وجه حضرة بهاءالله. وكان قد تشرّف بلقائه سابقاً في بغداد. فأجاب قائلا:-

إعلم وتأكد تماماً، إن كل من إدعى، صديقاً كان أم عدو، إنه استطاع النظر الى عيني حضرة بهاءالله مباشرة، فهو مدّعي كذاب. لقد حاولت ذلك بنفسي مراراً وتكراراً، لكن الفشل كان نصيب جميع محاولاتي. إن الفرح والسرور والدهشة والذهول، والانتقال من عالم روحاني الى آخر، تغمر وتحيط كل من جلس بين يديه لعدة ساعات بعد خروجه من محضره المبارك. إنها حالة لا يعرفها إلا من عاشها وخاضها. ثم التفت الحاج جواد اليّ وأكمل كلامه، متسائلا: "قل لي.. هل يمكن لشخص التحديق في قرص الشمس؟"

في الحقيقة.. لم أدرك في حينه مقصد جواب سيّد جواد إلا بعد سنين عديدة، وذلك خلال السبعة شهور التي مكثتها بقرب حضرة بهاءالله في ادرنة. فطوال تلك المدة، لم استطع النظر مباشرة الى وجهه المبارك أو اقتباس لمحة واحدة من محيّاه المبارك، وشاهدت بعيني صدق كلام سيّد جواد وفهمت معناه.

وحدث أن سافرت بأمر من حضرته وتركت أدرنة مبتعداً عنه لأكثر من خمس عشرة سنة، أمضيتها بين سفر ونفي وسجن وغربة. الى أن جاء اليوم الذي دخلت فيه مدينة عكاء لزيارته والتشرف بمحضره مرة أخرى.

وطوال كل تلك السنين، ظلت فكرة لون "تاج" رأسه المبارك تراودني وتدور في رأسي ولا تفارقني أبداً. إلا اني كنت أنساها تماما ولا تخطر لي على بال كلما دخلت محضره المبارك.

في ظهيرة أحد الأيام، وبينما كان حضرته في غرفة صغيرة داخل حديقة الرضوان جالسا يتناول غذاءه، يحيط به عدد من الأصحاب والخدم داخل الغرفة وخارجها. حانت لي فرصة النظر اليه من خلف تلك الجموع، واستطعت من بعيد معرفة لون "تاج" رأسه البديع.

كان أخضر اللون.

***

سمعنا همسك

كان يسكن شمال العراق، رجل كردي يدعى أقا جان نراقي، ناصب الأمر المبارك والمؤمنين العداء في تلك النواحي لمدة طويلة، لكنه في نهاية المطاف اعتنق الدين الجديد وآمن به. وتكفيراً عن أعماله السابقة نهض للخدمة بشكل فعال.

وحدث ذات يوم أن كان مسافرا مع عدد من الأصحاب في أحد القوافل التجارية سعياً وراء رزقه، وبينما هم في الطريق، إذا بعدد من اللصوص وقطّاع الطرق يهاجمونهم وينهبون جميع ما يملكون دون أن يتركوا لهم شيئا.

بعد انتهاء الغارة وانسحاب المهاجمين وانجلاء الموقف وعودة المسافرين كل الى دياره، أدرك صاحبنا وهو يجرّ أذيال الخيبة والخسران، صعوبة وضعه المالي. فرفع في تلك اللحظات العصيبة رأسه الى السماء شاكيا يبث لمولاه حزنه وعجزه في توسل، قائلا: "يا إلهي.. هل هذه هي طريقة معاملة أقا جان!".

لم يمض وقت طويل على تلك الحادثة، حتى وصله مع أحد الأحباء لوح من حضرة بهاءالله باسمه، أدخل الفرح والسرور الى قلبه. حيث تفضل:

"سمعنا همسك. أنت على حق. إن الله معك وسيوقفك".

ومنذ ذلك اليوم، فتحت أبواب الرزق على وجهه ووجوه أصحابه، وازدادوا نجاحا في خدمة الأمر الذي اعتنقوه بكل شجاعة.

***

ما الأمر

يصف ميرزا حيدر علي في كتابه "بهجة الصدور"، حادثة حصلت له أيام اقامته في أدرنة، وقال:

كثيرا ما شعرت برغبة ملحة في السجود وتقبيل أقدام حضرة بهاءالله.

ذات يوم، جاءني أمر حضرته للمثول بين يديه، فجهزت نفسي واسرعت للدخول في محضره المبارك واتخذت لي مكانا عند الجدار ولا أعلم كيف حضرتني فكرة تحقيق حلمي القديم وأنا أراه يذرع الغرفة أمامي جيئة وذهاباً.

قلت في نفسي، اعتقد أنها الفرصة المناسبة والوقت المناسب، فما عليّ الا الوثوب على قدميه وتقبيلها، حالما يعطيني ظهره عائداً نحو الناحية الأخرى.

لصقت جسدي بالجدار وساويته به وهو يتقدم نحوي حتى لا ينتبه لنيّتي. وحال استدارته مبتعداً عني، تقدمت بهدوء خطوة أو خطوتين خلفه.

فجأة.. قطع مشيته وعاد متجهاً نحوي. فلمحني وأنا ألملم نفسي بسرعة عائداً الى الجدار دون حراك.

عندها.. رفع يده مشيراً وهو يخاطبني وتلك الابتسامة الإلهية الرائعة تعلو شفتيه:-

"ما الأمر؟ أراك تتقدم وتتراجع. قف مكانك".

لم يتحقق حلمي الغالي؟ إلا أن حركة يديه وابتسامة شفيته غمرت قلبي بفرح وسرور لا حدود لهما.

***

فخ

عندما أرسل الحاج محمد باقر - أشهر تجّار مدينة قزوين - التماسا لحضرة بهاءالله يسأله الإنعام عليه بمزيد من الثروة والمال حتى يستطيع بها النهوض على خدمة الأمر المبارك بشكل أفضل. استلم بعد مضي فترة من الوقت، جوابا لسؤاله في 'لوح' يبشره بالثروة والمال، ويحذره في نفس الوقت من خطر هذا الامتحان الصعب.

أما حضرة بهاءالله فخاطب الحاضرين في مجلسه ساعة نزول اللوح، متنبأً: "إن هذا السائل سيغرق بالثروة والمال، وسيبتعد عن الله نتيجة ذلك، ثم سيغلق عينيه عن حقيقة أمر الله وينكر خالقه. ثم

ستحل به خسارة عظيمة، يعود بعدها الى ربه تائباً، وتبدل خسارته بالربح الوفير ويصبح من كبار تجار تبريز واستنبول، فيصيبه الغرور أكثر من السابق ويتنكر لدينه مرة أخرى. لكنه – في هذه المرّة ـ سيفقد كامل ثروته وكل ما يملك ويترك عالم التجارة ويعود معدماً فقيراً. فيتوب ويندم على فعلته، إلا أنه سيبقى فقيراً حتى نهاية حياته التي تنتهي بخدمة الأمر المبارك".

وأكد حضرته في حينها لميرزا "حيدر علي" الموجود في ذلك المجلس، أن يتذكر هذا المجلس وهذا الحديث في مستقبل الأيام.

حدث بعد ذلك، أن انتقل محمد باقر الى استنبول واستقر بها بعد أن وجد فرصاً افضل للتجارة. وهناك جاهد للظهور بمظهر التاجر المسلم الغيور على دينه تقرباً لبلاط السلطان والسفير الايراني.

فأشار حضرته ساعتها لهذا التحول في سلوكه، وتفضل:-

"إنها نقطة البداية فقط لمسلسل الأحداث الذي جئنا على ذكره".

وحدث أن اشترى محمد باقر كمية من القطن، وضع فيه كل ثروته إضافة الى أموال العديد من التجار، آملاً بالربح الوفير من هذه الصفقة. لكنه فوجئ وبدون سابق إنذار بهبوط الأسعار الى درجة متدنية جداً أغرقته في بحار الديون. وعندما أحيط بالمحنة والضيق من كل الجهات، تذكّر مولاه، ولم يجد أمامه سبيلاً يلتفت اليه لينقذه من مصيبته سوى مولاه. فكتب رسالة ندم وتوبة وذيّلها برجاء المساعدة.

لم تمض فترة طويلة، حتى وصله لوح آخر من حضرة بهاءالله، يؤكد فيه استرداده لثروته أضعافاً مضاعفة، ويحذره في نفس الوقت مرة أخرى من الاغراءات المادية، ويحثه على البقاء ثابتاً على طريق الله.

ثم.. حدث أن ارتفعت أسعار القطن مرة ثانية، وإذا بمحمد باقر يجد نفسه فجأة من أغنى تجار استنبول. وللمرة الثانية، يسقط في فخ الطمع والجشع ويفشل في امتحان معرفة ربه المعطي الكريم، ويغفل ويتنكر لمولاه.

مرت الشهور والسنين، وبينما كان ميرزا حيدر علي يجول أنحاء ايران، دخل ذات يوم مدينة تبريز، فإذا به وجهاً لوجه مع محمد باقر.

بعد السلام والتحية والسؤال، قال محمد باقر بصوت يملأه الندم:-

"بعد كل تلك الثروة وذلك الغنى، بدأت أفقد أموالي وأملاكي شيئا فشيئا، وضاعت من يدي الواحدة تلو الأخرى. وفجأة وجدت نفسي فقيراً معدماً لا أملك شيء ولا سبيل أمامي سوى ترك استنبول والعودة الى تبريز. وكما ترى الآن، فأنا أسكن في بيت زوجتي وأرتدي ملابس من صنع أولادي. والحمد لله، لم يتبق لي إلا نعمة خدمة الأمر المبارك في آخر سنين حياتي".

***

عبد الرحيم

تشرّف رجل اسمه جعفر من قرية بشروئية (محل ولادة الملا حسين بشروئي – باب الباب – أول مؤمني حضرة الأعلى) بلقاء حضرة بهاءالله أيام سجنه الأولى بقلعة عكاء بطريقة عجيبة لم يسبق لها مثيل. وحصل خلال التشرّف على لقبه الجديد "رحيم".

كان عبد الرحيم مسلماً طيباً متعصباً لدينه غيوراً عليه. ذهب ذات يوم الى رجل دين يسأله المشورة بأمر البهائيين بعدما شاهد

نمو أمرهم وازدياد أعدادهم. فأجابه:- ‘إن محاربتهم هو الجهاد في سبيل الله، وقتلهم كسب لمرضاته، والاستشهاد على أيديهم يدخل المسلم فسيح جناته’.

نهض عبد الرحيم عند سماعه لهذا الجواب وذهب الى بيته ليحمل سلاحه ويتوجه الى بيت رجل بهائي كبير السن يدّعى ‘حاجي بابا’ يسكن في قريته، وكان قد تعرّف عليه قبل فترة من الوقت. فدخل على الرجل وبادره بالقول: ‘لقد سلكت سبيلاً باطلاً باعتناقك الدين البهائي، وها أنا جئت كي أقتلك’.

رغم خطورة الموقف وحراجته، أظهر ‘حاجي بابا’ شجاعة ومحبة تجاه زائره استطاع بها كسب مودته وتهدئة ثورته، وخلال دقائق قليلة كان الضيف يجلس بجانب مضيفه يسأله ويتباحث معه في حقيقة الموضوع. ثم قاما ليتوجها الى إحدى جلسات التعمّق لدراسة الدين الجديد، حيث أظهر عبد الرحيم جديّة ومواظبة في التقصّي والبحث، وفي نهاية اللقاء، امتلأت روحه بالايمان والحماسة لدرجة أنه لم يستطع البقاء في قريته أكثر من ذلك، بعدما علم أن مظهرا الهياً يعيش على الأرض آنذاك، ولم يستطع مقاومة فكرة لقائه وجهاً لوجه. فشرع من فوره في سفر طويل ميمماً وجهه شطر المحبوب.

ستة شهور وعبد الكريم يسافر من مدينة الى أخرى ومن قرية الى قرية حتى وصل عكاء ‘مدينة السجن’. وهناك التقى خارج أسوارها بنبيل زرندي "نبيل أعظم" الذي بثّه شديد حزنه وعظيم بليته في فشل محاولاته المتكررة لدخول المدينة متنكراً، وكيف كان الناقضون يكشفون حقيقة شخصيته للحرس كلما حاول الدخول، فيتم إبعاده. ورغم ما سمعه من زرندي، قرر عبد الرحيم الدخول متكلاً على الله غير مبالي بما سيواجهه. فاتجه لساحل البحر ينظف

ملابسه وجسمه من وعثاء السفر الطويل قبل أن يتوجه الى ذلك المكان المقدس. وكانت علامات الانكماش والتقلص واضحة على ملابسه حين ارتدائها.

ذهب عبد الرحيم الى خارج سور المدينة، وتقرّب من بناء السجن يحوم حوله تملأه رغبة قلبية طافحة بمحبة حضرة بهاءالله ولقاءه. وبينما هو كذلك، إذا به يشاهد من بعيد الهيكل المبارك من خلف قضبان نافذته وهو يأمره بالدخول بإشارة من يده.

لم يفكّر عبد الرحيم بما سيمنعه ويقف في وجهه من أسوار وحرس وجنود وناقضين ولا غيرهم. لقد كانت تلك الاشارة كافية تماما لأن تنسيه كل الوجود. فأسرع نحو بوابة السجن وتقدم ليجدها محاطة بالحرس والجنود. تقدم وهو يتوقع في كل خطوة سماع صرخة تأمره بالتوقف والرجوع، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث. وهكذا استمر في تقدمه متعجباً، وشيئا فشيئا أصبح في وسط مجموعة الحرس ولم يسمع منهم شيئا بعد. فتعجب كثيراً، والتفت يتفرس في وجوههم يستقصي عن السبب. فإذا به يجدهم واقفين كالأصنام لا حراك فيهم حتى أن أجفانهم كانت ثابتة لا تتحرك. وهنا أدرك ما حدث.. وعلم أنها فرصة نادرة، أسرع ليستغلها وتقدم ليدخل السجن. بعد بضع دقائق، وجد نفسه يقف في محضر مولاه غارقاً في بحار العواطف طائراً في فضاء عالم الروحانيات شارباً من كؤوس صهباء لقائه. وخلال زيارته، أنزل حضرة المحبوب لوحاً باسم ضيفه يؤكد فيه إغلاقه لبصائر الحرس حتى يمكّنه من الدخول. ثم أنعم عليه بلقبه الجديد "رحيم"، وطلب منه قصّ حكاية زيارته وتفاصيلها للمؤمنين عند عودته الى بلده. وسلّمه مجموعة من الألواح لبعض الأحباء.

وصل عبد الرحيم الى بغداد وهو طريق عودته الى ايران بعد سفر طويل، وبينما هو يمشي في أحد اسواقها، انتبهت الشرطة لغرابة هيئته وارتابت بأمره. فبدأوا يتقدمون منه لالقاء القبض عليه والتحقق من شخصيته. عندما شعر بما يجري، وخوفاً على مجموعة الألواح التي معه من التدمير أو المصادرة وعلى حياته من الخطر، أخرجها من جبّته وقذف بها بسرعة داخل أقرب دكان منه. لم يتنبه رجال الشرطة لما فعله، فألقوا القبض عليه واقتادوه الى المخفر. بينما استقرت الألواح في ذلك الدكان المجهول.

توكل عبد الرحيم بكامل الثقة على حضرة بهاءالله يسأله المحافظة على ألواحه بقوته القاهرة.

بعد عدة أيام، تأكدت السلطات من شخصيته وعلمت أنه رجل دين وعابر سبيل لا خطر منه، فأطلقوا سراحه وعوّضوه ببعض القطع النقدية.

وقف عبد الرحيم خارج بوابة المخفر ينظر الى قطع النقود في راحته متحسراً، وقال في سرّه يخاطب مولاه ويبثه شكواه ويقول: "أخذت مني أغلى ما في الوجود، وأعطيتني بدلها هذه النقود".!

ثم تحرك من فوره متوجهاً الى السوق يجوبه ذهابا وايابا ويختلس النظر لذلك المحل وصاحبه كلما مرّ به عسى أن يعثر على رزمته أو يتعرف صاحب المحل عليه ويسأله عن سبب تردده المتكرر أمام محله. لكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

عند حلول المساء، كرر محاولته للمرة الأخيرة، فوجد المحل خالياً من الزبائن، وصاحبه يقف أمام الباب وهو يشير اليه ويناديه بالتقرب والدخول. ووسط إمارات التعجب والاستغراب، تقدم منه ليحتضنه ويقبله مرحباً به، قائلا: "الله أبهى"، ثم أخرج له رزمته من مكان أمين داخل الدكان وسلمها ليده. وكم كان تعجبه شديداً

أيضا عندما اكتشف أن صاحب الدكان هو من مؤمني بغداد القلائل. ففرح فرحاً عظيماً، وأيقن الرجلان أن الحادثة لم تكن سوى معجزة من معجزات حضرة بهاءالله. فالسوق كانت ممتلئة بعشرات الدكاكين، وهذا هو البهائي الوحيد الذي يملك واحداً منها.

كانت فرحة عبد الرحيم لا حدود لها بعثوره على الألواح ثانية. وبعد استضافته في بيت صاحب المحل عدة أيام، تعرّف خلالها على مجموعة من أحباء بغداد. شدّ رحاله مرة أخرى الى وطنه، ومرّ بالعديد من المدن والقرى وقام بتسليم أحباؤها ألواحهم، سارداً للجميع قصة زيارته وما شاهده من عظمة وجلال وتأييد حضرة بهاءالله له خلال رحلته، منزلاً الفرح والسرور وقوة الايمان على قلوب سامعيه. وفور وصوله لقريته، بدأ بالتبليغ، فكانت قوة بيانه وأنوار وجهه واضحة للجميع، مما أثار ضده نقمة رجال الدين المتعصبين، فأجبروه على الخروج منها والاستقرار في مدينة فاران في خراسان.

بعد عدة سنوات، صادف أن وهبت نعمة التشرف بالمحضر المبارك للملا صادق خراساني، "اسم الله الأصدق"، أحد أبرز مشاهير أتباع حضرة الباب وحضرة بهاءالله، ووصلته دعوة لزيارة الأرض الأقدس. وبما أنه كان كبير السن لا يستطيع السفر بمفرده، جاء الأمر بأن يصحبه رجل ثقة في سفره الى هناك. فلم يتفق أحباء مشهد على شخص محدد للذهاب معه. فقرروا إجراء قرعة أسماء بينهم، وكم كانت فرحة عبد الرحيم كبيرة عندما وجد اسمه يلتقط من بين أسماء جميع الحاضرين ليحظى بتلك البركة ويمنح للمرة الثانية شرف الزيارة.

وعند دخوله المحضر المبارك، تفضل حضرة بهاءالله يخاطبه: "إن من قصدناه برجل ثقة بالضبط، هو أنت يا عبد الرحيم".

***

رفقة

ميرزا أقا حلبي ساز، مؤمن يعمل سمكرياً في دكان صغير يملكه في أحد أسواق مدينة يزد، سبق له أن تشرّف بلقاء حضرة بهاءالله.

في سنة 1891م، أصدر حاكم المدينة ‘جلال الدولة’ أمراً بإعدام سبعة رجال من البهائيين، وكانوا أول سبعة شهداء قدمتها هذه المدينة من مجاميع شهدائها السبع المتكررة.

في موكب طاف أرجاء المدينة وأزقتها وأسواقها وحاراتها وميادينها، ووسط مظاهر الفرح والانتصار وقرع الطبول والدفوف والمزامير والصراخ والصياح والتهليل والتكبير، أوثق الرجال السبعة بعضهم الى بعض بالسلاسل والأغلال، ودار بهم الجلادون والحراس والعوام في نواحي المدينة يذيقونهم أنواع العذاب والضرب والزجر، لقد كان في اعتقادهم أن ذلك يكسبهم الأجر والثواب عند الله ويدخلهم فسيح جناته. وعندما كان الموكب يصل لأحد تقاطع الطرق أو يمر بساحة عامة، يتوقف وسط أصوات اللعن والشتم الغاضبة، لتمتد الأيدي بقسوة متناهية، قلما شهد التاريخ شبهها، لتتلاقف أحد الضحايا لتقتله وتقطعه وتمثل بجثته ثم تتركه أشلاء مبعثرة على الأرض سابحة في دمائها تتقاذفه الأرجل وتطأه وتسحقه أقدام المشاة دون انتباه أو أهتمام أو حرمة. ثم يعود الموكب للمسير الى مكان آخر ومذبح جديد.. وهكذا..

بعد مرور المتظاهرون وهم يسوقون ما تبقى من الرجال السبعة من أمام محل ميرزا أقا حلبي حيث المشهد القادم. جلس

وغيره من المؤمنين داخل محلاتهم يراقبون في صمت وحزن شديد ما يجري أمامهم والألم يعتصر قلوبهم.

فجأة.. وبعد مرور جموع المتظاهرين وابتعادهم عدة مئات من الخطوات، إذا بأقا حلبي يشاهد وبكل تعجب واستغراب، حضرة بهاءالله يمر من امام دكانه مسرع الخطى محاولا اللحاق بالموكب.

لم يصدق الرجل ما شاهدت عيناه ولم يتمكن عقله من تحمّل ما يراه، لأنه يعلم كل العلم أن حضرته سجينا بين أسوار مدينة عكاء في فلسطين ويبعد عن هذا السوق آلاف الأميال. فقفز من مكانه لفرط دهشته ليخرج من المحل محاولا اللحاق به. لكن حضرته التفت اليه، وبإشارة حازمة من يده أمره بالعودة والجلوس في مكانه. فلم يكن أمامه إلا الوقوف عند باب المحل غارقاً في بحور العجب والاستفهام يراقب من بعيد ما سيحدث وما سيفعله حضرته وسط كل تلك الجموع. فإذا به يراه وقد أدرك ساحة الفداء ووقف بين ما تبقى من مجموعة الشهداء يراقبهم في نفس اللحظة التي تقدم فيها الجلاد نحو أحدهم لينزع عنه قيوده ويطعنه الطعنة الأخيرة.

غالباً ما ردد ميرزا أقا حلبي أمام الأحباء، ما شاهده في ذلك اليوم، رغم يقينه التام بوجود حضرة بهاءالله في سجنه في عكاء وليس في مدينة يزد، لكنه كان واثق جدا مما شاهد ورأى.

يتضح من فحوى هذه القصة، أن الشهداء وهم في طريقهم الى مذبح الفداء، لم يكونوا في تلك اللحظات الرهيبة يمشون لوحدهم، وأن مظاهر القوة والثبات والعظمة والشموخ والكبرياء والسعادة والفرح والروحانية العالية المتجلية عليهم والظاهرة على وجوههم، لم يكن مصدرها سوى وجود حضرته بنفسه بينهم وبقربهم، وهو الذي يمدّهم ببعض من قوته النافذة الخارقة الجبارة.

ومن يشهد مثل هذا المشهد الخارق لقوانين الطبيعة، لا بد وأن يوقن ويؤمن تماما بأحقية هذا الظهور المبارك ويتملكه الشوق للمسير في نفس الركب.

ودار الزمن دورته، ولم تمر إلا عدة سنوات حتى جاء دور أقا ميرزا حلبي ليشرب بثمالة من ذات كأس الفداء الطافحة بعينها.

***

وحيد زمانه

قرر ملك إيران محمد شاه، بعد تفكير طويل اختيار العالم النحرير المشهور "وحيد دارابي"، كبير علماء بلاده وأكثرهم حكمة ومعرفة، لإرساله في التحقيق من أمر الشاب الشيرازي الذي ملأت شهرته الآفاق وتبعه كثير من الناس من مختلف طبقات الشعب، خلال وقت قصير جدا.

قال الملك يخاطب العالم الجليل: "توجه فورا الى مدينة شيراز وقابل السيد الشاب، وابحث عن صحة الروايات التي نسمعها عنه، ثم أطلعنا شخصياً بالتفصيل عما تكتشفه".

دخل المبجل "وحيد" بعد طول سفر وعناء كبير، مدينة شيراز وهو يمتطي جواده ومن ورائه مجموعة من الأتباع والخدم، وقد استقر رأيه خلال الرحلة على الأسئلة التي سيوجهها لحضرة الباب والتي سيتبين من خلالها صدق أو بطلان دعوته.

استمر "وحيد" أثناء المقابلة الأولى في الكلام زهاء الساعتين، وصال وجال وطرح مختلف المواضيع والأسئلة وتفاخر بسعة علمه ومعرفته وكثرة إطلاعه، ولم يترك أي فرصة لمضيفه الشاب في الكلام.

بينما جلس حضرة الباب يستمع اليه بهدوء وبصبر إلهي.

فجأة.. إذا بـ "وحيد" يشعر بالحياء والخجل من طول استعراضه ومباهاته بعلومه، وأدرك أنه تكلم ما فيه الكفاية، فحاول تلافي الموقف وعلامات الخجل تغمره، واحمرار الوجه يفضحه، فلم يجد إلا اللوذ بالصمت.

هنا.. فتح حضرة الباب فمه المبارك، وشرع في الحديث وإنزال الآيات الإلهية بهدوء الرسل وحكمتهم، وقدّم أجوبة مختصرة واضحة شافية لجميع الأسئلة التي تناولها ضيفه العالم الجليل، مما أثار إعجابه ودهشته ومحى عنه إحساسه بالزهو والعظمة، وارتبك وخجل لما بدر منه من غطرسة وتفاخر، وشعر بالصغر وقلة الشأن، فلم يجد أمامه إلا الاسراع بالاستئذان والانصراف.

بعد تفكير طويل، أيقن "وحيد" أن تحرياته لا بد أن تنتهي في المقابلة التالية. فقد حدد في ذهنه أسئلة واضحة مباشرة وفي صميم المواضيع المطلوبة، كما قرر أن يكون أكثر تهذيباً وحزماً.

لكنه.. وجد نفسه حينما دخل المحضر المبارك، يناقش أموراً لا علاقة لها البتة بما عزم على بحثه ومناقشته، وتبخرت من ذاكرته جميع الأسئلة التي كان ينوي طرحها. ومما زاد في دهشته وعجبه أكثر، خلال الجزء الأول من المقابلة، أنه وجد حضرة الباب يجيب عن الاسئلة التي جهزها مسبقا ونسي طرحها، وبنفس الوضوح والايجاز اللذين أثارا إعجابه من قبل.

وعندما أدرك ما كان يتفضل به حضرة الباب ودقة إجاباته للأسئلة التي لم يطرحها للبحث، والتي ضاعت من ذاكرته وخبايا عقله. أفاق بفزع ودهشة، بالرغم من انجذابه الشديد لاسلوب ومنطق مضيفه، وبقي صوت خفي يهمس في داخله ويتساءل:

"هل يكون كل هذا مجرد صدفة عابرة؟!".

فأخذه الاضطراب أكثر بكثير من المقابلة الأولى، ولم يستطع جمع شتات أفكاره والبقاء ولملمة معالم خجله. وللمرة الثانية، وجد نفسه يلتمس على عجل الإذن بالانصراف، ويغادر المحضر الأعلى.

فيما بعد.. كتب "وحيد" بنفسه شهادته وبالتفصيل عما حدث في المقابلة الثالثة والأخيرة مع حضرة الأعلى، ليس للملك ولرئيس الوزراء فقط، بل وثيقة قيّمة للأجيال القادمة أيضا، قال:-

"نتيجة لما شاهدته وسمعته من أجوبة حضرة الباب وتفاسير أسئلتي التي لم أفصح له عنها، وخوفي من يكون ذلك مجرد صدفة لا أكثر. صممت في مقابلتي الثالثة داخل نفسي وفي سرّي بعدم المجاهرة بطلب برهان منه على صحة دعوته، وسأطلب منه في قرارة نفسي كتابة تفسير لسورة معينة من القرآن الكريم، كانت ولا تزال موضوع اهتمامي الدائم. وقلت في نفسي:

إن فعل وفسّر السورة، باسلوب جديد مختلف عن المقاييس الدارجة المعتادة بين الناس، فسأعترف فوراً بصدق أمره، بل وسأعتنق دعوته في الحال. أما إذا فشل فسأنكره.

ثم يكمل جناب وحيد: كم من مناسبة كنت في محضر الملك، دونما شعور برهبة أو حرج. لكنه.. وبمجرد دخولي لمحضر الباب المبارك في المقابلة الثالثة، تملكني شعور شديد من الخوف والرهبة، لم استطع تعليله أو تفسير سببه، وأخذت أطرافي ترتجف بقوة بمجرد أن نظرت الى وجهه المبارك، وشملتني رهبة عنيفة هزت أركاني فلم استطع البقاء واقفا.

وحال مشاهدة حضرته سوء حالي واضطراب كياني، نهض من مقعده ويتقدم مني ليأخذ بيدي ثم ليجلسني بجانبه. بينما أنا في تمام الضعف والعجز عن النطق والكلام. وتفضل:

" أطلب مني كل ما يرغبه قلبك، فأظهره لك في الحال... لو أنزلت لك تفسيراً لسورة الكوثر، هل تقرّ أن ما أنطق به وحياً من عند الله؟ وهل تشهد أن ما أتفوه به لا يمكن ربطه قط بالسحر أو الشعوذة؟".

عندما سمعت كلماته هذه، انفجرت الدموع من عيني. وكل ما استطعت التفوه به، هو: "ربنا إنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين".

هكذا انتهت قصة تحري ملك ايران لأمر السيد الباب المبارك، فالعالم النحرير 'وحيد' المعترف له بالأفضلية والرفعة بين جميع علماء الدين في فارس، والذي اختاره الملك بنفسه رسولا شخصيا ومحققا بديلا عنه. هذا العالم الجليل، اعتنق دعوة الباب وصار من أشهر ناشري دينه بين الناس، بل وكان مصيره في النهاية الاستشهاد في سبيلها.

***

" أنا سجين "

تفضل حضرة عبدالبهاء يحكي احدى القصص التي حصلت له في حياة والده، قائلا:

"سمعت ذات يوم حضرة الجمال المبارك، يتفضل:

"إني لم أشاهد الخضرة والأشجار والحقول منذ تسعة أعوام. إن الريف عالم الروح، أما المدينة فعالم الجسد".

فأدركت على الفور وبصورة غير مباشرة، أنه يرغب في رؤية الريف والخضرة وجمال الطبيعة، وكنت متاكداً أن أي عمل يحقق هذه الرغبة المباركة، سيكلل بالنجاح.

كان هنالك قصر جميل يسمى (قصر المزرعة) أو (قصر عبد الله باشا)، يبعد حوالي أربعة أميال خارج مدينة السجن، تحيط به من كل جانب الاشجار والمروج الخضراء والمياه الجارية الصافية، تعود ملكيته لأحد أغنياء عكاء المعارضين للأمر المبارك، ويدعى 'أحمد باشا صفوت'. فقررت استئجار البيت منه، وذهبت اليه وقلت له: يا باشا.. يبدو أنك لا تحب السكن في الريف خارج المدينة. وأراك قد تركت قصرك خالياً وسكنت داخل عكاء.

فأجابني: أنا رجل مريض وعاجز ولا يمكنني مغادرة المدينة. وهناك سأكون وحيدا بعيدا عن اصدقائي.

قلت له: بما أنك تركت المكان خاليا، هل يمكننا استئجاره منك؟

أدهشه اقتراحي، لكنه وافق عليه بسرعة. وبهذا حصلت على البيت بايجار بسيط، ودفعت له أجر خمس سنوات مقدما، ووقعنا عقدا بذلك.

أرسلت بعدها عمالا وحرفيين لاصلاح المكان وترميمه وتشييد حمام جيد فيه، وترتيب الحديقة وتنسيقها وزرعها بالورود والأزهار. ثم تدبرت عربة جهزتها لاستعمال الجمال المبارك الخاص.

وبعد فترة من بدء الاصلاحات والتحسينات، قررت الذهاب بنفسي للاطلاع على المكان ومشاهدة ما يحتاجه.

فخرجت مجتازا باب المدينة وأسوارها تحت سمع وبصر الحرس ودون اعتراضهم، وبالرغم من أوامر السلطان العثماني المتكررة والشديدة بعدم مغادرتي أسوار المدينة.

كما كررت زيارتي للقصر في اليوم التالي مرة أخرى، والحرس يقفون عند جانبي بوابة المدينة غير معترضين. وعند اكتمال الترميمات، أعددت وليمة كبيرة في حديقة القصر تحت أشجار الصنوبر، لأعيان المدينة وشخصياتها وكبار موظفيها، دامت حتى المساء.

ثم جاء اليوم المشهود، حينما دخلت المحضر المقدس المبارك للجمال المبارك، وقلت:

إن قصر المزرعة جاهز لاستقبالكم.. وهناك عربة خاصة تقف عند باب البيت مهيأة لنقلكم اليه.

فرفض حضرة الجمال المبارك فكرة الذهاب، قائلا:

"أنا سجين".

فلم أزد على كلامي شيء، وانسحبت من محضره فورا.

وفي وقت آخر.. تقدمت اليه أسأله عين السؤال، فجائني نفس الجواب.

في تلك الأيام، كان مفتي مدينة عكاء، رجلا محترما مشهورا، ذو مكانة اجتماعية محبوبة ومرموقة بين السكان، يدعى الشيخ 'علي ميري'. وهو رجل يحب الجمال المبارك كثيرا، وله حظوة ومنزلة عند حضرته.

فأرسلت له خبراً أطلب منه زيارتي. وبعد حضوره، شرحت له ما حصل بالتفصيل، وقلت له:

"أنت رجل شجاع وجسور، والجمال المبارك يحترمك ويقدرك، واعتقد أنه لن يرفض لك طلباً، وعندنا مشكلة لا يملكه

حلها إلا أنت. فاذهب للمحضر المبارك هذه الليلة، وأطلب منه مغادرة المدينة والذهاب للسكن في قصر المزرعة. وإذا رفض، أركع على ركبتيك أمامه، وخذ يده وقبلّها، وحاول أن لا تترك محضره إلا إذا وعدك بترك المدينة".

بسماعه هذه الحكاية، انطلق الشيخ 'علي' في الحال الى المحضر المبارك، وبعد الاستئذان دخل ليعرض التماسه. وعندما قوبل بالرفض المتكرر، جثى على ركبتيه وأمسك بيدي حضرة بهاءالله يقبلهما، ويقول راجياً:

مولاي.. لماذا لا تترك المدينة؟ إن كل شيء معد لاستقبالك.

أجاب حضرة بهاءالله: **"أنا سجين".**

فقال الشيخ علي: لا سمح الله. من ذا الذي يملك القوة أو القدرة على سجنك؟ أنت الذي سجنت نفسك بنفسك؟ إنها رغبتك أن تكون سجينا. أتوسل إليك أن تخرج وتذهب الى القصر. إنه جميل ورائع وتحيط به الخضرة والأشجار الباسقة من كل جانب. أما أثمار البرتقال فتبدو وكأنها كرات نار متدلية من أغصانها الخضراء.

وكلما أجاب حضرة الجمال المبارك:

"أنا سجين لا يمكنني ذلك".

كان الشيخ يزداد توسلا وتقبيلا ليديه. واستمر الوضع على هذه الحال قرابة الساعة.

في النهاية.. تفضل حضرة بهاءالله: **"خيلي خوب".** أي حسن جداً.

عندما عاد الشيخ علي ليبشرني بهذه البشرى السارة، كافأته على صبره وإصراره.

وفي اليوم التالي عندما اصطحبت الجمال المبارك بعربتنا الى خارج أسوار عكاء في طريقنا الى قصر المزرعة، لم يعترضنا أحد حتى وصولنا الى هناك.

وبعد أن تأكدت من كمال الترتيبات اللازمة لراحته، تركته وعدت لوحدي الى بيتي داخل الأسوار.

***

لا تدخله هنـا..

يتفضل حضرة عبدالبهاء: " عندما كنت صغيرا، ذهبت لزيارة والدي في سجن ‘سياه جال’ بصحبة خادم بيتنا الأسود.. وبعدما أشار لنا السجانون نحو جهة الزنزانة، تقدمنا لنقترب من بابها ولننظر من خلالها، فإذا بها مكانا مظلما ينحدر نحو الأسفل عدة درجات بينما تنبعث منها الروائح العفنة.

حملني الخادم على كتفيه وتوجهنا لدخول ذلك الممر الضيق الصغير، كان علينا هبوط السلّم أولا.. بعدما نزلنا درجتين، لم نعد نستطيع رؤية شيء من شدة الظلام. وبينما نحن وسط السلم، لم ندخل الزنزانة بعد.. اذا بصوت الجمال المبارك يعلو من داخل الظلمات آمرا الخادم:

" لا تدخله هنا.. ".

فورا.. أعادني الخادم الى فناء السجن.. وجلسنا لساعة تقريبا ننتظر خروج السجناء للراحة والتعرض لأشعة الشمس..

بعد ذلك، وواحدا تلو الآخر.. ظهر السجناء مسلسلين بعضهم لبعض من خلال تلك الفتحة الصغيرة. ثم لاح هيكل الجمال المبارك مقيدا مع بقية السجناء، يسحب سلاسله بصعوبة بالغة.

أحزنني كثيرا منظر والدي وهو في تلك الحالة، ومزق فؤادي. فسقطت فاقد الوعي.

***

اشارة أم صراحة؟

تفضل حضرة عبدالبهاء قائلا:- " ذات يوم.. دخل ‘ميرزا تقي خان’ رئيس وزراء ناصر الدين شاه، المسؤول المباشر عن اصدار أمر استشهاد حضرة الباب والعديد من المؤمنين. دخل الى أحد المجالس في طهران حيث كان حضرة بهاءالله حاضرا هناك.

ودار الحديث بين الحاضرين في مختلف المواضيع، ليتطرق في النهاية الى معاني بعض آيات القرآن.

فأشار ‘ميرزا تقي خان’ بطريقة غير لائقة، وتساءل بسخرية عن معنى الآية الكريمة: (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب يابس الا في كتاب مبين)الانعام 59.

عندما شاهد حضرة بهاءالله سوء تصرف الرجل واستهزائه، أجابه مؤكدا على صحة الآية السابقة وحتميتها.

وعندما سأله الحاضرون توضيح معنى ذلك، أضاف: ان الآية تعني ان القرآن هو مستودع لكلمات الله ويحتوي على مواضيع مختلفة وكثيرة مثل التاريخ والتفسير والنبوآت.. الخ. وتنطوي بين

صفحاته معاني لحقائق مقدسة. ولو أمعن الانسان النظر فيه جيدا، لاكتشف وجود كل شيء داخله.

بسماع ميرزا تقي، هذا البيان، تساءل بطريقة ساخرة وقال:

وهل أنا مذكور فيه شخصيا؟

فأجابه حضرة بهاءالله، بحزم: "نعم مذكور".

عاد ميرزا تقي ليسأل وهو يتظاهر برسم علامات التعجب على وجهه: هل اشارة أم صراحة بالاسم؟

أجاب حضرة بهاءالله: بل واضح صراحة بالاسم.

فزاد هذا الجواب من سخرية ميرزا تقي وقال: عجيب، لماذا اذا لم أجد أي اشارة لذكري في القرآن؟

أجاب حضرة بهاءالله: "ان اسمك مذكور في سورة مريم الآية 18: " قالت أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا".

غضب ميرزا تقي خان لهذه الاشارة التي حطت من قدره أمام الحضور، لكنه حاول عدم اظهار ذلك. وبدلا من السكوت والتزام الصمت، حاول التمادي في سخريته من القرآن الكريم ومن حضرة بهاءالله، وطرح سؤالا آخر، فقال:

ماذا عن والدي "قربان" هل جاء ذكره في القرآن أيضا؟

أجاب حضرة بهاءالله: "نعم".

تساءل ميرزا تقي: اشارة أم صراحة بالاسم؟

أجاب حضرة بهاءالله: "لقد ذكر صراحة بالاسم في سورة آل عمران آية 183: "ان الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار".

***

الشيخ محمود

الشيخ محمود، عالم مسلم عربي من عائلة معروفة في مدينة عكاء. كان مثالا لمن ملك مشاعرا وأحاسيس روحانية، واستطاعوا بفطرتهم السليمة، معرفة مقام حضرة بهاءالله بدون الاتصال او التقرب من البهائيين وقت وصول حضرته منفيا الى المدينة.

كان الشيخ محمود صغيرا في حوالي العاشرة من عمره، حينما أخبره شيخ كبير السن ورجل دين محترم كان صديقا لأبيه، ويدعى (ابو محمود) وبحضور والده، انه شاهد في منامه، ان القائم الموعود، سيأتي الى عكاء، وسيتكلم اللغة الفارسية، وسيسكن في غرفة عالية فوق أعلى سلم طويل.

وقال الشيخ يخاطب الولد الصغير: ستكون في ذلك اليوم، قد بلغت مبلغ الرجال. فأرجو منك ان تنتظر وتتذكر آنذاك هذا الحديث، ولا تنساه.

مضت السنين ودارت الأيام، وترعرع الفتى، وصار رجلا قويا متعلما تقيا محترما من قبل أهالي المدينة، وعرف بينهم، باسم الشيخ محمود. لكنه، نادرا ما كان يتذكّر تلك الرؤيا، او يفكر بها، بل انه نسيها تماما.

عندما جاء حضرة بهاءالله الى عكاء، لم يخطر في ذهن الشيخ محمود، ان حضرته، هو ذلك الرجل الذي اخبر عنه الشيخ الكبير قبل سنين عديدة. بل على العكس، استاء جداً وغضب من تصرف الحكومة العثمانية لإرسالها مثل هذا السجين الى مدينته، خاصة والسلطات، قد وصفت حضرته، بـ (الرجل الشرير) و (رب الايرانيين).

بقي الشيخ محمود، هائجاً غاضباً لبعض الوقت، يريد تخليص مدينته من هذا الدخيل الغريب.

ومن الجدير بالذكر، انه بعد فترة قصيرة من سجن حضرة بهاءالله، في القلعة العسكرية، خفّفت السلطات الحكومية قيودها الشديدة الظالمة عن حضرته. فمثلا، سمحوا لمجموعة صغيرة من اتباعه السجناء، بزيارة المدينة يوميا للتسوّق وشراء حاجياتهم الضرورية، وذهب حضرة عبدالبهاء، بنفسه مراراً للسوق معهم. وبهذه الطريقة، تعرّف أهل المدينة، على شخصيته الجذابة، وأثرت فيهم، فأحبوه واحترموه، وراحوا يتساهلون في تعاملهم مع السجناء. كما خفّف الشيخ محمود، من عدائه تجاه حضرة عبدالبهاء. ولكنه، وكرجل دين، لم يتغير تجاه وجود مجموعة المنفيين، ممن يعتبرهم كفرة ملحدين. لذلك قرر، وضع حد لكل هذا بنفسه.

خبأ الشيخ محمود ذات يوم، سلاحا تحت عباءته، وذهب مباشرة الى القلعة، ينوي اغتيال حضرة بهاءالله باعتباره الشخصية الرئيسية بين المنفيين. وأخبر الحرس على بوابة السجن، انه يريد لقاء حضرته. لكنه، لم يفصح عن السبب الحقيقي للزيارة.

ولأنه رجل ذو مكانة محترمة بين أهالي عكاء، لم يعترض الحرس على نقل طلبه الى حضرة بهاءالله.

فتفضل حضرته، مخاطبا الرسول:

(قل له.. ان يتخلص من سلاحه، ويأتي).

تعجب الشيخ محمود كثيرا، لسماعه هذا الجواب. فلقد كان متأكد جداً، من ان أحداً لم ير سلاحه مخبئاً تحت عباءته.

فعاد أدراجه الى بيته، وهو بحالة شديدة من الاستغراب والتعجب.

الا ان فكره المضطرب، لم يهنأ. وبقي في حالة من القلق والحيرة لفترة من الزمن. حتى قرر العودة للقلعة مرة ثانية، ولكن بدون سلاح هذه المرة، لثقته بقوة جسمه، وان باستطاعته قتل حضرة بهاءالله، بيديه العاريتين. لذلك جهّز نفسه، وذهب الى السجن مرة ثانية، وتقدم للحرس بنفس الطلب السابق.

الا ان حضرة بهاءالله، تفضل، قائلا:

(ليصفّي قلبه أولا، ثم يدخل).

فإرتبك الشيخ محمود من جديد، واحتار من شدة وقع الجواب، وعاد لبيته مضطربا أكثر من المرة السابقة.

في ذات ليلة، شاهد الشيخ محمود في منامه، والده ومعه الشيخ المسن وهما يذكّرانه بالرؤيا الخاصة بالموعود.

وهنا تذكر الشيخ محمود الوصية. فذهب الى القلعة، ودخل محضر عبدالبهاء، ودار بينهما حديث روحاني لطيف، طهّر قلب الشيخ من الظنونات والوساوس التي شغلت تفكيره. وأكد لحضرة عبدالبهاء، على ضرورة تشرّفه بالمحضر المبارك. وحال دخوله، وجد ان عظمة وجلال محيّا حضرة بهاءالله، سيطرت على كل كيانه وعقله وروحه، وشاهد بأم عيناه، تحقق رؤيا وصول الموعود الى عكاء. فألقى بنفسه على قدميه، وأصبح مؤمنا راسخا.

بعد معرفة الشيخ محمود، لمقام حضرة بهاءالله، نهض لخدمته وخدمة أمره المبارك، ولعب دورا مهما في مساعدة الاحباء على دخول المدينة وايوائهم واخفائهم، ليتمكنوا من زيارة المحضر المبارك، حيث كانت القيود ما تزال شديدة على السجناء، ولا يسمح لأحد بزيارتهم او لقائهم.

فكان في بعض الحالات يأمر برمي الحبال، من فوق أسوار المدينة العالية، حتى يتمكن مع مجموعة من رفاقه وخَدَمِهِ، من رفع

الزوار البهائيين الى داخلها. وفي أخرى، كان يغادر المدينة في وقت النهار، ليعود اليها ليلا وهو بصحبة مؤمن زائر جديد يحمل بيده فانوسا، ويمشي أمام الشيخ كخادم او تابع. وبعد اتمام الزيارة وتشرف الزائر، يساعده مرة ثانية في ترك المدينة بنفس الطريقة.

أحب حضرة عبدالبهاء الشيخ محمود الذي خدم الأمر المبارك، باخلاص حتى نهاية حياته.

أما الشيخ محمود، فقد ترك للأجيال، كتاباً قيماً، جمع فيه غالبية الاحاديث الشريفة للرسول الكريم(ص)، الخاصة بمستقبل مدينة عكاء الرائع.

***

جناب ورقاء

في زيارته للأرض الأقدس، أول مرة سنة 1878-1879، انجذب جناب ورقاء تماما، لقوة وحي حضرة بهاءالله الشديدة. ومن ساعتها، خُلق هذا الرجل من جديد، خَلقا جديدا، وأصبح من عمالقة هذا العصر الروحانيين.

عندما وقعت عينا جناب ورقاء لأول مرة على وجه محبوبه حضرة بهاءالله، استغرب واندهش كثيرا، لأنه اعتقد انه قد شاهده من قبل في مكان او زمان ما. لكنه لم يستطع تذكر المناسبة او المكان رغم محاولاته. وبقي متحيرا يحاول التذكر، الا انه كان يفشل في كل مرة، رغم زياراته المتكررة لمحضر مولاه.

وذات مرة، تفضل حضرة بهاءالله، وفاجأ جناب ورقاء، قائلا:

(ورقاء ..احرق أصنام أفكارك البالية!)..

بسماع جناب ورقاء لهذه الكلمات، استرجع في ذهنه على الفور حلما قديما كان قد رآه في عمر الطفولة. فقبل سنين عديدة، شاهد في منامه ذات ليلة، وهو يلعب ويلهو بألعابه داخل حديقة، أن الله سبحانه وتعالى، جاء اليه بنفسه، وأخذ ألعابه منه، ثم حرقها في النار.

وعندما قصَّ الطفل ورقاء في اليوم التالي، حلمه على والديه. تعجبا كثيرا، وقالا له: لا يمكن لأحد، رؤية الله سبحانه وتعالى.

مع مرور الايام والسنين، نسي ورقاء حلمه تماما. حتى جاء ذلك اليوم، الذي تفضل فيه حضرة بهاءالله، بتلك الجملة التي ذكّرته مرة ثانية بذلك الحلم القديم. عندها، عادت تفاصيل الرؤيا لذاكرته، وأدرك انه سبق وشاهد حضرة بهاءالله، في منامه عندما كان طفلا.

بقي جناب ورقاء، يتذكر ويفكر في نفسه، عن تفسير ما شاهده في منامه، ويزداد حيرة واندهاشا يوما بعد يوم.

وفي احدى المناسبات، واثناء تشرّفه بمحضر بهاءالله، خطرت على باله فكرة طارئة حينما كان ينظر الى محيّا حضرته بعشق وولهه، فقال وهو يتكلم في نفسه: "أنا أعلم انه مظهراً إلهيا، الا انني أتمنى ان يعطيني علامة تزيدني يقيناً في هذا الخصوص".

وفي نفس اللحظة ايضا، خطرت في فكره الآية القرآنية": (وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)[22\5]. وتمنى في قلبه في تلك اللحظة بالضبط، لو ان حضرة بهاءالله، يعيد ذكر هذه الآية، ليحقق له أمنيته، ويزيده ثباتاً وايقاناً.

بعد مضي قليلا من الوقت، وخلال حديث حضرة بهاءالله، اذا به يذكر نفس الآية القرآنية.

فتسائل ورقاء، في نفسه متعجباً، وقال:

هل هذه مجرد صدفة؟

وحالما خطر هذا التساؤل في رأسه.

التفت اليه حضرة بهاءالله، فجأة. وتفضل:

ألا يكفي هذا برهاناً لك؟

فصعق ورقاء وإهتز بعنف، وتأكد في سويداء قلبه من حقيقة كلمات حضرته التي تقول: "يا أيها الغافلين! لاتعتقدوا ان اسرار القلوب مخفيّة علينا، فاعلموا انها مكشوفة وظاهرة لنا". الكلمات المكنونة.[59].

ليس من الحق بشيء، ان يمتحن العبد ربه، بل الحق هو: ان الله هو الذي يمتحن عباده.

ان حضرة بهاءالله، نادرا ما يستجيب لمن يطلبون منه معجزات. لكنه غالبا ما ينزل رحمته لمن يعترفون به لتقوية ايمانهم. ومن خلال هذه التجربة، وأخريات كثيرة غيرها، وصل ورقاء الى الايقان والثبات وعوالم روحانية بعيدة، بحيث لم يكن لهذه الدنيا عنده أية قيمة فيما بعد.

وذات مرة، ومن شدة محبته وعشقه لحضرة بهاءالله، توسل اليه قبول فداء حياته في سبيل الله.

وهذا ما حصل فيما بعد.

***

ليلـة بكل العصور

سكن الحاج طاهر مالميري في مدينة عكاء، اثناء فترة اقامته هناك للحج في غرفة تقع بجانب غرفة نبيل أعظم بجوار السوق الابيض. واعتاد هذين الصديقين العملاقين، تقاسم غرفتيهما

المطلتين على الشارع الذي يمر منه حضرة بهاءالله، وهو في طريقه الى قصر (البهجة).

ذكر الحاج طاهر مالميري في مذكراته، حادثة مثيرة حصلت خلال تلك الأثناء ارتبطت بزمن وصول حضرته الى القصر، وتعتبر هذه الحادثة، من أهم الأحداث التي وقعت للحاج مالميري خلال شهور حجه التسعة التي تشرف خلالها بمحضر مولاه.

فكتب يقول:

غادر حضرة بهاءالله، في مساء احد الايام، مدينة عكاء قاصداً قصر البهجة، الذي يقع خارجها بعدة أميال، وكان هذا العبد، يعيش مع جناب نبيل أعظم، في غرفتنا الواقعة في الطابق العلوي لخان السوق الابيض. وكان للغرفة خمسة شبابيك زجاجية تطل على الشارع مباشرة. وغالبا ما كنا نجلس بجانب الشباك ننظر الى الشارع ننتظر رؤية جلال بهاء حضرة بهاءالله، وهو يمر من أمامنا.

ذات يوم بعد حوالي ساعتين من المغيب، اذا بنا نرى حضرة بهاءالله، يمر من أمامنا، ممتطيا حماره الابيض الخاص، يتبعه خادم الله، ميرزا أقا جان. بعد مروره بثوان قليلة، اقترح جناب نبيل، اللحاق به وتتبعه مشيا على الاقدام، للتشرف بالطواف حول قصره المبارك، ثم العودة بعدها الى البيت.

وعلى الفور، وافقته على اقتراحه بحماس وبدون تردد، ثم نهضنا راكضين الى الاسفل نتقافز فوق درجات السلم، ورحنا نمشي بسرعة خلف حضرته، محتفظين بمسافة حوالي خمسين خطوة بيننا وبينه.

باقترابنا من القصر، وجدناه مضاءاً بمصباح نفطي كبير، يمكن رؤية نوره عن بعد من خارج القصر بوضوح. كان لهذا

المصباح ثلاث فتائل، وهو من النوع النادر غير المتوفر في تلك المناطق، وكنت أحب هذا الفانوس كثيراً، لأني جلبته مع جناب محمد خان بلوش الى الأرض الأقدس، وكان قد اشتراه الحاج سيد ميرزا افنان، وأرسله هدية من بومبي، الى حضرة بهاءالله، معنا.

بعد ان دخل حضرته القصر، تقدمنا نحو البناء، للتبرك والطواف حوله، إلا اننا فوجئنا، بسماع أصوات كثيرة مبهمة تصل أسماعنا من حول القصر لأشخاص لا نراهم رغم اننا كنا نعلم جيدا انه لم يخرج أحد من عكاء، في ذلك المساء، للطواف حول القصر غيرنا، واننا جئنا بدون اذن مسبق من حضرته.

وعلى كل حال، وبما انه لم يكن هناك مجال للسير على الممر المحيط بالبيت، فقد تراجعنا بمسافة، ورحنا نطوف حول القصر بشكل دائري من مسافة ثلاثين خطوة تقريبا، مما اضطرنا للمشي في الحقول المبللة والخوض في الاراضي الموحلة.

وخلال دورانا حول القصر، كنا نشعر بشكل مؤكد تماما، بوجود حشد من الناس على مقربة منّا، على جوانب البناية الاربعة، الا اننا لم نكن نرى أحدا غيرنا.

اخيرا.. وبعد اتمام الطواف والتبرك، سجدنا قبالة باب القصر، ثم عدنا أدراجنا الى عكاء، وقد بلل المطر الغزير ملابسنا وابتلها تماما.

وحال وصولنا بوابة عكاء، وجدنا الحرس وهم على وشك اغلاقها. فالأوامر تقضي باغلاقها كل ليلة، بعد المغيب بأربع ساعات. وهذا يعني ويؤكد لنا، عدم وجود غيرنا نحن الأثنين خارج المدينة.

بوصولنا الى بيتنا، اقترح نبيل، السهر تلك الليلة، ثم قال: سأكتب قصيدة، أما أنت، فجهّز لنا الشاي.. وهكذا، أعددت الشاي

عدة مرات في تلك الليلة، بينما جلس هو يؤلف قصيدته. لقد كان شاعراً موهوباً.

أكمل نبيل قصيدته على ورقة كبيرة عند حلول الصباح، ثم أرسل نسخة منها الى حضرة بهاءالله مع علبتي سكر كهدية.

كانت غالبية القصيدة، تتحدث عن تاريخ سجن حضرة بهاءالله، ونفيه الى بغداد ثم استنبول فأدرنة واخيرا عكاء، وماعاناه حضرته في قلعتها العسكرية، وعن تأجير حضرة عبدالبهاء، قصر عودى خمار، واستعماله سكناً لوالده المبجل. ثم عطف على شرح احداث تلك الليلة، عندما ذهب فيها حضرته الى القصر، وكيف تتبعناه معا، ذاكرا تفاصيل موضوع الطواف حول القصر. كما شرح ايضا سهرتنا وكتابته القصيدة وتجهيزي الشاي.

عند استلام الجمال المبارك قصيدة نبيل، انزل لوحا على شرفه وشرفي، وفيه وافق بلطف على حجّنا لبيته، وأنعم على نبيل لقب (بلبل)، وعليّ بلقب (بهاج).[1]

***

(1) وفي رواية ثانية، انهما لم يدركا ماذا يجري حول القصر المبارك ولم يفهما حقيقة الموقف حتى بعد عودتهما الى بيتهما. وبعد حوالي خمسة عشر سنة، أنزل حضرة بهاءالله لوحا لأحدهما يخبره فيه عن حقيقة ما جرى في تلك الليلة.

ذكريات تاريخية رائعة

يحكي الحاج ‘ميرزا حبيب الله’، ابن ‘أقا ميرزا أقا’، ابن أخت ‘خديجة بكم’، زوجة حضرة الأعلى، انه عندما كان في الخامسة عشر من عمره، أورد في مذكراته قصصا لطيفة وجميلة عن أيام زيارته مع عائلته لأرض الأقدس. وفيما يلي، نورد بعضا منها:

عندما وصلت سفينتنا الى ميناء حيفا، كانت فكرة الركوع والسجود التي تمناها كل الانبياء والمختارين عند عتبة حضرة بهاءالله والدخول في محضره المبارك، قد خلقت رغبة واثارة قويتين في قلوبنا، نقلتنا بدموع تسيح بغزارة على خدودنا الى عالم آخر. انها البقعة المباركة، التي تدور حولها جميع ارواح المظاهر الإلهية المقدسة ليلا ونهارا. واستعدادا لهذا لموقف الرائع القادم، علّمنا أخي الكبير، ‘آقا سيد آقا’، الذي سبق وتشرف بمحضر بهاءالله المبارك، آداب التصرف عند اللقاء بكامل العبودية والخضوع ونكران الذات. وأتذكر ساعتها جيدا، ان الشمس لم تكن قد أشرقت تماما بعد، والهواء كان عليلا منعشاً، عندما اصطحبونا الى خيمته المباركة المنصوبة على سفح جبل الكرمل..

ولقد تحققت رغبتنا الغالية، عندما أزاح دليلنا الستارة جانبا، ووقع بصرنا على قداسة هيكل الجمال المبارك في وسط الغرفة. وكان أقا جان، يجلس على جانبنا الايمن مقابل (السماور).

فأمر حضرته لنا بالشاي، ثم خاطبنا بهذه الكلمات: (مرحبا بكم، يا أوراد حديقة جناب الأفنان. ان رحلتكم من شيراز كانت صعبة جدا. ان ارادة الله، ومساعي جناب الأفنان، مكنتكم من الدخول في هذا المحضر المقدس).

بعدها.. استؤجرت لنا، الدار المجاورة لمنزل حضرته، ومكثنا في جوار هيكله الأنور.

ان التشرف بمحضره المبارك ومقابلة الاصحاب الأوائل، أَنسَتنا كل شيء. ومن المستحيل وصف حلاوة متعتنا الروحانية في تلك الايام.

كان الجو يتحسن في حيفا وعكا، فالخريف على الأبواب، والجمال المبارك، قد عاد الى قصر البهجة. وكان بامكاننا مشاهدة غرفة حضرته من هناك، خاصة عند الفجر، عندما ننهض لقراءة الدعاء والمناجاة، فنراها مضاءة دائما وحضرته يتمشى ذهابا وإيابا منزلاً الآيات، بينما 'آقا جان'، قائم على تدوينها.

في تلك الايام، كان ميرزا يوسف خان وجداني، وسيد أسد الله قمي، يعملان على تدريس الأغصان. فأمر حضرته ثلاثتنا، بدخول الدروس معهم (الحاج ميرزا بزرك، والحاج ميرزا ضياء، وأنا)، كما علّمنا جناب مشكين قلم، أصول الكتابة والخط، وخصصت لنا، اضافة الى ذلك، غرفة ارضية في القصر للدراسة.

ذات يوم، وقبل الشروق، ابلغنا أحد خدام حضرة بهاءالله، ان حضرته قادم لتشريف بيتنا. بسماعنا هذا النبأ، انهمرت دموع الفرح من عيوننا، واسرعنا بسرور لا متناهي نحوه، فرأيناه قادما لبيتنا بكل العظمة والبهاء. فسجدنا له، وقبلنا قدميه. فأنزل على كل واحد منا بركاته. ثم دخل بيتنا ووهبنا شرفاً لا حدود له. وقدّمتُ له

كوب من الشاي، شرب نصفه واعطاني الباقي. كما أعطاني وردة كانت بيده. فقبّلت يده.

في الحقيقة، اني أحب تلك الزهرة كما أحب حياتي، وقد قدّمتها لأرشيف بيت حضرة الباب في شيراز.

لقد رأيت جماله مرارا في ساعات البكور أو في أول أوقات الصباح، وهو منشغل بانزال آيات الله. كان حضرته يتكلم، وآقا جان، ماثل بين يديه يكتب في محضره وأمامه المحبرة وبحوزته العديد من الاقلام الجاهزة. لقد كان مقدار انهمار آيات الله سريعا مثل أمواج البحر. وكان آقا جان، يكتب بكل سرعته، لدرجة أن قلمه يقفز من بين يديه في بعض الاحيان، ولم يكن قادرا على مجارات سرعة التنزيل في أحيان اخرى...

احتفل حضرة بهاءالله، باليوم الاول من شهر محرم 1309هـ، الموافق للسابع من أغسطس 1891م، فدعى كل الاحباء للحضور، ولأن والدي كان مصابا بمرض الروماتيزم، ولا يمكنه الجلوس على الارض، تفضل حضرته: (أجلبوا مقعداً للأفنان). فأحضر له احد الخدم واحدا. ثم تفضل: (اجلبوا مقاعداً لأولاده ايضاً). وهكذا جلسنا جميعا.

كان موجودا في محضره جميع الاحباء الساكنين في مدينة عكاء. فتكلم لسان العظمة في ذلك اليوم، حول موضوع الانقسامات الحاصلة في الديانات السابقة. وبعد ذلك، وزّع بنفسه الحلوى على كل الحاضرين. وفي النهاية تفضل: (في هذا اليوم، ولد مبشري المبجل، ونوّر العالم كله بشعاع نوره. هذا هو وقت الفرح).

بعدها، صرف الجميع من محضره.

بعد هذا، كان يمكن رؤية الاحباء وهم يقفون في مجاميع صغيرة بجانب القصر قرب اشجار الصنوبر، وهم يكررون ويرددون كلمات الجمال المبارك لبعضهم البعض، لعدم نسيانها.

اما اليوم التالي، فكان هو الثاني من محرم، مناسبة ميلاد موجد العالم ومولى البشر حضرة بهاءالله.

فدعى حضرته كل الحجاج البهائيين المقيمين في عكاء الى محضره المبارك. وتكلم عن عظمة رسالته، وقوة القلم الاعلى، وظروف نفيه، ووصوله الى السجن الاعظم. ثم تكلم بتفصيل أكبر، عن معارضة واضطهاد الاعداء والعلماء الظالمين له. وتفضل: (يجب على الاحباء، بالرغم من كل المعانات التي وقعت عليهم من الحكومة والشاه، ان لا ينقطعوا عن اظهار ولائهم للأمر المبارك، وأن لا يقيموا اعتبارا للحكمة والحذر، وسوف لا يلامون على ذلك). وفيما يخص الاحتفال بهذين اليومين، تفضل: (إن هذين اليومين امتزجا معا). وبشّر حضرته: (في المستقبل، سيكون الامر مشرقا جدا، في كل انحاء العالم). في نهاية حديثة، وزّع الحلوى علينا، وصرفنا بلطف من محضره المبارك.

في المساء، وصلنا خبر رغبة حضرته بزيارة حديقة الجنينة في الصباح التالي، وأوصى ان على كل الحجاج والاحباء، مرافقته الى هناك. فلم ننم في تلك الليلة من شدة الفرح، اذ سننعم بوجودنا في محضره المبارك لعدة ساعات غدا. وفي وقت الفجر وقبل شروق الشمس، وقفنا جميعا أمام بيته، مقابل غرفته المباركة، وشرعنا بالمناجاة والدعاء. ومضت حوالي الساعة، حتى نزل حضرته، ليمتطي حمارا أبيضا، ويتبعه كل الاحباء، مشيا على الاقدام متجهين نحو الحديقة، ومشى بجانبه طوال الطريق، احد الاحباء المحليين، واسمه الحاج جعفر - وهو رجل طويل القامة -

حاملاً مظلة فوق رأسه المبارك لحمايته من حرارة الشمس. كان الهواء منعشاً عند وصولنا الى الحديقة.. وكان حضرته سعيد جدا، وحصل كل واحد منا على حصته من بركة محضره. وتناولنا مجتمعين، طعام الغداء في الحديقة.

في ذلك الوقت، وصل حضرة عبدالبهاء من عكاء. فتفضل الجمال المبارك: (ان المولى قادم... اسرعوا للقاءه).

فلقد اعتاد حضرة بهاءالله في تلك الايام، نشر بذور الطاعة والخضوع في قلوب الأحباء لمن اختاره الله (حضرة عبدالبهاء)، ولتوضيح مقام حضرة المولى العالية، بطريقة غير مباشرة للجميع.

وصل حضرة عبدالبهاء للمحضر المبارك بكامل التواضع، مرحبا به من قبل الجميع. فتكلم لسان العظمة بهذا الخصوص، وقال: (منذ الصباح وحتى الان، كانت هذه الحديقة غير مفرحة، لكنها الان، وبحضور المولى، اصبحت بحق، مفرحة جداً).

ثم التفت الى حضرة المولى، واضاف: (كان عليك الحضور منذ الصباح).

فأجاب حضرة عبدالبهاء، بكل الأدب والتواضع: (طلب حاكم عكاء وبعض المواطنين، مقابلتي، فوجب علي لقاءهم ومقابلتهم).

فتفضل حضرة بهاءالله مبتسما: (ان حضرة المولى هو درعنا. ان الجميع يعيشون هنا بكامل الراحة والهناء. ان التعامل مع أناس مثل هؤلاء، هو أمر صعب جدا جدا. انه المولى الذي يواجه كل شيء، ويهيئ وسائل الراحة لكل الاحباء. ليحميه ربي من شرور الحاسدين والاعداء).

تمتع آقا ميرزا آقا وعائلته بمحضر بهاءالله لمدة تسعة أشهر. وعندما حان وقت رحليهم، غمرهم الحزن العميق جميعا. الا ان حضرته، أنعم عليهم ببركته قبل مغادرتهم محضره المبارك.

وفي يوم مغادرتهم، دخلت مريم سلطان بكم، زوجة آقا ميرزا آقا، محضر بهاءالله، لوداعه. ويقال، انها عندما كانت تقبل يده المباركة مودعة، تمنت ان يمنحها حضرته خاتمه الموجود في أصبعه لمباركة عائلتها. لكنها لم تفصح عن رغبتها.

بعدها، ذهبت لوداع الورقة المباركة العليا، ابنة حضرته. وعندما كانت هناك، جلبت لها احدى خادمات البيت المبارك، الخاتم المبارك، وقالت لها:

ان حضرته اعطاك هذا الخاتم.

***

فرصة لا تعوض

عندما كان حضرة بهاءالله، ساكنا في بغداد. أرسل له شخص من طائفة الشيخية، يدعى ميرزا محيط كرماني، رسالة مع الأمير كيوان ميرزا، يطلب فيها التشرف بحضرته، ولكن بطريقة سرّية وفي ساعة متأخرة من الليل حتى لا يعرف بالزيارة أحد غير الأمير، خوفا على مركزه من التقوض والاهتزاز بين المسلمين من أهل المدينة. كان موقف هذا الرجل من الأمر المبارك، رغم تشرفه السابق بمحضر الباب، ما يزال في حالة من التردد والكتمان.

فتفضل حضرة بهاءالله، جوابا لطلبه، ببيتي شعر من قصيدة نظمها حضرته اثناء اقامته في كردستان، تقول:

ان كان مقصدك هو المحافظة على نفسك، لا تقترب من ساحتنا؛ ولكن.. ان كانت التضحية هي مرغوب قلبك، فتعال وإحضر معك أخرين؛ لأن هذا هو طريق الايمان، إن كان قلبك يرغب لقاء البهاء؛ وإن كنت ترفض طرق هذا السبيل، فلماذا تتعب نفسك؟ فابتعد..

ثم تفضل حضرته، مخاطبا الأمير: (ان كان راغبا، فسيسرع للقاءنا علنا وبدون تحفظ. وإلا فأنا أرفض لقاءه).

عندما علم ميرزا محيط بهذا الجواب، لم يجد في نفسه الشجاعة الكافية للزيارة واللقاء.

وبعد عدة أيام، توفي هذا الرجل...!

***

الكنوز الخمسة

ان دراسة الآثار المباركة بعناية توضح ان الهدف من ظهور حضرة بهاءالله هو خلق نوع جديد من البشر تكون أفكارهم وأعمالهم مشعة بالصفات الالهية والخواص الطيبة في هذا العالم.

وفي هذا المجال، من المناسب، سرد حكاية جميلة، ذكرها نبيل أعظم، تفضل بها حضرة بهاءالله، مخاطبا بعض الأمراء الايرانيين في بغداد، حول موضوع رفعة البشرية مستقبلا. ويطلق على هذه الحكايات اسم (الكنوز الخمسة). وهذه ترجمة لجزء منها:-

دخل ذات يوم مجموعة من الامراء الايرانيين محضر بهاءالله، فدار حديثه اللطيف معهم حول اخبار البلاد والتجارة والسوق وما شابه ذلك. الا ان أحدهم، طرح السؤال التالي على المحضر المبارك، وقال:

كيف يحصل أن حضرتك تتكلم مع أصحابك في المسائل الدينية والروحانية وهم في محضرك. بينما تتكلم معنا، عن أخبار المدن والاسواق؟

لقد كان مغزى السؤال هو: كيف تفضل مثل هؤلاء عديمي الثقافة والتعليم، علينا؟

فتفضل حضرته مجيبا:-

(سوف أخبرك أي نوع من الناس، هم الذين يستحقون الاستماع لكلامي، عند حضورهم مجلسي.

لنفترض ان رجلا أخذ الى أرض واسعة ممدودة، ووجد على يمينه كل نعم الأرض من متع وراحة وقوة تحفظه وتنقذه من الحزن والبلاء الى الابد. وعلى الجانب الايسر، وجد بلايا أبدية وصعوبات وآلآم ومعاناة هائلة. ولنفترض، ان الروح المقدسة، ظهرت أمامه، وقالت: (ان اخترت كل هذه النعم الخالدة التي على يمينك، وفضلتها على المصائب التي على شمالك. سوف لن يقل مقامك، عند الله قيد شعرة واحدة. وان اخترت جانب المعاناة على شمالك، فسوف لن يضاف الى مقامك، في نظر الله أي شيء).

فاذا اختار الشخص في تلك اللحظة، بكل الرغبة والحماس، ما على الجانب الأيسر من بلايا ومحن بدلا عما في الجانب الايمن. عندها يكون مستحقاً لدخول محضري ومستحقاً لسماع كلماتي المقدسة).

وبهذا الخصوص، ينطق لسان العظمة، مخاطبا الراغبين:-

(ان كانت رغبتك هي الحفاظ على نفسك؟ لا تقترب من محضرنا. ولكن، ان كانت التضحية هي مقصود قلبك. فتعال، وأحضر معك الاخرين، فهذا هو طريق الايمان. أما اذا كنت - في سرّ قلبك - لا تحب الاقتراب من البهاء ولا تريد طَرْقَ هذا السبيل؟ فلماذا تزعجنا)؟

وأضاف حضرته:

(ان الهدف من وجودي في هذا العالم الفاني المظلم، هو تأسيس قوى العدالة والثقة والأمن والايمان من خلال قوة الله واقتداره، رغم ان المعتدين مغلقين ابواب السلام والسكينة في وجوه كل الناس. وعلى سبيل المثال - في المستقبل - اذا سافرت إمرأة سافرة، من شرق العالم الى غربه، وحيدة بجمال لا يوصف وفتنة فائقة، ومزينة بجواهر لا تقدر بثمن، وسائحة بكل الاراضي والاقطار. فسيكون هناك ساعتها بين الناس، مفهوما للعدالة والثقة والايمان من ناحية، وخاليا من الخيانة والانحطاط من ناحية ثانية، بحيث لن تجد من يرغب في سرقة ما في حوزتها، او النظر الى جمالها بنظرة سيئة)!

وأكد حضرته:

(بقوة الله، سأبدل سكان العالم، الى هذه الدرجة الرائعة، وسأفتح هذه الباب العظيمة، على وجوه كل البشر).

ويستمر نبيل، في سرد الحكاية، حول حديث حضرة بهاءالله مع الامراء، فيقول: أما بخصوص الاعمال وطهارتها، فقد تكلم لسان العظمة معهم بهذه الكلمات:

(لنفرض، ان هناك رجلا غنيا جدا بثراء فوق الوصف. ولنفرض ان هذا الشخص، أنعَمَ ومَنَحَ كثيرا من ثروته الى شخص فقير. وبالتدريج، ومع مرور الوقت، انقلبت الحالة تماما، وأصبح هذا الغني، فقيرا معدما، والفقير رجلا غنيا جدا. ولنفرض ان الغني السابق، وصل في فقره وعوزه الى درجة، وجب عليه تسديد بعض الديون، وبسبب عدم تمكنه من السداد، أقتيد الى ساحة عامة في المدينة، ليعذب ويعاقب، وأدرك انه لا مجال لاطلاق سراحه، الا بدفع ما عليه من ديون. ولنفترض، انه شاهد في تلك اللحظة، صديقه القديم. فإذا خطرت في فكره، ولو للحظة واحدة، رغبة بتقدم

هذا الصديق، لإنقاذه من محنته، بسبب سابق كرمه له. فعلى الفور، تذهب كل اعماله الحسنة السابقة هباءً، وكأنها لم تكن، وسيحرم من رضاء الله، ومن النعم والفضائل الروحانية الانسانية.

ونفس الشيء، بالنسبة للفقير الذي أصبح غنيا من خلال كرم المقبوض عليه. فإن فكّر ولو في قلبه، انه من الواجب عليه، دفع ديون صديقه، وتحريره من مصيبته وتمكينه من العيش لبقية حياته في راحة، لأنه حباه بمحبته اللامحدودة وعطفه السابق. فان قاده مثل هذا الشعور الى مقابلة كرم صديقه بالمثل، بدلا من تقديمها في سبيل الانسانية. فسيحرم من كأس الاخلاص، ويذهب الى عالم المجهولية.

ان الطريقة الوحيدة، المقبولة عند الله، للرجل الأول، هي اسناد أعماله الى مفهوم الكرم ومباديء الانسانية لوجه الله فقط. ونفس الشيء بالنسبة للرجل الثاني، الذي أصبح غنيا، عليه بالتصرف في سبيل الله، كواجب عليه تجاه البشرية غير مبال بالأحداث الماضية والقادمة. لهذا أنزل الله في القرآن الكريم:

(إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا).

***

لَيتَهُ كان ذهباً

خلال الايام التي تم فيها حجز حضرة الطاهرة في منزلها، كان الشخص الوحيد الذي تدبر أمر الاتصال بها، هي إمرأة تدعى خاتون جان. فكانت تذهب الى بيت حضرتها متنكرة كل يوم بشكل مختلف، مرة بزي شحاذة واخرى بشكل غسّالة ملابس تؤدي عملها على ترعة ماء عامة قريبة، وثالثة بزي آخر، وهكذا... ومن خلال

هذه الاتصالات، أدت هذه المرأة عملا مهما وخطيرا، وهو استلام وتوصيل الاخبار من والى حضرتها. كما تدبرت هذه المرأة الجريئة، تهريب الطعام لحضرتها خلال الوقت الذي كان اعداؤها يتآمرون على قتلها، وسلكوا في ذلك كل السبل، مثل محاولة دس السم في طعامها. وفي النهاية، لعبت هذه المرأة، دورا مهما مع زوجها محمد هادي، في اطلاق سراح حضرة الطاهرة من سجنها.

ذات يوم، استدعى حضرة بهاءالله، زوجها محمد هادي فرهادي الى طهران (حيث خدم هذا الرجل، حضرة الطاهرة بطرق كثيرة. وهو من ضمن الذين رافقوها الى مؤتمر بدشت الشهير. وعمل حارسا على بوابة الحديقة التي سكنها حضرة بهاءالله). وسبق لهذا الرجل أن هرب من قزوين، الا ان حضرة بهاءالله، أمره بالعودة مرة ثانية الى هناك، لتنفيذ عملية الانقاذ التي خطط لها حضرته.

بعد اطلاق سراح الطاهرة، ذهبت حضرتها بصحبة آقا هادي الى قرية يقطنها عدد من الاحباء تقع خارج مدينة طهران (ومن المحتمل ان تكون هذه القرية، هي 'كج هزار'، العائدة ملكيتها، لحضرة بهاءالله).

غادر حضرة بهاءالله منزله، وعاد مع حمّال، يحمل كيسا مليئا بالعملات المعدنية، وأفرغها على الارض (كانت النقود على شكل قطع معدنية آنذاك، ولم توجد التعاملات البنكية بعد، واعتاد الناس حمل أموالهم في اكياس. وكان أغنياء الأمر المبارك، يحملون أكياس نقودهم، على ظهور الخيل في سبيل استعمالها لنشر وتدعيم الأمر في ايران. أما حضرة بهاءالله، فكان الاصحاب والخدم يرافقونه في جميع رحلاته ويستضيفهم جميعا).

أمر حضرته بجلب النقود، وطلب من ‘آقا قلي’ تعبئة القطع الذهبية في خرج[1]، والفضية في خرج آخر. الا ان الرجل، وضع النقود الذهبية في الاسفل والفضية فوقها.

عندما شاهد حضرته ما فعله الرجل، تفضل:

(لماذا فعلت ذلك؟ لقد أخبرناك بوضع الذهب في جهة، والفضة في جهة اخرى، كل في خرج لوحده).

---

(1) الخرج: عبارة عن كيس (وغالبا ما يكونا كيسين) يصنع من الجلد او القماش او من خوص النخيل ويوضع على جانبي ظهر الدابة، ويستعمل لنقل الحاجيات وغيرها، وهو بديل للحقائب التي نستعملها في وقتنا الحاضر.

فأجاب الرجل: فعلت ذلك لسبب بسيط. فلو سقطت بعض القطع اثناء الرحلة او خلال رفع الخرج ووضعه، فستسقط القطع الفضية وليس الذهبية.

لم يعقب حضرة بهاءالله على الأمر أكثر من ذلك، وأعطى الخرجين ومفتاحهما لرجل وضعهما على ظهر حصان إمتطاه حضرته، يتبعه آقا قلي، فذهب الى القرية التي تسكنها حضرة الطاهرة، وأمضى ليلته مع ضيوفه هناك.

في الصباح.. أيقظت حضرة الطاهرة ‘آقا قلي’، للصلاة ثم اخبرته انه ليس محظوظا ما فيه الكفاية حتى يبقى معهم، وان الوقت قد حان لعودته الى قزوين، لأن مشاكل عظيمة ستحدث هناك. ثم جلست تحت ظل شجرة، تكتب بعض الرسائل.

بعد انتهاء آقا قلي من صلاته، تقدم، ليقف بجانب آقا هادي قريبا من حضرة الطاهرة.

في تلك الاثناء، وصل حضرة بهاءالله، وأمر بإحضار حقائب النقود وفتحها، ثم نادى على ‘آقا قلي’ للتقدم صوبه، وتفضل:-

(امسك أطراف ردائك، لأضع لك بعض المال فيه).

وكرد فعل مؤدب ومحترم، تردد الرجل في التنفيذ. عندها، نصحه آقا هادي، بوجوب الطاعة. لذا، أمسك الرجل طرف رداءه. فدفع حضرة بهاءالله يده في الخرج، تسع مرات، ليملأها ويخليها في عباءته. فتمنى الرجل في قلبه أن تكون النقود ذهبية. وعلى الفور، التفت اليه حضرته وقال له:

(أعطيناك ما فيه الكفاية لتوصلك الى قزوين. أما تكاليف فرح زواجك، فستصلك لاحقا. وعلى كل حال، انها غلطتك. انت الذي وضعت الذهب في القاع).

***

قصة البلبل والغراب

في ايام ابعاد ‘ميرزا يحيى أزل’، عن جامعة الاسم الأعظم، أنزل حضرة بهاءالله، بلغة مجازية لطيفة، لوحاً جميلاً باللغة الفارسية، وصف فيه العلاقة الحقيقية، بين حضرته ويحيى. وفيه مثّل نفسه المباركة، بزهرة روحانية نابتة في حديقة الجنة، تكون محط عشق البلابل وتدعو محبيها ليتحدوا بجمالها المحبوب الخالد. تقول القصة:

جاءت مجموعة من الطيور المشابهة لأشكال البلابل قرب تلك الزهرة الروحانية، لكنهم لم يفتتنوا لا بجمالها ولا برائحتها العطرة. ودار بينهم حوار جميل مؤثر. اذ أكدت مجموعة الطيور إلمامها بمعرفة الازهار، ثم ادعت ان هذه الزهرة، ليست حقيقية، لأنها تنمو في حديقة جديدة مختلفة.

فقالت لهم الزهرة موضحة تذكّرهم بإسلوب لطيف، ان هناك زهرة واحدة لا غير، مرة تظهر في مصر، واخرى في أورشليم، ومرة في الجليل، وفي وقت لاحق، ظهرت في بادية العرب، ومن ثم في شيراز، والآن اسفرت عن جمالها في ادرنه. ثم زجرتهم لتوجيه محبتهم نحو جهات اخرى بدلا من الصديق الحقيقي، ووصفتهم بأنهم هياكل شيطانية يتخفّون بأشكال بلابل. ثم قصت عليهم الحكاية التالية:

يحكى ان طيورا تشبه طير البوم، تجادلت ذات يوم فيما بينها. فقال بعضها: ان صوت غناء الغراب، أجمل بكثير من تغريد البلبل.

لكن البلبل طالبهم بالادلة لأثبات هذا الادعاء، ودعى احدهم لتحري الحقيقة بالاستماع الى الحان وغناء كل منهما حتى يميز جمال موسيقى الطير الفردوسي، عن نعيق الغراب.

الا ان البوم رفض، قائلا: ذات يوم، سمعت صوت تغريد طير قادم من وسط حديقة مزهرة، وعندما سألت عن مصدره، قيل لي: انه صوت الغراب. ثم حلق في نفس الوقت غراب من وسط الحديقة، فإتضح لي، ان الذي كان يغني، هو الغراب.

قال البلبل للبوم معترضا: ان هذا الصوت كان صوتي! ولإثبات ذلك، يمكنني التغريد أجمل منه مرة ثانية.

فأجابه البوم: لا أرغب بسماع الأغاني الآن، لأني رأيت الغراب بنفسي، وتأكدت من الاخرين، ان التغريد الصادر من وسط الحديقة، كان من الغراب. واذا كانت أنغام هذه الموسيقى السماوية لك، فكيف حدث، انك كنت مخفيا عن عيون الناس، ولم يسمعوا بك؟

أجاب البلبل: كان ذلك بسبب جمالي. فأنا مستهجن من قبل أعدائي. وهم عازمون على انهاء حياتي. ولهذا السبب، نسبوا صوتي الى طير الغراب. الا ان الذين يملكون قلوبا طاهرة وآذانا مقدسة، يستطيعون تمييز صوت البلبل الحقيقي عن صوت الغراب.

الى هنا، تنتهي قصة البوم. بينما تستمر الزهرة في حديثها مع الطيور المتنكرة بأشكال البلابل، فقالت لهم: انكم تملكون نفس طبيعة البوم، لأنكم تفضلون اتباع أوهامكم، على رغم العديد من الدلائل والبراهين التي أظهرتها. ثم دعتهم لتمييز الزهرة من جمالها وعطرها، وليس من خلال ادراكاتهم.

بوصول هذه النصائح الى ذروتها، دخل الحديقة، بلبل جميل يغني بصوت عذب صداح، راح يتغنى بجمال الزهرة ويدور حولها. فالتفت الزهرة الى الطيور وخاطبتهم، قائلة: مع انكم تشبهون البلابل في صوركم، الا انكم تعلمتم طريقة البوم، واتصفتم بصفاته. واشارت لنفسها، وقالت: ان هذه الزهرة الالهية، هي مرغوب قلوب بلابل الجنة، وهذه الحديقة هي موطنها، وليست موطنا للطيور الميتة أمثالكم. فخذوا أنفسكم وإرحلوا.

من خلال طريقة كلام حضرة بهاءالله التصويرية هذه، يدعو حضرته فيها، اتباعه للنهوض بعزم ويقين راسخ، لحدمة أمر مولاهم وحمايته من أطماع الخونة، وينصحهم بالتوجه الى الاعمال الطاهرة والاخلاق الحميدة، ويؤكد لهم، انه بالحياة المستقيمة فقط، يمكنهم نصرة أمر الله وحمايته من حقد الاعداء.

***

"قد قبلناه، قد قبلناه"

غادر آقا رضا أخيراً مدينة يزد متوجهاً إلى عشق آباد، حيث حصل هناك على إذن لزيارة عكاء، وتشرف بمحضر بهاءالله. في مذكراته يقول ما يلي:

في كل مرة فزت بمحضره المبارك كنت أجد أبواب فضله ووحيه مفتوحة أمام عيني. وكل واحد منها كان برهاناً هائلاً وهدية نفيسة ثمينة. وكل ما شهدته من خوارق الطبيعة والابتهاج العظيم الذي كان يغمرني في محضره، لا يمكن وصفه أو تدوينه...

وفي ملتقى الأحباء، لو حوّل الجمال المبارك وجهه صوب أحدهم، فإن الأخير لن يقدر أن ينظر إلى محياه ويرى سطوع أنوار شمس الحقيقة. لذا فإن حضرته اعتاد توجيه نظره شطر اليمين أثناء كلامه، ليتمكن الأحباء من النظر إلى وجهه المبارك. وإذا حوّل وجهه نحوهم، فإنه يغمض عينيه ويستمر بحديثه...

دخلت ذات مرة إلى محضره حينما كان يرتل لوح زيارة الإمام الحسين. وكان يتوقف في بعض الأحيان خلال الترتيل ليعلّق ببعض الكلمات، أو يستقبل من يفد عليه من الأحباء.

أخيراً بلغ عدد الحاضرين قرابة خمسة وأربعين. عندئذ رحت أفكر بالأحباء في عشق آباد... إذ عزمت على انتهاز هذه الفرصة الفريدة لأذكرهم في محضره، وبذلك أكرس حجيّ نيابة عنهم. فتذكرت ميرزا أبو الفضل وخمسة آخرين...

وحالما بدأت أتذكرهم، استدار حضرته بوجهه نحوي وابتسم ثم ذكر اسم أبو الفضل وأولئك الخمسة، وقال لي: "إن تذكرك لهؤلاء وحجّك بالنيابة عنهم، قد قبلناه، قد قبلناه"،

وكرر العبارة مرتين. وبذلك كشف كل ما جال بسرّي.

لقد أذهلني ذلك الكشف بحيث غشى بصري وأشرفت على الغيبوبة والانهيار. وحالما رآني حضرته بهذه الحال أمر خادمه بأن يأتي بشيء من الحلوى. فأحضر طبقاً منها ووضعه أمام حضرته الذي قدّم لكل واحد من الحاضرين قطعة منه. لكنه أعطاني قطعتين.

بعد ذلك أذن للجميع بالانصراف إلاّ أنني عند الخروج كنت في حالة إعياء وصعقة نتيجة لتلك التجربة، لدرجة أنني لم أسيطر على حواسي وقواي فانهارت أركاني وسقطت عند منتصف السلالم...

***

مأدبـة غـداء

في هذه الحكاية، يصف الحاج طاهر مالميري، حلاوة اللقاء وروعة المشاعر عندما يكون المرء في المحضر المبارك. قال:-

اعتاد حضرة بهاءالله، تقسيم أوقات اقامته اثناء فصل الربيع، بين قصري المزرعة والبهجة، أما بقية شهور السنة، فكان يقضيها في بيته داخل مدينة عكاء. كان قصر المزرعة يبعد عن مدينة عكاء حوالى فرسخين (12 كيلومتر). وللتشرف بمحضره المبارك، اعتدت الذهاب الى هناك في النهار، والمبيت في بيت الحجاج، اثناء الليل.

في أول أيام الهاء، دعى حضرة بهاءالله، جميع الاحباء المقيمين في عكاء، لحضور مأدبة غداء أعدها على نفقته. فذهبت الى هناك، حيث نصب فسطاط كبير في أول الصباح وسط مكان واسع جميل مقابل مدخل حديقة قصر البهجة.

كان عدد الاحباء يربو على المائتين، شمل الحجاج وجميع المقيمين في الارض الأقدس، ما عدا حضرة عبدالبهاء، فلم يستطع الحضور لكثرة مشاغله في المدينة.

في وقت الظهيرة، نزل الجمال المبارك من القصر ودخل الخيمة بكل جلاله وبهائه وعظمته. فوقف كل المؤمنين امام الخيمة، برؤوس منحنية احتراما له، ووقف ميرزا آقا جان، بالمحضر المبارك يرتل مناجاة الصيام التي نزلت في ذلك اليوم. وعند اتمامها، أمر حضرته الموجودين بالجلوس. فجلس كلٌ في مكان وقوفه. عندها، شرع لسان العظمة، بتجاذب أطراف الحديث مع الحاضرين لبعض الوقت. بعدها، التفت يسأل الموجودين:

(ماذا حدث للوليمة؟ هل ستمد اليوم حقا)؟

وحالا، أسرع عدد من الاحباء، بكل الغبطة والسرور، لجلب الطعام، ونصبوا في وسط الخيمة أمام حضرته طاولة واطئة. فجلس خلفها، وجلس كل الاغصان بجانبه وحولها. وبما انه ما زال في المكان متسعا، نادى حضرته بعضنا بالاسم، وكنت من ضمنهم، وتفضل: (تعال يا آقا طاهر، وأجلس).

لذلك، دخلت لاتخذ لي مكانا بين الجالسين.

وبعد انتهاءه من تناول الطعام، نهض للمغادرة، متفضلا:

(لقد اكتفينا من الأكل. لينصرف من تناول كفايته).

فنهضت لاترك المكان. اما بقية الحاضرين، فقد تقاسموا على الفور فيما بينهم ما تركه حضرته في صحنه من بقايا الطعام.

بعدها.. بدأ الاحباء، يدخلون جماعة بعد اخرى، لتناول الطعام.

لقد كانت مناسبة رائعة، حصل جميعنا فيها على مائدتين، واحدة روحانية والاخرى مادية. ولم أنس استعارة مناجاة الصيام من آقا جان، لاستنساخها واعادتها له.

وفي المساء، عاد الجميع الى عكاء.

***

مقام الأئمة الأطهار

يذكر الحاج محمد طاهر المالميري، الذي تشرّف بمحضر بهاءالله في عكاء، في مذكراته ما يلي:

"دأبت كلما دخلت إلى محضر الجمال المبارك، أن أنقل إليه ما كان لديّ من أسئلة واستفسارات عن طريق القلب بدون كلمات أو تصريح، وكان حضرته يجيب عليها باستمرار. وتعليل ذلك: هو أن اللسان لم يكن ليجرؤ على النطق بمحضره بكلمة واحدة.

فكنت أجلس في محضره مسحوراً ناسياً نفسي ووجودي. ومن أحد الأسئلة التي عزمت على طرحها، كان يخص مقام الأئمة الأطهار. فكنت أريد معرفة: "هل كانوا جميعاً في مقام واحد، أو كما كان اعتقادي، إن بعضهم أعلى مقاماً من بعض".

بقيت طوال ستة شهور أحاول أن أسأل هذا السؤال، ولكني في كل مرة أكون فيها في محضره، كان يغيب عن خاطري هذا السؤال تماماً.

ذات يوم.. وبينما كنت قاصداً قصر البهجة للتشرف بمحضره، كررت مع نفسي طوال الطريق ضرورة تذكّر هذا السؤال ورفعه

في داخل سرّي إلى حضرته، وبقيت أردده حتى وأنا أصعد درجات سلّم قصره.

فجأة سمعت صوت حضرته وهو يحييني بكلمة: 'مرحباً'. فرفعت عيني ونظرت إليه، فوجدته واقفاً في أعلى السلّم.

عندئذ نسيت كل شيء!

دخل إلى غرفته ودعاني للدخول، ثم طلب مني الجلوس. فجلست عند الباب. بعد ذلك راح يخطو داخل الغرفة جيئة وذهاباً، وهو ينزل لوحاً باسمي. كان اللوح باللغة الفارسية وفي وسطه تفضل قائلاً: 'كل الأئمة جاءوا من عند الله، وتكلموا عن الله ورجعوا إليه.'

كان ذلك جواب سؤالي، وأدركت ساعتها بتساوي مقاماتهم.

وفي مناسبة أخرى كتب الحاج محمد طاهر:

طالما تمنيت في باطني وتوسلت بالجمال المبارك أن يمكنني من التضحية بحياتي والاستشهاد في سبيله. وفي كل مرة ألتفت نحوه بهذه الأمنية في سريّ، كان يبتسم ويبدي علامات رضائه ومظاهر عنايته...

إلى أن حدث ذات يوم، وبينما كانت تدور في ذهني هذه الأفكار، إذ التفت نحوي، وقال: "عليك أن تعيش لتخدم الأمر..."

***

أبو القاسم وأخوه ابراهيم

تروي السيدة مي ماكسويل، عن ابي القاسم منشادي، القائم لسنين طويلة على رعاية حديقة الرضوان في الأرض الأقدس، حادثة غريبة ولطيفة، حدثت له. فتقول نقلا عنه:

ذات يوم، شاهدت في كبد السماء، غيمة سوداء كبيرة تتقدم بسرعة وهي تتجه نحو الحديقة المباركة التي اعتاد حضرة بهاءالله الجلوس تحت ظلالها الوارفة. وباقترابها، اكتشفت انها أسراب ضخمة من الجراد. وخلال لحظات.. اذا بها تهجم على كل نباتات الحديقة وأشجارها الباسقة وتغطيها بتمامها.

أسرعت الى البيت المشيد في نهاية الحديقة، حيث يسكن حضرة بهاءالله، فتشرفت بمحضره، ووقفت أمامه أتوسل اليه، وقلت: مولاي.. جاء الجراد.. وهم مشغولون بأكل ما يضلل رأسكم المبارك. أتوسل اليك ابعادهم عن هنا.

فابتسم حضرته، وتفضل: (يجب ان يطعم الجراد. دعهم وشأنهم).

فلم يكن أمامي الا الانصياع لأمره والعودة الى الحديقة مهموما اراقب بصمت أعمال الحشرات التخريبية. الا انني لم استطع تحمّل اكثر مما شاهدته، فغامرت متجرءا في العودة الى المحضر المبارك، ودخلت في غاية الخضوع مرة أخرى وتضرعت لحضرته ان يبعد الجراد.

عندها، نهض وتوجه الى الحديقة، ووقف اسفل الاشجار المغطاة بالحشرات، وتفضل: (حماكم الله.. ان أبا القاسم، لا يريدكم هنا). ثم تناول بيده المباركة، طرف عباءته، ليرفعها ويهزها.

وفورا.. اذا بكل اسراب الجراد، تنصرف من الحديقة.

علّق أبو القاسم في نهاية القصة بانفعال شديد، وهو يلمس عينيه بيديه، ويقول: بوركت هاتين العينين لمشاهدتها هذه الاشياء. بوركت هاتين الاذنين، لسماعها هذه الاشياء.

***

كان لأبي القاسم، أخ يدعى آقا محمد ابراهيم، عمل بستانيا في حديقة قصر البهجة، لسنين طويلة.

حدثت لآقا ابراهيم هذا، حكاية اخرى، قصّها على استاد علي أكبر البنا، احد مشاهير شهداء الأمر، عند زيارته الأرض الأقدس، فقال:

ذات يوم، كان الجمال المبارك، يسكن بيتاً محاطا بالاعشاب والحشائش الجافة. فجأة، ولسبب ما، اندلعت النار في الاعشاب وأخذ لهيبها ينتشر في المكان بسرعة ويلتهم كل ما موجود هناك.

فإلتفت حضرة بهاءالله لي، وتفضل: (يا ابراهيم.. اذهب وأطفيء النار).

فذهبت على الفور وبدون تردد نحو النار لإطفاءها، وأنا لا أعرف كيف أنفذ الأمر. وعندما دنوت من النار، هبت ريح أبعدتها عني. فلاحظت باستغراب شديد، أنني كلما تقدمت نحوها، كلما بعدت عني، كما لو انها كانت تهرب مني.

في النهاية، أطفأتها برمي قليل من التراب عليها.

وهنا، خطرت على فكري، الآية القرانية الكريمة:

(قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم...)

***

لـوح أحمـد

من أشهر ألواح حضرة بهاءالله، (لوح أحمد) الذي أنزل في سنة 1865م تقريبا على شرف أحمد اليزدي.

ان قصة حياة احمد ممتعة جدا. ويقال انه عاش مائة عام، وصعد في سنة 1902م. بينما يذكر جناب الحاج طاهر مالميري في كتابه (تاريخ الأمر في يزد)، انه عاش مائة وثلاثة عشر عاما. ومن المحتمل ان هذا الاختلاف ناتج عن عدم معرفة الناس في ذلك الزمان لسني ولادتهم بالتحديد.

ولد احمد لعائلة غنية معروفة في يزد. ومنذ ايامه الاولى في سن المراهقة، شعر بانجذاب شديد الى التصوف والتعبد، واعتاد الانزواء وحيدا في غرفته ابتغاء مخاطبة الله. كان أمل حياته لقاء القائم الموعود، وبقي يصغي لكل من يرشده الى هذا الطريق، ويجلس عند أقدام الزهاد والدراويش من الذين يدعون الهداية الالهية.

قلقت عائلة احمد على طريقة تنسكه وتصوفه، وضغطت عليه كثيرا ليقلع عن فكرته. الا ان روحه بقيت قوية لا يقهرها شيء. وبعد تأكده من عدم ملائمة جو البيت لتقدمه الروحاني، قرر اتخاذ خطوة جريئة، وهي ترك موطنه.

في تلك الايام، كانت مثل هذه الاقدامات، قليلة جدا بالنسبة لشاب يافع مثله، خاصة بدون موافقة الاهل. الا ان احمد كان يقاد بقوة خفية لا تقاوم لمعرفة جوهر الحقيقة والتشرف بمحضر الموعود.

حمل احمد ذات صباح صرّة ملابسه متظاهرا بذهابه الى الحمام العمومي، لكنه اختفى ولم يعد الى البيت. فسافر نحو الجنوب حتى وصل الى الهند، حيث كان يأمل في العثور على حل يقوده

الى محبوب قلبه. حدث ذلك في حدود سنة 1826م، أي قبل اقل من عشرين عاما من اعلان حضرة الباب دعوته.

وحسب قول الحاج مالميري: (عشت معه من سني حياته الاخيرة حوالي اربع سنوات في "مانج باونات" في مقاطعة فارس. كان في العشرين من عمره خلال حكم فتح علي شاه، ووقت حكم الامير ميرزا لمدينة يزد. خلالها عاش حياة التقشف وأمضى حياته في العبادة والصلاة. كان ميالا للدروشة، وغادر يزد كدرويش الى الهند. وعلى كل حال، ترك بوشهر الى بومبي مستمرا على حياة التقشف غارقا في تعبده وصلاته).

قال احمد انه خلال تلك الرحلات، تعرّف على الكثير من الصوفيين وشيوخ الطرق والباطنية. الا انه ملّ وأصيب بخيبة وفقدان الأمل. ورغم انه فرض على نفسه تدريبا شاقا، ونفذ العديد من الصلوات، من ضمنها ترديد آية قرآنية معينة إثني عشر ألف مرة، ومع ذلك، لم يجد مبتغاه في الهند. وفي النهاية، انسحب عائدا الى ايران مكسور القلب واستقر في كاشان، ثم تزوج وعمل حائكا.

والحكاية التالية سردها هو بنفسه لبعض الاحباء:

مضى الوقت، ووصلت اخبار ظهور حضرة الباب الى العديد من المناطق ومن ضمنها كاشان. فهاجت بداخلي قوة عظيمة للتحقق من هذه الرسالة. وبحثت عنها بكل الوسائل، حتى قابلت ذات مرة مسافرا (من المحتمل انه بابيا) في احد الخانات، وباستفساري منه، قال: (ان كنت باحثا حقيقيا، فإذهب الى مشهد، وقابل شخصا يدعى ملا عبد الخالق يزدي، فهو الذي يستطيع مساعدتك في بحثك. بسماعي هذا النبأ، جهزت نفسي للسفر فجر اليوم التالي، ومشيت على اقدامي كل الطريق الى طهران، ومنها توجهت الى مشهد. الا أني مرضت حال وصولي الى هناك،

ومكثت في الفراش لمدة شهرين. بعد شفائي ذهبت الى بيت الملا عبد الخالق، واخبرت الخادم برغبتي في مقابلة سيده. وعند لقاءه ومعرفته سبب حضوري. غضب غضبا شديدا، وأمر بإلقائي خارج منزله. الا اني ذهبت اليه في اليوم التالي، وبكيت بحرقة شديدة وتوسلت اليه ارشادي والأخذ بيدي. عندما شاهد رغبتي وصدقي طلب مني مقابلته في مسجد (جوهر شاد) في نفس تلك الليلة، وقال انه سيعرفني على شخص يستطيع اخباري بكل الحقيقة. (في تلك الايام كان المؤمنون حذرين جدا من البوح بإيمانهم علنا، ولا يفعلوا ذلك الا للراغبين الحقيقيين).

ذهبت الى المسجد في ذلك المساء، لكني فقدت صاحبي بعد حضوري الصلاة وسماعي خطبته وسط الزحام. فذهبت الى بيته في صباح اليوم التالي، وشرحت له ماحدث. فطلب مني الذهاب الى مسجد (بير زن) في نفس تلك الليلة، ووعد بإرسال شخص الى هناك لمقابلتي واصطحابي الى المكان المخصص.

بعد المشي بصحبة الدليل لمسافة قصيرة، قابلني صاحبي في المسجد وأخذني معه لنجتاز ممرا الى باحة بيت، ثم صعدنا الى غرفة علوية. فشاهدت هناك شخصا جليلا وقورا يجلس بكل احترام. فهمس بأذني صاحبي الذي وقف على عتبة الباب: (ان هذا الشخص الجليل هو من أسعى للقاءه).

لم يكن هذا الرجل المحترم الا الملا صادق خراساني (احد اتباع حضرة الباب وحضرة بهاءالله المشهورين).

بعد حضوري بعض الجلسات معه، استطعت تمييز الحقيقة ومعرفة رسالة حضرة الباب. بعدها نصحني الملا صادق بالعودة الى زوجتي وعائلتي في كاشان وممارسة مهنتي، وبعدم تبليغ الأمر الا اذا وجدت أذنا صاغية.

عدت الى كاشان، واكتشفت بسرعة ان الحاج ميرزا جاني كاشاني مؤمن أيضا. فكنا المؤمنين الوحيدين في تلك المدينة.

عندما كان حضرة الباب ينقل أسيرا من اصفهان الى كاشان، دفع الحاج ميرزا كاشاني مبلغا قدره مائتا تومان (وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت)، لأحد الضباط الذين رافقوا حضرته ليسمحوا للحاج استضافة حضرة الباب في بيته، فمكث حضرته يومين (أمضى حضرة الباب ثلاث ليال في كاشان. وذكر بعض المؤرخون ان أحد الاسباب التي دفعت الحاج ميرزا جاني لإعطاء الضباط ذلك المبلغ، هو ادعائه (ضرورة تصفية حسابات تجارية مشتركة سابقة بينه وبين السجين). وخلال مدة الاستضافة، كان صاحب البيت يدعوني للتشرف بمحضر سيده المبارك.

بعد هذه الزيارة، راح احمد يصف جلال وعظمة وجمال حضرة الباب، وعن براهين واثباتات دعوته لرجال الدين في كاشان. وبذلك ازداد عدد المؤمنين في المدينة. ومن ثم بدأت الاضطهادات. فهاجم الغوغاء بيوت ومنازل الاحباء وسلبوا كل ممتلكاتهم وكسروا جميع ابواب وشبابيك بيوتهم، فلم أجد مكانا للإختباء من ذلك الخطر الرهيب سوى فتحة تهوية بين جدران المنزل، فبقيت فيها لمدة اربعين يوما. كان الاحباء خلالها يجلبون لي الأكل والشرب في الخفاء.

بعد مرور فترة من الزمن - يستطرد احمد - ولأن الحياة اصبحت لا تطاق في كاشان، قررت الرحيل الى بغداد بعد حوالي خمس سنوات من استقرار حضرة بهاءالله هناك. وفي طريقي اليها، تعرفت على مسافر غريب لا أعرفه، فإدعى كلانا ان وجهته هي مدينة كربلاء خوفا من الافصاح عن وجهتنا الحقيقية. لأن بغداد كانت معروفة في تلك الايام نقطة تجمع للبابيين، ويشك بكل من

يتوجه اليها، وغالبا ما يتهمونه بالبابية. وخلال الرحلة، كنا نؤدي صلاتنا كمسلمين. وحال وصولنا الى بغداد، توجهت الى بيت حضرة بهاءالله. فاذا بي أجد صاحبي متوجها في نفس الاتجاه، فإكتشفت انه بابي أيضا.

عند دخولي منزل حضرة بهاءالله وتشرفي بمحضره، التفت الي، وتفضل: (يا للرجل.. أصبح بابيا، واختبأ في فتحة التهوية!).

سكنت في بغداد لمدة ست سنوات عملت خلالها حائكا. فتنعمت روحي بجلال وعظمة محضره خلال كل تلك الفترة، وكان لي عظيم الشرف عند سكني داخل قسم بيته الخارجي.

ذات يوم، وصلت أخبار وفاة سيد اسماعيل زواري.

فتفضل حضرته: (لم يقتله احد، لقد أريناه بصيصا من عظمتنا من خلف مئات الألوف من حجبات الأنوار. فلم يستطع تحملها، وفدى بنفسه).

عند ذهابنا الى شاطيء النهر، وجدنا الرجل وقد قاطع حلقومه ومسجى على الارض والمدية ما زالت بيده. فواريناه التراب.

كنت أتنعم بنور شمس حضرة بهاءالله المبارك حتى صدور فرمان السلطان العثماني من استنبول بوجوب مغادرته اليها. كان ذلك في اليوم الواحد والثلاثين بعد عيد النوروز عندما انتقل الى حديقة نجيب باشا. ولقد كان نهر دجلة فائضا وهائجا في ذلك اليوم، ففتح المسؤولون أبواب السد لتهدئته. الا انه لم يهدأ الا في اليوم التاسع، فإلتحقت عائلته به الى الحديقة. وفور عبورهم النهر، عادت المياه لتفيض من جديد. فوجب اعادة فتح ابواب السد مرة أخرى.

في اليوم الثاني عشر، تحرك حضرته الى استنبول، فصاحبه بعض المؤمنين وبقي البعض الاخر، ومن ضمنهم العبد المتكلم. في وقت المغادرة، كنا جميعا موجودين في الحديقة، فوقف كل من كان

عليه البقاء في بغداد في صف واحد، ثم تقدم حضرته الينا وتكلم معنا باسلوب المواساة، وتفضل:

(من الأفضل بقائكم. وانني وافقت على اصطحاب بعض المشاكسين فقط، لمنعهم من الغدر وخلق المشاكل).

فانشد احد المؤمنين الحاضرين البيتين التاليين للشاعر سعدي بصوت ملؤه الحزن العميق والتأثر:-

تذرف الدموع مثل غيوم الربيع

فحتى الصخور تبكي لفراق الأحبة

فعلق حضرته، بقوله: (حقا ان هذه الأبيات قيلت لهذا اليوم).

هذه القصص القليلة التي تركها أحمد عن حضرة بهاءالله للأجيال القادمة، مع هذا السرد البسيط عن حياته الشخصية، تشكل غالبية ما قاله عن تلك الايام. ولم يشرح بالتفصيل غالبية تاريخ حياته. ولم يتطرق لذكر التأثير العظيم عليه ساعة تشرفه بمحضري الباب وحضرة بهاءالله. كما لم يذكر شيئا عن السنوات الباهية الست التي أمضاها ساكنا بجوار بيت حضرة بهاءالله في بغداد. الا اننا نعلم، ان عددا قليلا من الاصحاب الأوائل فقط، حضوا بمثل ما حضي به احمد من ايمان وروحانية. كان مفعما بالنشاط والحيوية من عظمة ظهور مولاه، وكان ذا قدرة وإمكانية عالية لإكتساب مثل تلك الروح العظيمة المنجذبة المشعة التي سيطرت عليه طوال حياته.

وكتب عنه الحاج مالميري، قائلا: عاش احمد في بغداد عددا من السنين، وتشرف بمحضر بهاءالله هناك. وصار محط فضله ونعمته. واخبرني ذات يوم سرا عظيما، وهو مشاهدته الجمال الحقيقي للجمال المبارك.! وكان يقول الصدق، لأنه حصل على

لوح مخطوط من يد حضرة بهاءالله نفسه، يشهد ان احمد شاهد جماله الخفي.

بعد سفر حضرة بهاءالله الى استنبول، بقي احمد في بغداد وخدم الأمر المبارك فيها بحماسة عظيمة. وكان يتشوق في داخله لزيارة محضر مولاه كرّة أخرى. وبعد مرور بعض الوقت، لم يعد يحتمل مرارة الفراق، فرحل الى أدرنة. وعندما وصل الى استنبول، ارسل له حضرة بهاءالله لوحا من أشهر ألواح حضرته يعرف اليوم عالميا بإسم (لوح أحمد). وبقراءة جزءه الاخير، أدرك الرجل ماهو المطلوب منه، فسلم كل رغباته الى أمر مولاه، وبدلا من اكمال رحلته الى ادرنة، عاد الى ايران بروح تملؤها الرغبة الصادقة في التبليغ واعلان أمر مولاه الى الجامعة البابية.

وعلى خطى جنابي منيب ونبيل أعظم، اللذين ارسلهما حضرته لتبليغ الأمر في ايران، سافر احمد الى كل انحاء ايران وبشر بظهور (من يظهره الله) الى العديد من البابيين. ومن خلال سعيه الحثيث، انتبه عدد كبير منهم لمقام حضرته واصبحوا اتباعا حقيقين.

في ذلك الوقت، كانت الجالية البابية على درجة كبيرة من الحرمان والضلال بحيث أظهر بعضهم العداء السافر للمبلغين البهائيين. وذكر احمد في مذكراته، حادثة بهذا الخصوص حدثت له في مدينة بدشت في مقاطعة خراسان، قال:-

تركت طهران الى خراسان وتكلمت مع العديد من الناس بخصوص ظهور من يظهره الله. وذهبت الى مقاطعة فروغ، على هيئة درويش، وتكلمت مع ملا ميرزا محمد (احد الناجين من ملحمة الشيخ طبرسي)، فآمن ومعه اخوته. الا انه خلال النقاش بدت على الأخوة علامات العداوة والقسوة، فاعتدوا علي بالضرب

وكسروا أحد أسناني. وبعد انتهاء العراك وهدوء الأنفس، أكملت الموضوع وقلت: ان حضرة الباب أشار مرارا الى من يظهره الله بصورة جلية بإسم (البها). فوعدوا بقبول هذا الإدعاء والايمان بحضرة بهاءالله ان كان ذلك صحيحا. عندها، طلبت منهم احضار كتابات حضرة الباب. فقاموا بفتح ثغرة في جدار الغرفة وأحضروا جميع ما لديهم من كتاباته المباركة، حيث كانوا يخفونها درءا للأعداء. وحالما فتحنا أول كتاب. عثرنا على فقرة تشير الى ان من يظهره الله سيحمل اسم (البهاء). وبسرور وفرح آمنوا بحضرة بهاءالله، واعتنقوا أمره المبارك. بعدها تركتهم، وسافرت الى بقية المدن.

أما بخصوص أيام احمد الأخيرة، فكتب الحاج طاهر يقول:

عاش وعمل احمد في كاشان، ونزل لوح أحمد العربي على شرفه، وبقي يحمل معه النسخة الأصلية دائما. توفيت زوجته في كاشان، وتزوجت ابنته من رجل يعمل ساقيا للماء في بلاط ناصر الدين شاه في طهران. وعلى أثر هذا سافر احمد الى شيراز ومنها الى نيريز حيث تزوج مرة ثانية. وعاش في تلك المنطقة حوالي العشرين عاما. كما انه أمضى بعض الوقت في مقاطعة سربستان في فارس. كان رجلا بسيطا طاهرا نقيا. والذي دعاه للحضور الى (منج) رغبته في الذهاب الى طهران، ورسائل ابنته المتكررة الى آقا بشير الهي، التي تطالبه فيها بتدبير سفر والدها الى طهران لرؤيته. على كل حال لم يكن أحمد ميالا للذهاب، اذ كان عمره آنذاك ستة وتسعون عاما عند وصوله الى (منج)، وكان بتمام الصحة والعافية، وأمضى غالبية وقته في قراءة الكتابات المباركة، خصوصا لوحه الخاص الذي كان يرتله بكثرة. بقي أربع سنوات في (منج) حتى تدبر ميرزا محمد باقر أفنان أمر سفره الى طهران

بصحبة أحد خدمه الموثوقين. وبقي هناك بعض الوقت حتى رحل لزيارة قزوين.

***

أبـا بديـع

ان لكلمات حضرة بهاءالله تأثيرا خلاقا يوجد الشجاعة في كل من يشاء. مثالا على ذلك، نذكر الواقعة التالية التي قادت الى إعدام أشهر أتباع حضرته، وهو الحاج عبد المجيد نيسابوري، الذي كان نموذجا للإيمان والاخلاص. وهو والد آقا بزرك الملقب (بديع) والذي دخل محضر بهاءالله وهو في ربيعه السابع عشر في سجن عكاء واستلم لوحه الموجه الى ناصر الدين شاه، وأعدم فور وصوله من قبل رجال الملك.

إعتنق الحاج عبد المجيد الذي لقبه حضرة بهاءالله بـ (أبا بديع) الأمر المبارك في أيام دعوة حضرة الباب الأولى، وكان من ضمن أولئك المؤمنين في مقاطعة خراسان الذين بلّغهم الملا حسين بشروئي، وشارك في ملحمة طبرسي، وكتبت له النجاة منها.

كان رجلا غنيا جدا، ومن أوائل المطيعين لأمر الملا حسين وهم في طريقهم الى قلعة طبرسي، حينما تخلى عن صرّة مليئة بالفيروز والاحجار الكريمة ورماها على قارعة الطريق، تنفيذا لأمر سيده الذي أمر بنبذ كل شيء، عدا السيوف والخيول. وعندما وصلته اخبار دعوة حضرة بهاءالله، أدرك عظمة مقام حضرته، وأمضى ايامه راغبا بقوة في خدمة أمره المبارك حتى سنة 1876م. ثم سافر الى عكاء في سن متقدمة تدفعه الرغبة الشديدة

للتشرف بمحضره المبارك، وهناك تمتع بضياء شمس عظمة مولاه، وترك للأجيال القصة التالية عن ذلك اللقاء الجميل.

تشرفت بمحضر بهاءالله، عندما كان يتكلم عن ولدي بديع ساعة استلامه للوح المبارك الموجه الى ناصر الدين شاه وفوزه بتاج الشهادة. ففاضت دموعي لسماعي الحكاية وبلت لحيتي من ماءها. فإلتفت حضرته نحوي، وتفضل: (يا أبا بديع، ان الشخص الذي قضى ثلاثة أرباع حياته، عليه بتقديم ما تبقى منها في سبيل الله). فإستفسرت من حضرته، وقلت: هل من الممكن ان تتخضب لحيتي المبللة بدموعي، بدمي؟ أجاب حضرته: ان شاء الله.

عاد أبو بديع الى بلاده في خراسان وقلبه يضطرم بنار محبة حضرة بهاءالله، وروحه تشع بعظمتها. واعتاد دخول مجالس الأحباء في مدينة مشهد لتشجيعهم وحثهم على الثبات في أمر مولاه. كما كان يقرأ لهم مقتطفات من كتاب الأقدس المبارك من أول نسخة مخطوطة جلبها بنفسه الى خراسان. وكان غالبا ما يناقش موضوعا خاصا، وهو قرب تحقق موعد نبوءة حضرة بهاءالله بخصوص سقوط ناصر الدين شاه المذكورة في لوح الرئيس ولوح فؤاد. وأمضى جل وقته في استنساخ ألواح حضرته. ان الحماسة التي كان أبو بديع يبلغ به الأمر، أيقظت حقد الأعداء على الفور، وأولهم شقيقه وشقيقته اللذان وشيا به عند مجتهد يدعى شيخ محمد تقي بجنردي. فأخبراه ان شقيقهما بابي منذ عدة سنوات وأحد تلاميذ الملا حسين، وقاتل في قلعة طبرسي، وأعدم ولده بأمر الشاه. وكشفا عن كل نشاطاته ومن ضمنها زيارته القريبة لحضرة بهاءالله في عكاء وتبليغه الديانة البهائية علنا.

ففزع المجتهد من هذه التقارير، وأرسل اثنين من رجاله للتحقيق مع أبا بديع الذي لم يخف شيئا، بل راح يقص عليهما

طريقة ايمانه ويبلغهما رسالة حضرة بهاءالله. فلم يعني هذا الحديث الصريح عن الأمر، سوى سهولة اصدار فتوى باعدامه. كان ذلك في سنة 1877م، بعد مرور سنة واحدة على دخوله محضر مولاه، وهو في سن الخامسة والثمانين.

ومما زاد الوضع حراجة، انه حالما بدأ الناس بجني ثمار مكائد ومؤامرات رجال الدين الخبيثة، وصل مدينة مشهد قادما من اصفهان، عدو لدود للأمر المبارك يدعى الشيخ محمد باقر الذي نعته حضرة بهاءالله بإسم (الذئب)، فلعب دورا ماكرا جدا في تنفيذ هذه الجريمة الشنعاء. وأول عمل قام به هذا الشيخ، هو استدعاء أبا بديع للمثول أمامه. وبتجاهل أبو بديع لطلب الشيخ، إنضم الأخير الى الشيخ محمد تقي وشيخ آخر يدعى عبد الرحمن، وهما من علماء الدين في خراسان، وأرسلوا عريضة الى الأمير محمد تقي ميرزا (ركن الدولة) شقيق الشاه وحاكم خراسان يطالبونه بإعدام أبا بديع. كان هذا الأمير رجلا طيبا لا يرغب في أذى البابيين. الا انه لم يستطع مقاومة الضغط الهائل الذي أوجده رجال الدين. فإكتفى بإصدار أمر اعتقال أبا بديع، ولم يدفع بالقضية أكثر من ذلك لعدم رغبته بأذى السجين. وعندما نفذ صبر رجال الدين، أرسلوا شكواهم الى ناصر الدين شاه نفسه، فأصدر أمره بوجوب ان ينكر ابو بديع ولاءه للدين الجديد شرط اطلاق سراحه.

بقي الشيخ محمد باقر يضغط على الأمير لتنفيذ حكم الاعدام. فذهب الى بيت الحاكم وناقش معه أفكاره الشريرة في طريقة القتل. ومن اقتراحاته الشيطانية، ربط أبا بديع الى بالون هوائي اخترع حديثا، وجيء به قبل فترة الى مدينة مشهد، ورمي الرجل من الفضاء الى الارض. وبينما كان النقاش على أشده، وقعت مصيبة في بيت الأمير، اذ سقطت ابنته الصغيرة العزيزة على قلبه في

حوض ماء داخل المنزل وفارقت الحياة. وعلى أثرها، ترك الأمير الاجتماع حزينا مهموما. وبذلك، فشلت خطط الشيخ محمد باقر بأجمعها. أما زوجة الأمير فكانت مقتنعة تماما، ان وفاة ابنتها المأساوية، ما هي الا عقاب من الله، نتيجة سجن أبا بديع، فوبخت زوجها بشدة على تصرفاته وطالبته بالتخلي عن الحاق الأذى بالرجل المسن وتركه لحال سبيله. ونتيجة لكل هذا، لم يستطع الحاكم أكثر من ان ينقل أبا بديع الى مكان آخر، حيث كان الضابط المسؤول متعاطفا مع البهائيين.

أما الشيخ باقر، فلم يستطع تحمل تصرفات الأمير المترددة اكثر من هذا، فأرسل الى الشاه شكوى اخرى. وللمرة الثانية، ارسل البلاط تعليماته للحاكم بإطلاق سراح السجين اذا أنكر ايمانه بالدين الجديد، والا فعليه معاملته حسب الشرع. فأرسل الأمير وهو يرغب في انقاذ السجين، رجلين معروفين الى السجن لإقناعه في نكران ايمانه، هما ميرزا سعيد خان وزير الخارجية السابق، والأمير عبد الحسين ميرزا (شيخ الرئيس)، وهو مؤمن وشاعر وأديب معروف تشرف بمحضر بهاءالله وحضرة عبدالبهاء. فحاول هذان الرجلان كثيرا مع السجين بالنيابة عن الحاكم ليحمياه من مصيره المحتوم، وأفهماه ان يدي الحاكم مغلولتان، ولا يمكنه الدفاع عنه وعن قضيته الا بهذه الطريقة.

وقف أبو بديع بتصميم وعزم شديدين، ولم يقايض دينه بهذا العالم الفاني، فمحبة حضرة بهاءالله استحوذت على كل كيانه، ولم يجد الخوف الى قلبه سبيلا، وأخبرهما ان ينقلا الى ركن الدولة نيابة عنه، عدم استطاعته نكران دينه او حتى ذمّه، وانه مستعد لفداء نفسه اذا وجب الأمر.

لم يفقد الحاكم الأمل، واستمر في خطته لإقناع أبا بديع في الانكار، وقيل انه ارسل حوالي اثنا عشر رجلا في أوقات مختلفة، وهم من كبار شخصيات مقاطعة خراسان، ليطالبوه بتغيير موقفه. الا انهم فشلوا جميعا، وصرّح احدهم: ان أبا بديع بدلا من الاصغاء الى نصائح ركن الدولة، انشغل بتبليغه أمر الله.

أخيرا حلت النهاية، ولم يكن أمام الأمير خيار سوى تنفيذ رغبات رجال الدين، فأصدر أمره باعدام السجين.

ذات يوم، طلب أبو بديع من احدى المؤمنات التي اعتادت زيارته في سجنه، وكانت تلعب دور الواسطة بينه وبين باقي الاحباء خارج السجن، واسمها خديجة خانم، بالتوقف عن زيارته، لأن يوم غد سيكون آخر أيامه في هذه الدنيا، وانه شاهد في منامه انهم أحضروا له حصانا فركبه وذهب بعيدا، وعندما وصل ميدان (أرك) وهي ساحة عامة في مشهد، سقط من فوق الحصان. وتنبأ ان تلك الساحة ستكون ميدان شهادته.

في اليوم التالي، أخبر السجّان الاحباء بسرية، ان ساعة النهاية قد اقتربت، وان عملية الاعدام ستتم في هذا اليوم. فإجتمع الاحباء يلفهم الحزن العميق في بيت (البابية) (وهو من البيوت التاريخية للأمر المبارك، وكان مركزا لنشاطات عظيمة للبابيين في مشهد)، فجلسوا يصلون ويقرأون الدعاء والمناجاة وينتظرون الاخبار.

في تلك الاثناء، اجتمع خارج السجن، عدد من الناس وموظفو الحكومة والجلادين ينتظرون نهاية القصة. وبعد عدة ساعات، ظهر هيكل السجين العجوز بوجه منور ولحية ناصعة بيضاء تضفي عليه وقارا جليلا وبسلاسل ثقيلة ملتفة حول رقبته النحيلة تزين صورته وتزيدها وداعة وهدوء. فاقتيد وسط صراخ وشتائم

جموع الاعداء الى بيت الحاكم. وفي الطريق واجه المحتشدين بشجاعة، ورتل بشيء من المرح، بيتين من قصيدة فارسية، تقول:-

نحن نسرع الى الله بالفرح
فالأسد لا تخجله السلاسل
حول عنقي ربطت حبالي المحبوبة
انها تقودني الى حيث أشاء

وفي بيت الحاكم، وقف السجين أمام ثلاثة اشخاص، الحاكم وميرزا سعيد خان وشيخ محمد باقر، فخاطبه الأمير، قائلا: ليس لدينا شك من أنك بهائي. اما اذا كنت غير ذلك. فعليك الآن شجب مؤسس هذا الدين علنا. فرفض السجين الاستجابة للطلب. فسأله الشيخ: ما هو الخطأ في الدين الاسلامي حتى تصبح بهائيا؟ هنا، تكلم أبو بديع عن ايمان اتباع حضرة بهاءالله، واكد بصراحة ان حقيقة جوهر الاسلام، تكمن في هذا الدين الجديد. بعد ان أنهى السجين كلامه، طالبه الحاكم بالانصياع لأوامر المشايخ. الا انه كرر رفضه. فأصر الشيخ على السجين بشتم حضرة بهاءالله، والا فسيقتل. اضطرب ميرزا سعيد خان من سوء سلوك الشيخ محمد باقر، وقال: انه لا يوجد في تصريحات السجين ما يدل على كفره وارتداده بحيث يستحق القتل. فغضب الشيخ لهذا التصريح، وأشار نحو ميرزا سعيد خان، وأجابه: ان عليه ان لا يأمل بإطلاق سراح السجين نتيجة هذه الكلمات فقط، فهذه تعتبر ضربة للدين الاسلامي. وكرر فتواه بإعدام السجين. وهنا أمر الحاكم رجاله بتنفيذ الحكم.

اقتيد أبو بديع من قبل الجلادين الى ميدان ارك حيث اجتمعت الجماهير لمشاهدة عملية الاعدام. واذا بأحد الاحباء يخترق صفوف الناس بصعوبة ويقترب من الضحية ويتوسل اليه نكران دينه في

آخر لحظة. وقال ان هذا ينقذ حياته وليس فيه ضرر للأمر. وجوابا عليه رتل أبو بديع هذا البيت من الشعر الفارسي:

أنصب فخك لطير آخر فهذه عنقاء أوكارها عالية

وصل رسول خاص من الحاكم المتردد جدا في سفك دم هذا الرجل الطاهر، ليحاول للمرة الأخيرة انقاذ حياته، آملا ان منظر مشهد الاعدام سيخيف أبا بديع ويدفعه للانكار. الا ان الرجل بقي صامدا صلبا مستقيما على أمر الله، ولم تزعزعه عن موقفه لا صراخ وشتائم وأذى الناس ولا منظر الجلاد المرعب بخنجره المسلول في يده.

ومن المحتمل جدا ان روحه الطاهرة كانت تخاطب حضرة بهاءالله في سموه وعليائه وتشتاق للطيران الى عالم الارواح. وان أفكاره متوجهة الى تلك الساعات الجميلة التي أمضاها بمحضره المبارك في عكاء، والى شهادة ولده المحبوب بديع (فخر الشهداء). وقف هذا الرجل الالهي المسن، وهو محاط بآلاف الناس المتحدين على الغضب والكراهية واللعن والطعن، متوقدا بنار الايمان والثبات هادئا غير مكترث بهم.

في النهاية، اصدر الضابط المسؤول اشارة الاعدام. فألبس السجين رداء الموت الاحمر، وتقدم الى الامام، لتخلع عنه عمامته وعباءته وشاله. وأداروا وجهه نحو القبلة، وقدموا له كوب ماء. وبضربة عنيفة من نصل خنجر حاد، فتحوا صدره حتى بلعومه. فوقع على الارض، ذلك الجبل الشامخ مضرجا بدمائه الطاهرة دون حراك. عندها، وضعوا جسده على لوح مرمري، برأس مكشوف، وطافوا به اسواق المدينة، ثم تركوه معروضا للعيان بهذا الشكل. ووقف عدد من الغوغاء قربه مانعين عائلته من الاقتراب منه. أما ابنته الحزينة (شقيقة بديع)، فوقفت لعدة ساعات مع زوجها

على بعد تذرف الدموع وهي ممسكة بطفلها بين يديها لتتمكن من زيارة بقايا جسد والدها العظيم. الا ان الجماهير كانت ترجمهم بالحجارة لتبعدهم عن المكان، فغادرته منكسرة القلب وهي بحالة كبيرة من الحزن لا يمكن وصفها.

أما الاحباء الذين راقبوا الاحداث باهتمام كبير، فقد اجتهدوا لإنقاذ جثمانه. وبما انه بقي متروكا في معرض الجثث مقابل جامع لأهل السنة. لذلك لبس أحدهم ملابس الاكراد، يصحبه اثنان منهم، وتدبروا نقل الجثمان في بهيم الليل الى خارج باب المدينة، وقاموا بدفنه في مقبرة مهجورة.

وهكذا إنتهت حياة شخص وقف مثل طود شامخ، ثابت لا يتزعزع عن أمر مولاه، وشهد على حقيقة الأمر بدمه وأظهر بصورة واضحة قوة حضرة بهاءالله الذي خلق بكلمة واحدة جيلا جديدا من الرجال وغرس فيهم هذا الايمان العظيم، حتى كانوا مصداقا للآية المباركة:

(وكن مستقيما في حبي بحيث لن يحول قلبك ولو تضرب بسيوف الاعداء ويمنعك كل من في السموات والارضين).

***

الفطنة والذكاء ... لا تكفيان!

تظهر القصة التالية، عن حياة جناب ابي الفضل، العالم البهائي الشهير، بشكل واضح، ان قراءة كلمات الله بمجرد عين الفطنة والذكاء فقط، يمكن ان تقود الانسان الى الابتعاد او الانحراف عن الصراط المستقيم.

ذكر ابو الفضل - وكان لا يزال من كبار العلماء المسلمين - ان الاحباء أعطوه ذات يوم كتاب الايقان ليقرأه في بداية تعرفه اليهم. فأخذه وقرأه بحالة من التعالي والكبرياء وعدم التصديق، ولم يكترث به، بل علق على الكتاب، بقوله: لو كان الايقان برهانا على صحة دعوة بهاءالله، فبإمكاني تأليف كتاب أفضل منه.

كان ابو الفضل في ذلك الوقت مديرا لمدرسة فقهية في اصفهان. وحدث في اليوم التالي مباشرة، ان جاءت امرأة الى المدرسة تسأل بعض الطلاب كتابة رسالة مهمة لها. فمن عادة الأميين في تلك الايام دفع بعض المال للمتعلمين لكتابة الرسائل لهم. فأرشدها الطلاب الى ميرزا ابي الفضل، باعتباره كاتبا نحريرا مشهورا، واستاذا في الفصاحة واللغة، لا يدانيه احد في الكتابة والتأليف.

عندما دخلت السيدة الى مكتبه بعدما طرقت الباب، وأفصحت عن طلبها، اخذ ابو الفضل قلمه وسحب ورقة وشرع يريد الكتابة، الا انه وجد نفسه عاجزا عن كتابة جملة واحدة. فحاول عدة مرات وبشدة ولكنه لم يفلح، بل انه لم يستطع تركيز أفكاره المشتتة، وبقي لعدة دقائق يخطط ويرسم في زاوية الصفحة وعلى اظفر اصبعه، ومع ذلك، لم يفلح في كتابة كلمة واحدة.

عندما لاحظت السيدة عجز الرجل العالم عن الكتابة. قالت بسخرية بعد نفاذ صبرها، وهي تنهض للمغادرة: (ان كنت نسيت كيف تكتب رسالة بسيطة. فلماذا لم تقل لي ذلك منذ البداية بدلا من جلوسي وانتظاري هنا، وأنت تعبث بالورقة؟).

علق ابو الفضل على تلك الحادثة، بقوله: انه غرق ساعتها في الخجل. وفجأة، تذكر تعليقه السابق ليلة أمس عن قدرته على تأليف

كتاب أفضل من كتاب الايقان. وأدرك ان هذه الحادثة ما هي الا جواب واضح لموقفه المتعجرف تجاه كتاب مقدس.

في النهاية، آمن هذا الرجل، وكان صاحب قلب طاهر نقي، فقرأ نفس الكتاب لمرات عديدة بعين الايمان الجديدة، ووجده بحرا واسعا من المعرفة. وكان كلما كرر قراءته، وجد فيه دررا ثمينة من الحكمة واكتشف اسرارا جديدة لم يشاهدها من قبل.

***

حادثة الاسكندرية

ارسل حضرة بهاءالله في نهاية مدة اقامته في ادرنة، نبيل أعظم في مهمة الى مصر. وكان خلالها ميرزا حسن خان خوئي القنصل الايراني في القاهرة عدوا لدودا للأمر المبارك. وحالما علم القنصل بزيارة نبيل، تقدم للسلطات المصرية باتهامات كاذبة باطلة مطالبا باعتقاله. فالقي القبض على نبيل وارسل الى سجن في القاهرة، ثم رحل الى سجن آخر في الاسكندرية، غير عالم بمصير حضرة بهاءالله ونفيه الى عكاء. فأمضى ايامه في سجن الاسكندرية المحاذي لساحل البحر.

كان مع نبيل داخل السجن طبيب سوري يدعى فارس اعتقل لاسباب مالية، فربطت بينهما علاقة صداقة. بعدما اكتشف الطبيب أن نبيل رجل مؤمن ذو أخلاق عالية، حاول تحويله الى الديانة المسيحية. الا ان ما حصل هو العكس، فقد بلّغ نبيل الطبيب ببشارة عودة الأب السماوي وظهور يوم الله، وفتح أمام عينيه بابا ليريه شعاع بزوغ اليوم الجديد وشاركه اخبار وعلوم الظهور الجديد. وحالا، وكنتيجة لقدرة نبيل التبليغية المدعومة بزهده بهذا العالم

المادي والمسندة بعلمه ومعرفته العميقة برسالة حضرة بهاءالله، آمن فارس بحقيقة الامر المبارك وراحت نار الايمان تتقد في صدره وتملكت محبة حضرة بهاءالله من كل كيانه، وإمتلأ بالفرح والسرور وتبخرت عن قلبه قساوة ظلمة حياة السجن ووجد نفسه في وسط الجنة لأول مرة.

وحدث ان رأى نبيل زرندي في منامه ذات ليلة، عندما كان معتقلا في سجن القاهرة، أن حضرة الجمال المبارك يؤكد له ان حياة السجن الشاقة ستنتهي بعد واحد وثمانين يوما.

وذات يوم في وقت المغيب، صعد نبيل فوق سطح السجن يرنو بنظره المارة هنا وهناك. لم يمض عليه وقت طويل وهو جالس في احدى زاويا السطح، حتى شاهد باستغراب أقا محمد ابراهيم بين جمهور المارة. وكان هذا الرجل مكلف بتأمين احتياجات حضرة بهاءالله واصحابه في ادرنة، وهو الآن في طريقه لشراء احتياجاتهم وهم على متن السفينة الراسية قرب ساحل الاسكندرية.

فنادى نبيل بصوت عالي على آقا محمد، الذي استغرب جدا من وجوده فوق سطح بناية السجن، فتوجه الى بوابته ونجح في اقناع الحرس في الدخول لزيارة صديقه. وهناك اخبره بمصير حضرة بهاءالله واتباعه، واشار الى السفينة الراسية بجانب ساحل المدينة وأخبره أنها تحمل المنفيين.

لم يستطع السجينان النوم في تلك الليلة بينما محبوب قلبيهما قريب منهما. فقررا كتابة رسالة باللغة العربية لحضرة بهاءالله. وتدبر فارس اقناع شاب مسيحي كان يعمل ساعاتيا في داخل المدينة يدعى 'قسطنطين' ليوصلها الى السفينة. ووقف الاثنان على سطح السجن يراقبان مغادرة الشاب والسفينة في وسط البحر، ويخاطبان بقلبيهما روح حضرته بالحب والوداد.

وبقلوب منكسرة، شاهدا السفينة ترفع مراسيها وتتحرك مبحرة في عرض البحر قبل وصول قسطنطين اليها، فإنتابتهما حالة من الحزن واليأس العميق واغرورقت عيونهما بالدموع.

ولكن... اذا بالسفينة تتوقف بعد ابحارها بعدة دقائق، لتنتظر وصول الشاب الذي استقل قاربا صغيرا للحاق بها، ثم صعد الى ظهرها ليسلم المظروف الى احد اتباع حضرة بهاءالله. فأخذها وقدمها لمولاه. فخلقت اخبار نبيل ومكان اعتقاله وخصوصا رسالة فارس الرقيقة، التي قرأها حضرة بهاءالله بنفسه بصوت عال للحاضرين بعدما قرر مشاركة اصحابه فحواها، اثارة وروحانية كبيرة على ظهر السفينة وأفرحت قلب حضرته كثيرا، بحيث أنزل حضرته بعد ذلك، لوحا مشتركا لنبيل وفارس، أنزل فيه رحمته وبركاته عليهما معا، مؤكدا للأخير قرب موعد اطلاق سراحه.

ثم دعى قسطنطين الى محضره، وسلمه اللوح بنفسه مع محبته الكبيرة. كما ارسل ايضا حضرة عبدالبهاء والغصن الأطهر هدايا الى نبيل.

أثرت هذه الزيارة القصيرة على قسطنطين تأثيرا كبيرا. فوقوفه لفترة بسيطة، وجها لوجه امام مظهر الهي، ومشاهدة محياه الرائع، جعله مفتونا منصعقا عند تركه سطح السفينة. وعند عودته لتسليم الطرد الى فارس افندي، كان يصيح بصوت عال وبحالة من الفرح والجذل: (بالله العظيم.. شاهدت وجه الأب السماوي).

فنهض فارس ووجهه يطفح بالبشر والفرح ليعانق قسطنطين ويقبل عينيه التي شاهدت وجه مولاه.

منح لوح حضرة بهاءالله المخطوط بيد كاتب وحيه ميرزا أقا جان روحا جديدة من المحبة لفارس وأشعله بلهيب نار الايمان والمحبة التي أوقدها نبيل في قلبه سابقا داخل ظلام السجن.

وكما وعده حضرته، فقد اطلق سراحه بعد ثلاثة ايام، ونهض يعلن عن الامر المبارك بين جماعته. ثم جاء دور نبيل وأطلق سراحه سريعا مع أمر صارم بضرورة مغادرة الاراضي المصرية. فغادرها وتوجه الى السجن الأعظم في أرض الأقدس للحاق بمولاه.

***

" نعم.. أنا هو"

في رواية أخرى من السيد مهدي الگلپايگاني، وهو من المؤمنين البارزين وابن أخت ميرزا أبو الفضل، تنكشف الحقيقة نفسها، ألا وهي أن حضرة بهاءالله، المظهر الكلي الإلهي، كان

عالماً بالغيب والشهادة. وطالما كان يحكي الراوي قصته هذه إلى المؤمنين بعشق آباد:-

من الذين آمنوا بالدين البهائي في إصفهان، رجل ذو نفوذ معروف، ولكنه لم يكن يحيا حياة صالحة. سافر هذا الرجل إلى عكاء وحصل على الإذن بزيارة حضرة بهاءالله.

وفيما يلي يحكي قصته:

‘في أول يوم من تشرفي بمحضر الجمال المبارك، كنت ضمن جماعة من المؤمنين الحجاج واقفين بمحضره، بينما كان يلقي علينا كلمات النصح والتشجيع وهو يمشي جيئة وذهاباً. ولقد كنت مسحرورا لرؤيتي جلال وهيبة مظهره.

فقلت في نفسي: "نعم إني أعترف بأن الجمال المبارك هو المظهر الكلي الإلهي، وموعود كل الأزمنة. لكن الذي لا أفهمه ولا أستطيع إدراكه، هو ما ورد في كتاباته، حينما يقول: بأنه مرسل الرسل ومنزل الكتب السماوية.

وحالما خطرت تلك الفكرة في رأسي، تقدم صوبي ووضع يده على كتفي، وقال بلهجة العظمة والجلال:-

"نعم.. إنّا من أرسل الرسل وأنزل كتب الله."

حينئذ صُعقت.

***

(حضرة عبدالبهاء)

زواج حضرة عبدالبهاء

حدثت في ايام ادرنة وقائع مهدت السبيل لزواج حضرة عبدالبهاء في مدينة عكاء بعد سنين عديدة. فقد كانت العادة في تلك الايام، وخاصة بين طبقة الموسرين، تدبير أمر زواج اولادهم وبناتهم ايام طفولتهم داخل محيط العائلة، ولم يكن للزوجين خيار

فيما يحدث. وعندما كان حضرة عبدالبهاء صغيرا يعيش في طهران، اختاروا له بنت عمه شهربانو خطيبة له. وهي ابنة ميرزا محمد حسن الأخ الكبير لحضرة بهاءالله. وبنفي حضرة بهاءالله وعائلته الى العراق، بقيت شهربانو في مقاطعة نور في مازندران حتى عام 1868م. وفي ايام ادرنة، أمر حضرة بهاءالله عمه ملا زين العابدين ترحيل الفتاة الى طهران ومنها الى ادرنة.

وبسرعة وصلت الاخبار الى شاه سلطان خانم (الأخت غير الشقيقة لحضرة بهاءالله وهي من اتباع أزل) فنهضت بكل عداء لمنع هذا الزواج، وأخذت البنت الى بيتها في طهران، وأجبرتها على الزواج من ميرزا علي خان نوري ابن رئيس الوزراء. فصعب هذا الزواج البغيض على البنت، وأسدلت عليها حالة من الحزن والكآبة الدائمة. وكتب أخوها الصغير ميرزا نظام الملك في مذكراته عنها - وهو من اتباع حضرة بهاءالله - قائلا: بعد زواجها، تضرعت الى الله، وصلّت بحرارة، حتى ينقذها من هذه المصيبة الكبرى. ويبدو ان الله استجاب لدعواتها. فبعد فترة بسيطة اصيبت بمرض السل وتوفيت.

اما بالنسبة لزوجة حضرة عبدالبهاء منيرة خانم، فقد أمضت طفولتها وشبابها في اصفهان تحت حفظ ورعاية والديها وابناء عمها اللامعين. وبعد وفاة والدها، قررت عائلتها ومن ضمنهم سلطان الشهداء ومحبوب الشهداء أزوف وقت زواجها. لذلك، أعدت العدة لعقد قرانها على ميرزا كاظم أصغر أخوة سلطان الشهداء ومحبوب الشهداء.

عند حلول يوم الزفاف، مدت مائدة عظيمة وأقيمت حفلة كبيرة على شرف العروسين. وبنهاية الاحتفال، حدثت واقعة حزينة بدلت فرح الجميع الى حزن عميق. اذ أصابت العريس المعافى، وعكة

شديدة وهو يتقدم الى مدخل بيته. وبدا وكأنه أصيب بضربة عجيبة أجبرت من حوله على مساعدته للوقوف على قدميه. الا ان مرضه أشتد وتوفي على أثره.

حولت هذه الحادثة المفجعة أفكار منيرة خانم عن هذا العالم المادي، وراحت تمضي ايامها ولياليها في الصلاة والتعبد. لكن الايام كانت تخبيء لها حياة اخرى. وفي الحقيقة، كانت ظروف زواجها من حضرة عبدالبهاء مثيرة جدا. والسرد التالي، كتبته بخط يدها يوضح الفرح والسرور لمثل تلك الحياة الرائعة، حيث قالت:

إذعانا لأمر حضرة بهاءالله، وصل سيد مهدي دهجي الى ايران ومرّ في طريقه باصفهان لنشر امر الله. فأقيمت له مأدبة كبيرة، اجتمع فيها كل الاحباء حوله يتسائلون عن اخبار ارض الأقدس وتفاصيل معيشة العائلة المباركة وحالة المساجين في قلعة عكاء. وكان من بين المتسائلين زوجة عمي شمس الضحى، وهي من عائلة سلطان الشهداء.

فسألت سيد مهدي، وقالت: عندما كنت في محضر بهاءالله، هل سمعت أية كلمة عن اختيار اسم فتاة معينة، كزوجة لحضرة عبدالبهاء؟

أجابها سيد دهجي، قائلا: كلا. الا انه ذات يوم، كان حضرة بهاءالله يتمشى في قسم بيته الرجالي. فإلتفت إلي، وتفضل: آقا سيد مهدي! لقد شاهدت رؤيا ليلة أمس. وهو ان وجه الفتاة الجميل التي طلبنا يدها من ميرزا حسن للزواج من الغصن الأعظم، الساكنة في طهران، صار مظلما وقاتما. وظهر في نفس الوقت، وجه فتاة اخرى لطيف المحيا، ذات قلب منور. فإخترناها زوجة للغصن الأعظم. هذا كل ما سمعته من حضرته.

وتستطرد منيرة خانم، فتقول: عند عودة عمتي الى البيت، أقسمت بالله العظيم، انه في اللحظة التي كان سيد مهدي يقص علينا رؤيا حضرة بهاءالله، خطرت في ذهنها وبدون تردد، أنني تلك الفتاة المقصودة، ولن يمض وقت طويل حتى يتبين لنا صدق قولها. فبكيت، وأجبتها: ان هذا بعيد المنال جدا. لأني لا استحق مثل هذه النعمة. وأرجو الا تخرج من شفتيك كلمة بهذا الخصوص، ولا تتكلمي عنه لأي شخص.

وتستمر منيرة خانم بسرد قصة سفرها الى ارض الأقدس حسب تعليمات حضرة بهاءالله المتتالية الى أهلها. وتقول: انهم إلتقوا خلال الطريق بالعديد من الاحباء الذين حاولوا منعهم من الذهاب الى مقصدهم، مؤكدين لهم، انه لا يمكن لأحد الدخول الى عكاء في هذه الايام، لأن بعض الاحداث المؤلمة سببت حبس الاحباء هناك من جديد، والسلطات لا تسمح بدخول أي بهائي الى عكاء. فسببت لنا هذه الانباء ازعاجا شديدا، وتساءلنا عما سنفعله؟ الا ان تأكيدات شيخ سلمان (رسول الرحمن) المستمرة الواثقة، أكدت لنا ان هذه الظروف لا تشملنا، مما جعلنا نشعر بالثقة والاطمئنان، وقال اننا سندخل ارض الأقدس بكل يسر وسهولة، حتى ولو وضع جميع الاحباء في السجن والاغلال.

في النهاية وبعد الكثير من المتاعب والمشاق التي لاقيناها خلال الطريق، وصلنا عكاء.

جاء افراد العائلة المباركة لزيارتنا والترحيب بنا. وذهبت معهم للتشرف بمحضر بهاءالله لأول مرة. ان حالة البهجة والسرور التي احتوتني عند تشرفي بمحضره المبارك تجلّ عن الوصف. وكانت أولى كلماته لي: (جئنا بك الى السجن في مثل هذا الوقت الذي

أقفلت فيه باب اللقاء في وجوه جميع الاحباء. ليس لسبب سوى لإثبات قوة الله القدير).

عشت بعدها في بيت آقا كليم، شقيق حضرة بهاءالله، لمدة خمسة شهور، تشرفت خلالها بالمحضر المبارك عدة مرات. واستمر جناب كليم يحمل لي بركات حضرة بهاءالله اللامتناهية، كلما عاد من زيارة حضرته.

ذات يوم، جاءني آقا كليم وهو سعيد جدا والفرح يطفح من عينيه، وقال: جئتك بأجمل هدية... لقب منحك إياه حضرة بهاءالله. وهو اسم جديد (منيرة).

وتضيف: قربت ليلة الزفاف، ولبست رداءا أبيضا، خاطته لي أنامل حضرة الورقة العليا المباركة. وكان أجمل من حرير ومخمل الجنة نفسها. وفي حوالي الساعة التاسعة، سمح لي بالمثول في محضر بهاءالله بمعية حضرة الورقة العليا المباركة، واستمعت الى كلماته المباركة، فتفضل قائلا:... أهلا وسهلا.. أهلا وسهلا... يا ورقتي وأمتي المباركة.. لقد أخترناك وقبلناك لتكوني صاحبة وخادمة للغصن الأعظم. ان هذا من نعمتي عليك، ولن يساويها شيء، ولا تقاس لا بكنوز الارض ولا بالجنة... عليك ان تكوني شكورة لحصولك على هذا الفضل والنعمة العظيمين... ان شاء الله ستكونين دائما تحت حماية الله.

اما عن حياتها مع حضرة عبدالبهاء، فكتبت هذه الكلمات: ان شئت كتابة تفاصيل الخمسين عاما التي عشتها مع محبوب العالم وعن محبته وشفقته ورحمته. فسأحتاج الى خمسين عاما أخرى للكتابة عنها. مع ذلك، فلو تبدلت بحار العالم الى مداد، واوراق الغابات الى قرطاس، فلن أوف هذا الموضوع حقه.

***

رعـايـــة

تأكيدا من حضرة المولى على أهمية الدواء المادي كسبيل للشفاء من الأمراض، الى جانب القوى الروحانية. إستأجر حضرته طبيبا يدعى نيكولاكي بك، وخصص له مرتبا شهريا، ليقوم مقابل ذلك، على رعاية وخدمة الفقراء والمساكين من أهالي مدينة عكاء التي كانت تفتقر الى المستشفيات، في ذلك الوقت.

كانت تسكن المدينة، امرأة فقيرة تدعى نعوم، اعتادت القدوم كل يوم جمعة الى بيت حضرة عبدالبهاء لأخذ صدقتها.

ذات يوم، جاء شخص الى منزل حضرة عبدالبهاء، ليخبره، ان نعوم مريضة جدا تستلقي وحيدة في فراشها نتيجة اصابتها بمرض الحصبة ولا يقترب منها أحد مخافة العدوى.

وفي الحال، أرسل حضرة عبدالبهاء، إمرأة لتقوم على رعاية نعوم، ثم استأجر لها غرفة خاصة، وأمر بنقل سريره الشخصي اليها. وأرسل في طلب الطبيب، واشترى لها ما تحتاجه من طعام وغير ذلك، وقام على زيارتها بنفسه، ليطمئن عليها وعلى راحتها.

الا ان المرض كان شديدا على نعوم، فلم تستطع مقاومته، وتوفيت بعد عدة أيام. فأقام حضرة عبدالبهاء لها مأتما صغيرا، دفع تكاليفه من جيبه الخاص.

***

حجامة

يروي الدكتور يونس خان سكرتير حضرة عبدالبهاء، أحد "حُماة ميثاق حضرة بهاءالله"، في مذكراته وصفاً شيقاً لموضوع نوجزه فيما يلي:

طالما سمعت حضرة عبدالبهاء يتحدث عن الطب في عدة مناسبات، ويصف الأدوية لمن يقصده في أوائل أيام أمر الله.

لكن حضرة بهاءالله أعطى توجيها بأن لا يستمر على ذلك حتى يتوجه المؤمنون إلى الحذاق من الاطباء ولا يتعودوا الأخذ بنصائح طبية من أناس ليسوا أهلاً لها، لأجل تهيأتهم للعمل بحكم كتاب "الأقدس". ورغم ذلك، اعتادوا التوجه لحضرته كلما عجز الأطباء عن شفائهم، حيث لا تقوى علّة على مقاومة علاجه ودوائه.

وبالنظر لطبيعة حضرته الرحيمة، لم يكن يرد من يتوجه إليه خائباً. فكان يستخدم وسائل مختلفة لشفاء المرضى، ويحقق ذلك عن طريق مستحضر يؤدي الغرض. وحينما كان الأحباء البهائيون يلتزمون بمراجعة الأطباء، كان عامة الناس، يطلبون منه العلاج، ولم يكن يخرج أحدا منهم خائباً.

إحدى وصفات العلاج التي كانت تحت تصرفه ويقدمها لكثير من المرضى، هو شراب الرمان اللذيذ. وكان يخبر الجميع: أن هذا الرمّان قد أثمر على أشجار حديقة الرضوان التي بوركت بلحاظ الجمال المبارك جل كبرياؤه.

لكن ما هي الظروف التي كانت تؤدي إلى الشفاء؟ هل كان استعداد المرضى؟ أم شراب الرمّان؟ أم بسبب إرادة حضرته؟

لا أعرف الجواب. لكني أعرف أمراً واحداً، هو أن هذا الشراب اللذيذ قد برهن مرة بعد مرة، أنه الدرياق الشافي لعدة أمراض! وكان هذا من المواضيع التي غالبا ما يتحدث عنها المؤمنون في بيت المسافرين.

وصفة أخرى كان حضرة عبدالبهاء ينصح باستعمالها، وهي الصوم وعدم تناول نوعا معينا من الأطعمة. ولحضرته وسيلة

أخرى للعلاج، وكانت شافية لعلل النفس والروح، وهي العلاج بدون أي واسطة...! وذات مرة عالجني أنا شخصيا بهذه الطريقة، أي بدون واسطة مادية.! وهذه هي القصة:

خلال إقامة الدكتور أرسطو في بيت المسافرين في عكاء، أصبت بمرض شديد استمر لفترة طويلة، صاحبه ألم شديد لا يحتمل. ورغم ذلك، لم أطلب الشفاء من حضرة عبدالبهاء، بل استمر الدكتور أرسطو في محاولاته يجرب معي مختلف أنواع العلاج. إلا أني بقيت مريضاً طريح الفراش.

وذات ليلة.. بلغت بي الأوجاع حداً لا يطاق، فوصل صوت أنيني وتأوهي لأسماع المسافرين داخل البيت. لذلك اتفقوا على إرسال الخادم آقا محمد حسن إلى بيت المولى يطلبون مساعدته. لكني لم أعلم إذا كان حضرة المولى مستيقظاً أم نائماً في تلك الساعة، وكل ما أذكره، أنني كنت مستغرق في نوم عميق عند عودة آقا محمد حسن.

ولمّا صحوت عصر اليوم التالي، كان قد ذهب عني كل ألم، وفي المساء تحسنت حالتي وشعرت بقدرتي على المشي. لقد كنت مريضاً لمدة خمسة وعشرين يوماً، وفي الأيام الأخيرة التزمت الفراش تماما. وبطبيعة الحال حرمت خلال تلك الفترة من الفوز بمحضر المولى. ولذا توجهت من فوري ماشياً صوب بيته، فقابلته في الطريق وتشرفت بمحضره. فسأل عن حالي وصحتي، ثم راح يغمرني بفيض عناياته وفضله، واسعتها شعرت بأنها اللحظة المناسبة لكي ألتمس منه الشفاء التام. وبالفعل طلبت ذلك.

فقال: "حسن جداً، ولكن ينبغي أن تجرى لك عملية فصد[1]، إمّا بطريقة الكوب (الساخن) أو الشق الوريدي.

وبمجرد سماعي كلمة "الكوب"، سرت في كياني مشاعر الخوف والرهبة، وبحركة تلقائية كطفل مدلل، اكفهرّ وجهي واهتز كتفي، دلالة على عدم موافقتي لفكرة المشرط أو الكوب!

لمّا شاهد حضرته حالتي بهذا النحو، تفضل يمازحني: ‘سبحان الله يا رجل.. كنت آمل ارسالك لمقابلة سيوف الأعداء، وها إنت تخشى كوب زجاج!’

ونظراً لما عُرف عني من نزعة الثرثرة، تجاسرت قائلاً على سبيل الفكاهة: عندما يحدث ذلك، فإن الله سيمدني بفضله وعونه! ولكني لو أردت استعمال كوب الزجاج لشفائي، فلماذا قصدت محضرك متوسلاً راجياً شفائي على يديك؟

عندئذ تبسم حضرته.. وفي ابتسامته كان شفائي التام النهائي. وهكذا برأت بدون أية وسائل مادية.

***

مـأثـرة

رفض حضرة المولى دائما امتلاك أكثر من سترة واحدة. وكان يعلل ذلك بقوله: "لماذا أمتلك أكثر من واحدة، بينما لا يملك غيري حتى واحدة".

اقترب ذات يوم موعد زيارة حاكم مدينة عكاء لبيت حضرة عبدالبهاء. فاعتقدت زوجته منيرة خانم ان سترته قديمة لا تناسب أهمية الزيارة. لقد كانت تتمنى دائما لو إمتلك حضرته واحدة جديدة. لكنه كان لا ينتبه لما يرتديه، طالما انه نظيف. ففكرت ماذا تفعل وموعد الزيارة يقترب. أخيرا، قررت ان تطلب من الخياط، خياطة سترة جديدة لزوجها.

وفي صباح يوم الزيارة، وضعت منيرة خانم السترة الجديدة الجميلة مكان السترة القديمة، معتقدة ان حضرته لن ينتبه وسيرتديها بدلا من سترته القديمة.

عندما تناول حضرة عبدالبهاء سترته الجديدة من مكانها المعتاد، انتبه للفرق، وشعر بشيء غير عادي. واذا به يبدأ يلف أرجاء البيت وينادي: "أين سترتي.. أين سترتي.. لقد نسي أحدهم سترته هنا، وأخذ سترتي بدلها".

وهنا، تدخلت الزوجة الطيبة لتوضيح الأمر. فتفضل حضرته: "هل تعتقدين اني أنفق مبلغا كبيرا كهذا على سترة واحدة؟ بثمنها استطيع شراء خمسة من النوع المتوسط. ولكن ان كنت تعتقدين انني بحاجة الى واحدة جديدة. فحسنا، عودي الى الخياط وأطلبي منه عمل خمسة بدلا عن هذه. عند ذلك، سيرتدي معي أربعة آخرون ملابس جديدة.

كان حضرة عبدالبهاء يفكر دائما بغيره قبل نفسه.

***

مثل أعلى

روت احدى السيدات الأمريكيات المؤمنات، تجربتها الشخصية في لقاء حضرة عبدالبهاء، عند زيارتها مدينة عكاء، فقالت: كنت برفقة حضرته ذات يوم، عندما تفضل، بأنه مشغول جدا، وأن

ضيق وقته لا يسمح له بعيادة احد اصدقائه المرضى. ثم طلب مني القيام بالزيارة نيابة عنه، وأخذ بعض الطعام للمريض والاعتناء به مثل ما يفعل هو بالضبط. فكنت مسرورة جدا وفخورة بهذه الثقة.

جهزت نفسي، وذهبت الى المريض لزيارته. ولكنني لم أكمل المهمة، وعدت مسرعة الى حضرة عبدالبهاء، لأقول له: مولاي.. انني متأكدة إنك لم تنتبه الى أي مكان مرعب أرسلتني، لقد أغمي عليّ من رائحة المكان النتنة ومن قذارة الغرفة، وسوء حال الرجل ووساخة بيته. لقد هربت من هناك قبل ان أصاب بمرض مخيف.

نظر إلي حضرته بحزن كوالد حنون، وتفضل: "اذا كنت تطلبين خدمة الله، فعليك بخدمة أتباعه". ثم أضاف: "ارجعي الى بيت الرجل. فإن كان البيت قذرا، نظفيه. وان كان الرجل وسخا، فحممه. واذا كان جائعا، فإطعميه. لا تعودي حتى تفعلي ذلك. لقد فعلت ذلك عدة مرات. أفلا تستطيعين أنت فعل ذلك، ولو مرة واحدة؟

***

حكمـة

قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بسنين عديدة، أخبر حضرة عبدالبهاء، الأحباء، بوجوب الاستعداد لمواجهة أيام عصيبة قادمة.

وعلمهم كيف يزرعون القمح وكيف يحصدونه، وأوضح لهم طريقة تخزينه في حفر تحت الارض دون ان يفسد.

وخلال سنين الحرب، عزلت فلسطين عن العالم الخارجي، ولم يستطع سكانها الحصول على الطعام والمواد الغذائية. وبدأ الناس يعانون كثيرا ويتضورون جوعا ويموتون. وبالفعل، مات خلق كثير بسبب الجوع، غالبيتهم من الفقراء.

لكن أولئك الذين كانوا يقطنون مدينتي حيفا وعكاء، نجوا وكتبت لهم الحياة بفضل حكمة حضرته، وبفضل مخزون الحبوب. فتوافد الناس على مدينتي حيفا وعكاء من كل حدب وصوب ومن كل قوم وملة ووقفوا أمام باب بيته كالجنود، ليستلموا منه ما يوزعه عليهم من حصص.

وبهذه الطريقة، أنقذ من الموت جوعا الآف الناس في فلسطين خلال الحرب الكونية الأولى.

***

مقام حضرة أعلى

اشتهر بعض حكام عكاء باللطف تجاه حضرة عبدالبهاء وبقية الأحباء، أما البعض الآخر، فكان يصغي الى وساوس أعدائه من الناقضين، وبذلك ارتكبوا أعمالا قبيحة ومؤلمة جدا في حقه.

فعلى سبيل المثال، أشاع بعض أعدائه أنه ترك عكاء ليستقر في مدينة حيفا، وبمساعدة أصدقائه بدأ في بناء قلعة حصينة على جبل كرمل، وقريبا سوف يبسط سيطرته ونفوذه على كل مناطق سوريا وفلسطين وسينشيء حكومة خاصة به بعد أن يطرد الحكومة التركية.

نعم.. لقد ترك حضرته مدينة عكاء الى حيفا. لكنه لم يتركها لوحده، بل بصحبة عائلته نحو الجو اللطيف والهواء الطلق. وحقيقي ان له أصدقاء كثيرين من جميع الجنسيات من الشرق والغرب، وصحيح أنه يقوم بتشييد بناء عظيم على جبل الكرمل. لكن هذه القلعة المزعومة، لم تكن سوى مقام حضرة الأعلى.

إلا أن الدولة العثمانية لم تتحقق من الأمر وصدقت الشائعات، فأصدرت أمرا باعادة احتجاز حضرته في مدينة عكاء مرة أخرى. وعادت المشاكل والمضايقات تهاجمه، مما أعاق تشييد واكتمال المقام الأطهر.

ذات يوم وقف حضرته أمام ذلك المقام، وتفضل بحسرة شديدة: " لم يتيسر لنا اتمام بناء المقام الأعلى. ان شاء الله سيتم. اما نحن فلقد وصلنا به الى هذا القدر ".

***

ما زالت مقفلة

قرر ذات يوم أحد حكام مدينة عكاء، وكان من أعداء الأمر، اغلاق ومصادرة بضائع ومحلات ودكاكين البهائيين الموجودين داخل سوق المدينة ليتركهم بدون مورد رزق.

فأصدر أوامره لرجال الشرطة، وقال: "هنالك خمسة عشر محلا للبهائيين في السوق. اذهبوا غدا صباحا واغلقوها جميعا، وإتوني بمفاتيحها.."

وفي نفس الوقت، وفي مكان آخر.. نادى حضرة عبدالبهاء جماعة الأصحاب، وتفضل قائلا:

"لا تفتحوا محلاتكم غدا، وانتظروا ماذا سيبعث الله لنا.."

جلس الحاكم صباح اليوم التالي في بيته ينتظر وصول مجموعة المفاتيح. لكن رجال الشرطة، عادوا ليخبروه بأن جميع المحلات لم تفتح هذا الصباح. انتظر الحاكم فترة من الوقت، وقال للشرطة: اذهبوا الآن، فلابد انها قد فتحت.

فذهبوامرة أخرى، ثم عادوا ليخبروه: بأنها ما زالت مقفلة.

قال: انتظروا.. فلسوف تفتح.

كان موعد فتح المحلات الساعة السابعة صباحا، لكن الشرطة انتظرت حتى الساعة العاشرة، والمحلات لم تفتح.

جلس الحاكم ينتظر في بيته وهو متأكد من فتحها قريبا، فلا يمكن أن تبقى مغلقة للنهاية، ولسوف تفتح عاجلا أم آجلا.

في أثناء ذلك، جاء شيخ المدينة لزيارة الحاكم الظالم في بيته، فبادره الحاكم بالاستفسار عن حاله وصحته. أجاب الشيخ: انني جيد. ولكني حزين لاستلامي هذه البرقية من دمشق.

تناول الحاكم البرقية، فوجدها من الحكومة المركزية، وتأمر بعزله وارساله مخفورا الى دمشق على الفور.

عندما علم حضرة المولى بقصة الحاكم وما حدث له، ذهب لزيارته، وتفضل قائلا له: لا تحزن.. كل شيء يتغير في هذه الدنيا، قل لي: هل أستطيع خدمتك بشيء؟

تعجب الحاكم من كلام حضرته، وقال بخضوع: سيبعدوني عن عائلتي، وسأتركهم بدون راع لاحول لهم ولا قوة ولا ناصح ولا معين.

أجاب حضرته: ضع ثقتك فيّ، وليطمئن فؤادك، سأكون مسرورا في ارسال عائلتك الى دمشق تحت رعاية خاصة جدا. وستجدهم هنالك قريبا بعد وصولك ان شاء الله.

كان الحاكم سعيد جدا لوصول عائلته الى دمشق بعد فترة قصيرة. وسأل مرافقها عن تكاليف الرحلة.

أجاب المرافق: لا شيء. انني أنفذ أوامر مولاي فقط.

فرغب الحاكم في اعطائه هدية مكافأة له.

لكنه رفضها بأدب، قائلا: لا أريد مكافأة، انني أنفذ أوامر مولاي ولا أستطيع قبول أي شيء.

عندها قال الحاكم: أرجو أن تستريح قليلا، وتتناول شيئا من الطعام وتقضي ليلتك هنا، وغدا ارجع الى فلسطين.

أجاب الحارس: شكرا جزيلا، لا يمكنني المبيت، يجب علي العودة فورا، فهذه أوامر مولاي.

تعجب الحاكم كثيرا لهذا الولاء وهذه الأمانة. وطلب منه ايصال الكلمات التالية الى حضرة عبدالبهاء:

" يا عبدالبهاء.. انني أصلي حتى تغفر لي، انني غافل، لم أعطيك حق قدرك، لقد ارتكبت بحقك كثير من الحماقات، لكنك كافأتني خيرا ".

***

هدايا الأموال مرفوضة

لا يقبل حضرة عبدالبهاء، هدايا الأموال من أي شخص، وعلى العكس من ذلك، كانت الهدايا البسيطة، تجلب له الفرح والسعادة ويقبلها بكل سرور، وكثيرا ما كان يعود ويهديها مرة ثانية الى زائريه، مثل منديل جميل أو علبة حلوى أو سلة فواكه أو باقة ورد، وغير ذلك من الهدايا البسيطة الجميلة. وكان زواره يتزاحمون للحصول على مثل هذه الهدايا منه، فلقد احتفظ أحد الأمراء الايرانيين بزوج من النعال ذي جلد فاخر حصل عليه كهدية من حضرته.

قالت احدى السيدات ذات يوم لحضرته وهي تحمل بيدها شيك بمبلغ من المال، لقد أرسل أحد الأحباء هذا المبلغ ثمنا لسيارة تستعملها في أسفارك داخل أوروبا وأمريكا.

أجابها: قبلت المبلغ، مع شكري الجزيل لصديقك. واستلم الشيك بكلتا يديه المباركتين.

ثم تفضل: وانا أعيده بدوري لينفق في شراء هدايا للفقراء.

***

فـارس

لم تترك الحكومة البريطانية خدمات حضرة عبدالبهاء لأهل فلسطين تذهب دون الاعلان عنها والاحتفال بها. ففي 27 ابريل منحت الحكومة البريطانية حضرته لقب فارس (سير)، في احتفال بسيط أقيم في مدينة حيفا، تقديرا لخدماته الجليلة تجاه سكان فلسطين. وكان السرور باديا عليه يوم الاحتفال لما قدمه من خدمات انسانية للسكان، وليس لغير ذلك.

عندما اجتمع ممثلوا الحكومة لتكريم حضرته، ارسلوا احدى سياراتهم الفخمة، لنقله من بيته الى مكان الاحتفال. لكنهم تفاجئوا بعدم وجوده، فبحثوا عنه في كل مكان دون فائدة.

كان سبب اختفائه أن 'اسفنديار' سائق عربته الخاص منذ عدة سنوات، مسرورا بعمله في خدمة سيده، وعندما شاهد الخادم تلك السيارة الفخمة تقف أمام بيت مولاه، تأثر وحزن كثيرا، وقال في نفسه: لم تعد هنالك بعد الآن حاجة لخدماتي.

وعندما لاحظ حضرة عبدالبهاء، إمارات الحزن بادية على وجه خادمه، فهم السبب فورا. لذا أشار له بالاسراع في تجهيز عربته والاستعداد للمسير. فأسرع السائق يتقافز فرحا لتنفيذ أمر مولاه بكل سرور. ولم تمض لحظات حتى ظهرت العربة جاهزة، يعتليها اسفنديار بثغر باسم أمام باب منزل حضرته. لقد كان مزهوا لشعوره بقيمة خدماته، رغم وجود تلك السيارة الفخمة.

عندما توجه حضرته الى مكان الاحتفال، طلب من سائقه أن يسلك طريقا فرعيا صغيرا، تجنبا لجموع المستقبلين، فلم يكن يرغب أن يكون موضع حفاوة بالغة. وبدون أن ينتبه أحد له، ظهر بين المحتفلين وهو يمشي بطريقته الملوكية.

لم يستعمل حضرته لقب (فارس) في حياته قط. وكان معروفا ببساطة، باسم: "حضرة المولى" أو "حضرة عبدالبهاء".

***

درس لطيف

ان رفقة حضرة عبدالبهاء، تكسب القلوب الفرح والسرور، وتساعد في تحسين الاخلاق.

ذكرت احدى السيدات ذات يوم اسم احد الأحباء بشيء من الخشونة أمام صديقاتها خلال زيارتها لأرض الأقدس، في الوقت الذي كان فيه حضرة عبدالبهاء يتفقد بعض الفقراء والمرضى.

وفور عودته، أرسل في طلب إحدى من سمعن ما قيل، وقال لها: "عندما كنت بعيدا، سمعت شخصا يتكلم عن اخر ببعض الخشونة. وأنت ايضا، عليك بالدعاء وطلب المغفرة لنفسك".

عندما حان موعد العشاء، وإلتف الجميع حول المائدة، لم تبد على السيدة الأولى، أية علامة على ادراكها حقيقة ما ارتكبته، وكانت تتصرف بشكل عادي. لكنها، وبمجرد التقاء عينيها، بعيني حضرة عبدالبهاء المملوءة بالرحمة والنبل، أدركت ما يريد قوله من خلال نظرته، واذا بها تنفجر في بكاء مرير.

فلم يظهر حضرته أي اهتمام لها لفترة قصيرة، وتركها تبكي، بينما استمر الحاضرون في تناول عشائهم. بعد قليل إلتفت نحوها مبتسما، ونادى عليها عدة مرات لتقترب منه. وما هي الا لحظات، حتى شعرت السيدة بسعادة عذبة لا توصف لمغفرته لها.

ومنذ ذلك الحين، أدركت انها ستكون أكثر محبة ورحمة تجاه الآخرين.

***

كـوب مـاء

من المزايا والقوى الروحانية العديدة التي اكتسبها حضرة عبدالبهاء من والده، معرفة ما في الصدور، دونما حاجة للتصريح والكلام.

جلس حضرة عبدالبهاء ذات يوم، مع جمع من الاحباء حول المائدة في احدى وجبات العشاء، وجلست بجانبه احدى السيدات تستمع باهتمام كبير لنصائحه وحكمه. وبينما حضرته مستمرا في الحديث، نظرت السيدة الى كوب ماء أمامها، وقالت في سرّها تتمنى: "ليته يفرغ قلبي من تعلقه بهذه الدنيا، ويملأه بالحب الالهي والحكمة، كما يفرغ هذا الكوب من الماء ويملأه ثانية".

كانت فكرة عابرة.. مجرد فكرة. الا ان حضرة عبدالبهاء، استطاع قرائتها. وبينما هو مستمر في الحديث، توقف قليلا، ثم أشار الى الخادم للاقتراب منه، وببضع كلمات فارسية، ودون اثارة انتباه الحاضرين، أصدر أوامره.

واذا بالخادم يقترب من طاولة السيدة، ويتناول كأس الماء من أمامها ويذهب ليفرغه ثم يعود ليضعه في مكانه خاليا، بينما حضرته ما يزال مستمرا في الحديث.

وبدون اثارة انتباه احد من الحاضرين، وبطريقة عادية وطبيعية جدا، شرع حضرته في مليء الكأس مرة ثانية.

لم ينتبه الحاضرون لما يجري، ولم يدرك احدا منهم ما يدور. لكن هناك شخص وحيد فقط فهم معنى ما حدث. ففي نفس اللحظات التي كان الكأس يمتليء فيها بالماء، كان قلب السيدة يمتليء معه بالسعادة والسرور والمحبة.

أدركت السيدة ان جميع الرغبات والأفكار، مهما كانت سرية، مكشوفة أمام حضرة عبدالبهاء، مثل كتاب مفتوح، وان حبه يكفي الجميع ويحيطهم.

***

وعادت لها الحيـاة

لحضرة عبدالبهاء القدرة على عمل المعجزات من خلال القدرات الروحانية العديدة التي وهبها له حضرة بهاءالله. ومنها.. استطاعته في شفاء المرضى. ومثل هذه المعجزات، لا تستعمل في اثبات حقيقة الدين البهائي، لكنها تستعمل للتداول بين الاحباء فقط. وهذه القصة مثال على ذلك.

في يوم من أيام سنة 1916م، قام حضرة عبدالبهاء، برحلة من مدينة عكاء الى قرية الناصرة. وبسبب طول الطريق، وكبر سن حضرته، شعر حضرته بالتعب من كثرة الجلوس داخل العربة، فتوقف للاستراحة في احدى القرى الواقعة على الطريق، وحلّ ضيفا في بيت شيخ القرية. وحال تشريفه المكان، أسرع رجال القرية وأعيانها للاجتماع به والاستفادة من نصائحه وحكمته، وعرضوا عليه مشاكلهم، طالبين النصح والارشاد.

أما شيخ القرية، فبعدما شكر حضرة عبدالبهاء على هذه الزيارة الجميلة وعلى ما قدمه من مساعدات في حل مشاكل أهل القرية، قال: "زيارتكم لنا، ستنزل علينا البركة والرحمة السماوية بلا شك. ولكن، لي رجاء والتماس أخير من حضرتكم، أرغب في تقديمه".

تفضل حضرة عبدالبهاء: "سأكون سعيدا لتلبيته، ان استطعت عليه. ما هو طلبك؟"

قال الشيخ: "ان الله سبحانه وتعالى، لم يرزقني الا ببنت واحدة فقط، وهي الآن في الرابعة عشرة من عمرها، وهي مصابة منذ سنتين بمرض التدرن الرئوي. ولقد أجمع الكثير من الاطباء، على عدم جدوى علاجها. ولكني أعتقد تماما، إن صليتم لأجلها، فستكتب لها حياة جديدة. نحن متأكدون من قبول الله تعالى لصلاتكم، وكلنا يعلم إن فضل عبدالبهاء، يظلل الجميع. فحضرتكم، لا تسألون ان كنا نستحق الفضل أم لا".

بعد هذه الكلمات، لم يتمالك الشيخ نفسه، وانفجر في البكاء.

نهض حضرة عبدالبهاء ليواسي الشيخ ببضع كلمات لطيفة، وسأله: "أين ابنتكم؟"

أجابه المختار: انها في الغرفة الاخرى.

توجه حضرة عبدالبهاء الى حيث تستلقي البنت، فوجد صبية هزيلة جدا، كانت مجرد عظام مكسوة بجلد، ممدة على فراش فوق الارض. وكانت والدتها ومجموعة من الاقرباء يجلسون حول رأسها، منهم من هو قائم على تمريضها والعناية بها، ومنهم من انشغل في البكاء والنحيب.

اقترب حضرته من البنت، وجلس بجانب رأسها، وأخذ يدها ليقيس نبض قلبها. كانت حرارة جسدها مرتفعة، وسعالها مستمر دون توقف، وبصاقها يمتلأ بالدم.

فمدّ حضرته يده المباركة الى جبينها، وبدأ بملاطفتها، ثم طلب فنجانا من الشاي، تناول قسما منه، ثم بدأ بتلاوة الدعاء والمناجاة لمدة خمس دقائق تقريبا. وخلال فترة الدعاء، وضع يده الكريمة

على جبينها مرتين. بعدها، راح يسقي البنت بقية الشاي بواسطة ملعقة. ثم قرأ دعاء لها مرة اخرى لمدة عشر دقائق.

أخيرا، نهض من مكانه، وخاطب الوالدين بصوت مرتفع: "اتكلوا على الله، وكونوا واثقين انه سينعم على ابنتكم بالشفاء التام، لا تحزنوا ولا تبكوا، اعتنوا بها فقط، وستكون هذه الطفلة بخير خلال مدة بسيطة. عاد بعدها الى غرفة الضيوف وجلس لمدة قصيرة، ثم ألقى تحية الوداع لجميع الحاضرين ومضى ليعتلي عربته وغادر المكان.

وحسب رواية والدها، ففي تلك الليلة، بدأت الفتاة تتصبب عرقا غزيرا، ثم أخذت حرارتها بالانخفاض. ثم أصبحت بصحة جيدة خلال شهرين، وتزوجت سنة 1922م، ورزقت ثلاثة اطفال أصحاء.

أما والدها شيخ القرية، فقد كان يردد قصة ابنته أينما ذهب، وينهي كلامه في كل مرة:

"لقد عادت لي ابنتي، بسبب قداسة حضرة عبدالبهاء فقط".

***

خادم البهاء

وقف شخصان عربيان أمام بوابة فندق "فكتوريا" في مدينة بوسطن، صباح ذات يوم، ينتظران وملامح السرور بادية عليهما.

وعندما خرج حضرة عبدالبهاء من الفندق بعد قليل، وهو برفقة مجموعة من الأحباء، هرول نحوه الرجلان مسرعين، ورميا بنفسيهما تحت أقدامه المباركة، وهما يصيحان:

" يا رسول الله.. يا رسول الله ".
فانحنى حضرته عليهما يرفعهما بيده المباركة، وتفضل:
" أنا لست رسولا من الله.. أنا خادم البهاء ".

***

وردتين

ذكرت احدى السيدات قصتها عندما زار حضرة عبدالبهاء، ابنتها المريضة، فقالت: شرفنا حضرة عبدالبهاء في بيتنا وهو يحمل بيده وردتين جميلتين، فوضع الأولى بيدي والأخرى بيد صغيرتي، وتفضل:

"عليك بالصبر".

في تلك الليلة، توفيت ابنتي الصغيرة، وحزنت عليها حزنا شديدا. وعندما تشرفت بمقابلته مرة ثانية، سألته عن سبب وفاة طفلة بريئة لطيفة وصغيرة وجميلة، لم تتلوث روحها بعد بأمور الدنيا؟

أجاب حضرة عبدالبهاء: هنالك حديقة الهية.. أشجارها البشر، وبستانيها الله. وعندما يرى البستاني الحكيم أن هنالك نبتة صغيرة في حديقته، لا تنمو بشكل جيد، إما بسبب ضيق المكان أو قلة الشمس أو قلة الماء، فقد يقرر عند ذلك نقلها الى مكان أفضل لتنمو وتثمر. أما بالنسبة للنباتات الأخرى والأشجار التي كانت قريبة من النبتة الصغيرة، فيصيبهم العجب، ويقولون: كانت شجرة جميلة، لماذا أقتلعها البستاني؟ لقد ماتت الشجرة الصغيرة المسكينة بقلعها من مكانها، ولو تركها تنمو لأصبحت شجرة عظيمة وجميلة.

في الحقيقة، انهم لا يعلمون السبب، ولا يفهمون حكمة قلعها، ولا الى أين تم نقلها.

وأنت الآن تبكين لفراق ابنتك، لكنك لو تشاهدين جمال مكانها الحالي، فسوف يمتليء قلبك بالفرح، ولن يدخله الحزن أبدا. انها الآن حرة تغرد ألحانا الهية، مثل الطيور. لو تشاهدين تلك الحديقة بنفسك، فسيأخذك الانجذاب اليها، ولن تصبري أبدا لبقائك هنا على الأرض.

***

صديق الملك

أجبر أحد الأحباء على النوم في الفراش لمدة طويلة بسبب حادث وقع له. فزاره حضرة المولى وقص عليه حكاية توضح أحد الأسباب العديدة للمعاناة والألم. فتفضل:

كان هنالك ملك حكيم أراد ذات يوم تعيين أحد أصدقائه الأوفياء في منصب عال وحساس في مملكته. ولكن بدلا من تسليمه امور المنصب الجديد، أمر بايداعه السجن. فتعجب الصديق كثيرا، إذ لم يكن يتوقع مثل هذه المعاملة من صديقه الملك.

وبعد مدة طويلة، أمر الملك باخراج الصديق من السجن ومعاقبته بالجلد.! فزاد هذا التصرف من تعجب الصديق كثيرا، فلم يكن يفهم ما يجري، كما انه لا يتذكر انه ارتكب جرم يستحق عليه مثل هذا العقاب. بل على العكس، فلقد كان متأكدا من محبة صديقه الملك.

بقي الصديق في السجن واستمر معه الجلد والتعذيب بين فترة وأخرى. وبعد مضيّ فترة طويلة من الضيق والمعاناة والعذاب.

فتحت باب السجن، وسحب الصديق الى منصة الشنق. ووسط استغرابه ودهشته، وضع حبل المشنقة حول رقبته، ثم صدر الأمر بالتنفيذ، فسحبت الأرض من تحته، وتدلى جسده معلقا في الهواء.. وبدأ الرجل يشعر بالموت يأخذه.

فجأة.. صاح الملك بصوت عالي، آمرا بوقف التنفيذ وانزال الرجل من مكانه، واعادته الى بيته ليعالج من جراحه.

بعد مضي فترة طويلة، عاد الملك ليقرب صديقه ويجلسه بقربه، وبينما هو كذلك ذات مرة، التفت الى الملك يسأله، وقال: رغم كل الذي فعلته بي، فأنا متأكد من صداقتك ومحبتك لي. فقل لي لماذا فعلت كل ذلك معي؟

أجاب الملك: لقد قررت أن تكون رئيسا للوزراء.! وأردت أن تعرف شكل الظلم وتشعر به، وترى ما يعانيه الناس من الآلام عندما تصدر بحقهم مثل هذه العقوبات الظالمة. والآن، لقد أصبحت مناسبا جدا لمنصبك الجديد. أنت صديقي العزيز، وأنا أحبك كثيرا، لذلك أردت أن تكون كاملا.

***

الصلاة هي الثقة بالله

جاءت احدى السيدات الفقيرات الى حضرة عبدالبهاء شاكية، وقالت: لقد سجن أخي منذ ثلاث سنوات، كان يجب أن لا يسجن، انها ليست غلطته، لقد كان ضعيف الشخصية والارادة، وتأثر بأفكار الآخرين وتبعهم في تصرفاتهم. ان حبسه سيستمر لأربع سنوات أخرى، ووالداي حزينان جدا. والمصيبة أن شقيق زوجي قد توفي وكان معيل عائلتنا الوحيد.

أدرك حضرة عبدالبهاء، مقدار تعاسة هذه العائلة ودرجة حرمانها وفاقتها، لكنه مع ذلك، تفضل:

" لا تحزني يجب أن تثقي بالله ".

صاحت المرأة بتذمر وقالت: ولكن كلما وثقت بالله أكثر، كلما ساءت أحوالنا أكثر.

أجابها: "انك لم تثقي بالله أبدا".

أجابت: ان والدتي تقرأ الانجيل طوال الوقت، وهي امرأة طيبة لا تستحق كل هذا، انها ضعيفة، كيف يتركها الله هكذا؟ وأنا كذلك، أقرأ الانجيل، وأصلي وأسبح كل ليلة.

نظر اليها حضرته بعطف وتفضل: "ان الصلاة ليست قراءة الانجيل. إن الصلاة هي الثقة بالله وقبول مشيئته. يجب أن تكوني صبورة وتقبلي مشيئة الخالق. حينئذ سوف تتغير الامور بالنسبة لك، اتركي عائلتك بيد القدرة الالهية، ثقي بالله وبأفعاله، كوني قوية كالسفينة ولا تدعي الأمواج تغلبك، بل امتطي أمواج المصاعب والبلايا بقوة دائما.

***

مشاكل ومتاعب

جاءت احدى السيدات من الغرب ذات يوم وتشرفت بمحضر عبدالبهاء، وجلست تقص عليه متاعبها. بينما جلس هو يستمع لها لمدة طويلة وهي مشغولة بالكلام، تحكي وتحكي. في الحقيقة، لم تكن مشاكلها مهمة وكبيرة، لكنها كانت تظنها كذلك.

بعد فترة، اعتذر حضرته منها، ونهض قائلا: ان لديه عدة مواعيد مهمة أخرى، يجب عليه تأديتها. ثم أشار الى رجل من خلال النافذة، وتفضل: "سوف أدعو ذلك الرجل الى هنا، ليجلس معك، فلديه مصاعب ومشاكل كثيرة سيقصها عليك. اسمه الحاج ميرزا حيدر علي، ولقبه "ملاك جبل الكرمل"، انه يعيش في الجنة ولكنه يمشي على الأرض".

خرج حضرته الى الحديقة، وعاد بصحبة جناب حيدر علي. قدمه للسيدة، ثم تركهما وذهب لانجاز بعض أعماله. شرع ميرزا حيدر علي بالكلام مع السيدة بخضوع وخشوع واسلوب لطيف، تكلم عن أيام حياته الماضية وعن حاضرهم وعن العصر الالهي الموعود. بينما جلست السيدة تستمع وتستمع بصبر نافذ. لكنها قاطعته بعد فترة، وقالت: لكن حضرة عبدالبهاء، أخبرني بأنك رجل صاحب مصاعب ومتاعب وبلايا كثيرة، ولقد أرسل في طلبك لتحدثني عن ذلك. نظر ميرزا حيدر علي الى السيدة باستغراب، وقال: متاعب! أية متاعب؟ لماذا يا سيدتي؟ أنا رجل بسيط ليس لدي مشاكل، بل في الحقيقة، أنا لا أعرف بالضبط، ما هو معنى المشاكل.

***

لقاء جميل

أمضى حضرة عبدالبهاء، أكثر من خمسين عاما في السجن والنفي ولم يدخل المدارس في طفولته، ولم يختلط بطلاب العلم والجامعات في شبابه، كما انه لم يقرأ ما هو معروف من الكتب العالمية ولم يدخل مع رجال الفكر والثقافة في مناقشات علمية حتى أواخر أيام حياته.

وحدث عندما زار حضرته أوروبا وأمريكا، أن قابل العديد من العلماء والفلاسفة والقياديين والرجال البارزين وغيرهم.

كان الناظر اليه، يعتقد لأول وهلة، بأنه غير مهيأ لمقابلة مثل هؤلاء. لكن العكس كان يحصل دائما، اذ ان حضرته يتكيف مع كل ظرف ومع كل موضوع، فيدخل في صلبه تماما، فهو أكثر علما من غيره، ولديه جوابا لكل سؤال أو مشكلة. اضافة لذلك، فهو لا يظهر للمقابل، انه أكثر دراية ومعرفة منه، فهو متواضع جدا، محب يهتم بشؤون الآخرين، لطيف مع كل من يقابله، ويرى وجه الله في كل وجه.

جاء ذات يوم، أحد القساوسة لمقابلته وكتابة موضوع لاحدى المجلات عن حضرته. كان واضحا منذ البداية، أن القسيس غير مهتم، لا بحضرة عبدالبهاء ولا بالدين البهائي، واستمر طوال وقت المقابلة بالكلام، يسأل بين الحين والآخر أسئلة بسيطة، وكان حضرته يجيب عليها باختصار، وأحيانا بنعم أو لا فقط، ولم تبدو عليه أى علامة انزعاج من طريقة مقابلة القسيس له. لقد كان مهتما بالسائل أكثر من الأسئلة.

جلس حضرته باسترخاء تام، واضعا يديه في حجره وراحتاه الى الأعلى كعادته ينظر الى القس نظرة المحب المتفهم، ووجهه يشع بنور داخلي لا يوصف. بينما كان القس مستمر بالكلام دون

توقف. أما الحاضرون، فقد كانوا يتسائلون بعدما فقدوا صبرهم: لماذا لا يوقف حضرته هذه المقابلة؟ انه يدرك تماما عدم فائدة الكلام مع مثل هذا الرجل، فلا يبدو عليه الاهتمام سوى بما سيدره عليه الموضوع من ربح. بينما يشجعه حضرته ويحثه على الكلام.!

أخيرا، انتهى القس من طرح اسئلته وصمت عن الكلام، وعمّ الغرفة هدوء وسكون. عندها، بدأ حضرة عبدالبهاء بالكلام، بصوته الرنان الشجي الجميل. وكانت عباراته تترجم واحدة تلو الأخرى. فتكلم عن قداسة المسيح وحبه العظيم للجميع حتى وهو فوق الصليب، وتكلم عن أهمية الرسالة المسيحية وحاجة البشر وحتى رجال الدين للاتصاف بصفات الله، حتى يستطيعوا التأثير في قلوب البشر. وتكلم عن مملكة الله في الأرض التي نصح السيد المسيح بالصلاة من أجلها، والتي جاء حضرة بهاءالله لتأسيسها على هذه الأرض حسبما وعد السيد المسيح.

وفي خلال دقائق، تبدل القس الى شخص آخر، وأصبح شخص خاشع خاضع؛ ثم ما هي الا لحظات، حتى ترك مكانه، وجلس عند أقدام حضرة عبدالبهاء المباركة، يتتلمذ وكأنه نقل الى عالم آخر، كما هو الحال بالنسبة للجميع.

بعد فترة، نهض حضرته وعانق القس، ثم شيّعه الى الباب. توقف حضرة عبدالبهاء قليلا، ونظر الى باقة ورد تحتوي أكثر من ثلاثين وردة بسيقان طويلة، سبق وأحضرها أحد الأحباء عند الصباح، ولما لم تكن هنالك مزهرية كافية لاحتوائها وضعت داخل مظلة مطر.

ضحك حضرته بصوت مرتفع، وانحنى ليجمع الزهور بيديه ثم سلمها بيد الزائر، فاحتضنها القس فوق صدره، وهو في حالة من التعجب والذهول، ووجهه المستدير وشعره الأبيض يطلان من

فوق حزمة الورد، وعلامات الاستغراب والخشوع والتغيير لا تزال بادية عليه وقت انصرافه.

نعم، ان حضرته يعرف جيدا كيف يعلم الناس، محبة الله.

***

مـدخـن

شعر أحدهم ان التدخين هو سبب مرضه المزمن وحاجته للمرة الثانية، لاجراء عملية جراحية خلال سنة واحدة. كان الرجل يفتخر أمام أصدقائه بقدرته على ترك التدخين وقتما يشاء وبكل سهولة. لقد أقلع قبل ذلك عدة مرات ولشهور طويلة، أما الآن، فلم يستطع ذلك، وهذا ما بدأ يقلقه. فلم يستطع الاقلاع أكثر من يومين فقط. لذلك، قرر طلب المساعدة من حضرة المولى، لعلمه ان حضرته سبق وان طلب من الأحباء ترك عادة التدخين، لذلك كان يأمل منه المساعدة بطريقة ما.

تشرف باللقاء، وشرع يحكي قصته، كان كصبي صغير يعترف أمام والده، ولم يمض الا وقت قليل، حتى تحشرجت الكلمات في حنجرته وفمه ولم يستطع اتمام حديثه. فنظر اليه حضرة عبدالبهاء بطريقته المحببة وأدرك مقصده تماما، ثم تفضل يسأله: " ما هي كمية تدخينك؟ ".

وبعدما سمع حضرته الجواب، تفضل: "لا أعتقد ان هذه الكمية تؤذي صحتك، ففي الشرق هناك من يدخن طوال الوقت وشعورهم ولحاهم وملابسهم مملوءة برائحة الدخان الكريهة. وبما انك تدخن منذ زمن بعيد ولا تفعل مثل ذلك، فلا أعتقد أنها تزعجك كثيرا.

تفضل ذلك وعيناه تظهران ابتسامة روحانية لطيفة.

استغرب الرجل مما سمعه، فحضرته لم يلق عليه محاضرة عن مساوئ التدخين ولم يشرح له آثاره السلبية على الصحة. بل أعطاه الحرية الكاملة في التدخين. ولم يفهم الرجل ما يجري بالضبط، لكنه شعر بارتياح عظيم من نتائج اللقاء، وباحساس غريب ولذيذ، واختفى قلقه وانزعاجه.

استمر الرجل، طوال ذلك اليوم بالتدخين دون شعور بالذنب. لكن المفاجأة حدثت بعد يومين، فقد لاحظ الرجل اختفاء رغبته في التدخين تماما، وانقطع عنه ولم يعد له الا بعد مرور سبع سنوات.

***

نبوءة

سأل أحدهم حضرة عبدالبهاء، أثناء زيارته الى لندن:

" هل من الممكن أن يسعد هذا العالم التعيس؟"

تفضل حضرته: قبل حوالي ألفي سنة، طلب السيد المسيح من أتباعه ترديد هذا الدعاء: "ان مملكة الله قادمة، وستكون مثل جنته في السماء".

قل لي: هل تعتقد أن السيد المسيح، يأمرك بدعاء غير ذي فائدة؟ انها نبوءة في نفس الوقت.

عاد الرجل ليسأل: ولكن متى تكون هذه المملكة؟ ومتى ستكون تلك الجنة؟

تفضل حضرته: "انها تعتمد على درجة خدمة كل فرد لهذا الأمر المبارك ليلا ونهارا. اذهبوا وشوّقوا الآخرين واجمعوهم في وحدة واحدة، فمن يعمل منفردا، مثله كمثل نحلة فريدة، ولكن وسط الجمع، يصبحون كالنسور. انهم كقطرات الماء، عند الاتحاد،

يشكلون نهرا عظيما يحمل الماء النظيف الى صحاري العالم، وحينما يفيض هذا النهر، سوف يمحو عن وجه العالم، كل معالم الحزن والأسى.. اتحدوا.. اتحدوا.. فمن الخطر أن تكونوا قطرات منفردة، فأما أن تهرق، وإما أن تتبخر.

***

نور المصباح

خلال أيام زيارة حضرة عبدالبهاء الى الغرب، حاول العديد من المصورين التقاط بعض الصور له. ووقف كثير منهم يحملون كاميراتهم خلف باب غرفته، ينتظرون أول فرصة لذلك.

في احدى المناسبات، قالت صاحبة المنزل ومضيفة حضرته لأحد مصوري الصحف: "أترى أنه من اللائق الاصرار على تصوير ضيف قادم من بلاد أخرى، رغماً عنه؟

أجابها المصور: بالطبع لا. لكنه اذا نجح الآخرون في ذلك يا سيدتي، بينما أفشل أنا، فسيعتقد رئيسي بأنني أحمق.

ضحك حضرة عبدالبهاء كثيرا عندما أخبرته ربة البيت بحوارها مع المصور، وتفضل:

"ان كان لا بد من الصورة، فمن الأفضل التقاط واحدة جيدة. ان صور الصحف تبدو رديئة جدا". ثم وافق على التقاط بعضها ارضاء لأصدقائه. وتفضل كذلك:

"صورة الانسان ليست ذات أهمية كبيرة، انها تظهر وجوده المادي والشخصي فقط، ان الجسد هو المصباح، أما ما هو أكثر أهمية منه، فهو النور المشتعل داخله، وهذا ما لا يمكن رؤيته في الصورة".

وردة سوداء

عندما كان حضرة عبدالبهاء، يسير في أحد شوارع نيويورك وبصحبته عدد من الأحباء الايرانيين والأمريكيين، انتبه الأطفال في الطريق، الى منظرهم غير العادي وملابسهم الطويلة وأغطية رؤوسهم الغريبة، وكالعادة بدأوا بمتابعتهم وترديد كلمات غير لائقة. ثم راحوا يرمونهم بالحجارة والعصي.

لم تتحمل السيدة 'كيني' مضيفة حضرة عبدالبهاء مشهد معاملة مولاها بهذه الطريقة، فتخلفت عن الجمع قليلا لتكلم الصغار وتحاول تغيير سلوكهم. وبكلمات قليلة، أوضحت لهم بأن هذا رجل مقدس أفنى حياته في سبيل سعادة البشرية وهو الآن في طريقه لمخاطبة جمع من الناس.

سألها كبيرهم: هل يمكننا الذهاب معكم أيضا؟

أجابت: لا يمكنكم الآن. ولكن، اذا أردتم ذلك، فهذا عنواني. وسأهيأ لكم فرصة لقائه يوم الأحد القادم.

كانت السيدة كيني، متأكدة من عدم حضور الأولاد. لكنها فوجئت بحضورهم في اليوم المحدد، كان عددهم بين عشرين وثلاثين طفلا من الطبقة الفقيرة. وكان منظرهم جميلا كما لو أنهم ذاهبون الى احتفال كبير. فتسلقوا سلم البيت الخارجي وهم يتبادلون الحديث بصوت مرتفع وأصوات وقع أقدامهم تهز المكان، وتدافعوا للدخول الى غرفة حضرة عبدالبهاء حالما فتح باب غرفته وكأنه كان بانتظارهم ورحب بهم جميعا إما بالمصافحة أو بالتربيت على أكتافهم وبابتسامة وضحك وكأنه من سنهم وجيلهم، لقد ملئت حركتهم وضوضاؤهم أجواء غرفته.

كان من جملة الداخلين صبي أسود، دخل متأخرا بعدما دخل الجميع، وهو يتعثر مترددا معتقدا أنه شخص غير مرغوب به. كان

في الثالثة عشر من عمره والملون الوحيد بينهم. عندما وقع بصر حضرة عبدالبهاء عليه، أشرق وجهه بابتسامة سماوية، ورفع يديه مرحبا به بطريقة ملوكية، وصاح بصوت مرتفع:

"هاكم هذه الوردة السوداء".

فجأة، خيم سكون تام على الغرفة، وأشرق ذلك الوجه الأسود بالنور والسعادة والمحبة. وراح الأولاد ينظرون للصبي بنظرة جديدة، فلم يخطر ببالهم أنه لطيف مثل وردة سوداء. وعندما استقروا في أماكنهم وسكنت حركتهم وهدأوا، وأعطوا لحضرته اهتماما أكثر، بدأ في مخاطبتهم والتكلم معهم. أما الولد الأسود، فكان يحظى بين الحين والآخر بنظرات اعجاب زملائه. لقد تعلموا درسا جديدا دون أن ينتبهوا.

خلال ذلك الوقت، أرسل حضرة عبدالبهاء، شخصا ليشتري حلوى للضيوف الصغار، وعند احضارها، بدأ يوزعها عليهم بنفسه. يغرس يده في العلبة، ويمدها مملوءة لكل واحد منهم، مع ابتسامة رقيقة وكلمات لطيفة. بعد الانتهاء من الجميع، عاد حضرته الى الطاولة ليضع عليها علبة الحلوى التي لم يتبق فيها الا القليل، ثم مدّ حضرته يده ليلتقط واحدة سوداء طويلة، والتفت الى الأولاد، الذين ما زالوا يراقبونه باهتمام متوقعين شيئا جديدا. اتجه حضرته بدون كلام صوب الولد الأسود، وبنظرة حادة بشوشة شملت جميع الحاضرين، وضع يده المباركة على كتف الصبي وقرّب الحلوى من خده الأسود. ومن خلال شعاع ابتسامة وجهه المبارك التي ملأت الغرفة، لم يكن هنالك حاجة للكلام، فلقد فهم الأولاد المعنى.. ان هذا الولد الأسود، ليس وردة سوداء فقط، بل حلوى لذيذة أيضا. ثم تفضل حضرته يخاطبهم:

" ستجدون صديقكم هذا لذيذ، مثل مذاق الحلوى السوداء، اذا ذقتم حلاوته في يوم من الأيام ".

***

صديقي كريكوري

أقام أحد الموظفين في بيته في مدينة واشنطن، حفلة غداء على شرف حضرة عبدالبهاء. فذهب حضرته اليها واصطحب معه رجلا أسود اللون يدعى كريكوري.

تعجب كريكوري من هذه الدعوة، فهو من غير المدعوين، وليس من عادة الأمريكيين البيض تناول الطعام مع الملونين. لكنه رأى ان من واجبه تلبية الدعوة، لرغبة حضرة عبدالبهاء في رؤيته.

استقبل حضرة عبدالبهاء الرجل الأسود بلطفه المعهود، وجلسا يتحدثان لساعة من الزمن في مختلف المواضيع. ثم ظهر الخادم، ليعلن عن موعد الغداء، فنهض حضرته بسرعة متوجها لصالة الطعام، بينما وقف السيد كريكوري في مكانه لا يعرف ماذا يفعل، هل يغادر المكان، أم ينتظر؟ أم ماذا؟

وحينما وقف حضرة عبدالبهاء بجانب الطاولة، صاح بالانكليزية بصوت مرتفع: أين صديقي السيد كريكوري؟ أين صديقي السيد كريكوري؟ يجب أن يأكل معي.

بدأ حضرته يبعد جانبا كل ما على الطاولة من ملاعق وأقداح، ليهيأ مكانا لصديقه، بينما ذهب الخادم يبحث عن السيد كريكوري. وبهذه الطريقة اللطيفة، جلسا جنبا لجنب في مكان الصدارة. ونسي الحاضرون ولو لمدة بسيطة، كراهيتهم للآخرين بسبب اللون.

هديـة

كان يسكن في مدينة عشق آباد في روسيا، أحد العمال البهائيين الفقراء. رغب هذا الرجل ارسال هدية لحضرة عبدالبهاء اثناء اقامته في مدينة لندن، ليعبر من خلالها عن مقدار محبته واحترامه له، بعدما علم بسفر شخص للقاء حضرته هناك.

كانت رغبة الرجل شديدة في ارسال هدية ما. لكنه كان فقيرا لا يملك شيئا. ففكّر محتارا ماذا يرسل؟ أخيرا، قرر حزم عشاءه البسيط في منديل قطني وتسليمه للمسافر الذي وافق على نقله بعد تردد طويل.

وصل الرجل الى لندن بعد عدة أيام، وتشرف بالمحضر المبارك وقت جلوسه ومن معه حول مائدة عشاء. فقدم المسافر هدية العامل الى حضرة عبدالبهاء مترددا، وشرح اصرار صاحبها ورغبته في ارسالها.

وضع حضرته المنديل المعقود أمامه فوق طاولة الطعام، وراح يفتحه، فشاهد أمامه قطعة خبز يابسة مع تفاحة جعدتها الأيام. فتساءل الحاضرون، ماذا سيفعل حضرته بهدية كهذه في وقت العشاء الان؟

ووسط استغرابهم ومراقبتهم، بدأ بتناول كسرة من قطعة الخبز، وهو يدعوهم لمشاركته عشاؤه البسيط.

***

ربـي مـعـك

تزامن سكن سيدة، لفندق صغير في مدينة دبلن، مع سكن حضرة عبدالبهاء في نفس المكان. فكتبت تحكي ما شاهدته ذات يوم، قالت:

ذات صباح، عندما كنت أنظر لخارج شباك غرفتي، رأيت حضرة عبدالبهاء يذرع المكان ماشيا، ذهابا وايابا، وهو يملي على سكرتيره ما يكتبه. وبينما هو على هذه الحالة، شاهد رجل كبير السن رث الثياب يمر من أمامه. وفورا، أرسل سكرتيره في أثر الرجل ليعيده. ثم تقدم ليرحب به ويأخذ بيده مصافحا وبوجهه مبتسما كما لو كان صديقا قديما له. وفي محاولة منه لاسعاد الرجل، تكلم معه لعدة دقائق. فكان جواب الرجل، إبتسامة حزينة.

وخلال الحديث، لاحظ حضرته، أن سروال الرجل، قديم بال ممزق لا يكاد يستر كثيرا من جسده الهزيل. فتفضل حضرته:

"يجب أن نفعل شيئا بهذا الخصوص".

وبما ان الوقت كان مبكرا والشارع يخلو من المارة، اتجه حضرته نحو ظل الجدار، والابتسامة لا تفارق وجهه، فبدى وكأنه يتحسس بأنامله شيئا ما داخل عباءته كما لو كان يحاول فتح حزامه، وبانحنائة وحركة خفيفة من حضرته، سقط سرواله على الأرض. بعدها أعاد ترتيب ملابسه الى حالتها الاولى، ولف نفسه بعباءته جيدا والتفت للرجل يسلمه السروال، ويقول له:

" ربي معك ".

ثم عاد والتفت الى سكرتيره ليتم حديثه وكأن شيئا لم يكن.

***

برافو

يحب حضرة المولى الأطفال كثيرا.

ذات يوم دعي لزيارة احدى العائلات في مدينة لندن. وكان لديهم ثلاثة أولاد صغار. وبعدما اتخذ مجلسه، بدأ الأطفال الثلاثة بتسلق ساقيه وركبتيه، ثم تمسكوا برقبته وهو يتكلم كما لو انهم فئران صغيرة صامتة. مدّ حضرته يده ومسح فوق شعر رأس أصغرهم، ثم تفضل: الأطفال مباركون. لقد تفضل بشأنهم السيد المسيح: (تمتليء الجنة بمثل هؤلاء). ان قلوبهم نقية وهم لا يملكون الطموح والرغبات الدنيوية. يجب علينا أن نكون كالأطفال وننظف قلوبنا، لنرى الله في ظهوره العظيم ونطيع أوامر رسله.

وفي مكان آخر، في مساء نفس اليوم، ذهب حضرته الى حديقة "رجموند" للنزهة، وهناك شاهد سباقا للجري بين بنت ومجموعة من الأولاد. وعندما فازت البنت على رفاقها، سر سرورا كبيرا، وسمعه من حوله، وهو يصيح بصوت عال: برافو.. برافو.. برافو.

***

حوار في مطبخ

"هل أنت على ما يرام"؟

"هل أنت سعيد"؟

سؤالين يرددهما حضرة المولى دائما.

سمع حضرته أثناء سكنه في مدينة لندن، صوت ضحكات عالية، قادمة من مطبخ منزله. فنهض وأسرع لمشاركة الضاحكين فرحتهم. وتفضل عند دخوله المطبخ، مخاطبا خادمه الايراني ومدبرة البيت الانكليزية: "أنا سعيد جدا لفرحكم. هل أستطيع معرفة سبب ذلك حتى أشارككم الفرحة؟"

أجاب الخادم، وهو يعيد ما دار من حديث بينه وبين مدبرة البيت، فقال: لقد أخبرتها ان السيدات في مجتمعاتنا الشرقية، يؤدين جميع الأعمال المنزلية كاملة دون مساعدة الرجال. كما انهن يرتدين الأقنعة على وجوههن عند خروجهن من منازلهن.

فأجابتني هي: أما نحن في الغرب، فالسيدات لا يلبسن الأقنعة، ويجهدن حتى يشاركهن الرجال أعمالهن المنزلية. ومن الأفضل لك ان تبدأ في تنظيف هذه الفضيات الآن.

ضحك حضرته، ثم أهدى كل واحد منهما قطعة ذهبية صغيرة، ليزيد من سعادتهما.

***

الجناح القوي

تشرفت العديد من السيدات بزيارة حضرة عبدالبهاء خلال اقامته في أوروبا وأمريكا، خاصة رئيسات المنظمات والجمعيات النسائية وغيرهن. وكان يبدي اهتماما عظيما بعمل المرأة وتقدمها. ولقد تشرفت بلقائه سيدة تؤمن بحق المرأة بالانتخاب، وسمعته وهو يتكلم عن دور المرأة وأهميته في مختلف أنحاء العالم.

التفت حضرته نحوها يسألها:

"اذكري لي سبب ايمانك بحق المرأة بالانتخاب؟"

أجابت: لأن الجنس البشري من خلق الله، ويجب أن يسمو ويرتفع، لكنه لا يستطيع ذلك بجناح الرجل فقط.

استحسن حضرته الاجابة، وابتسم ليسألها ثانية:

"ولكن ماذا تفعلين لو كان أحد الجناحين أقوى من الآخر؟"

أجابت: يجب تقوية الضعيف منهما حتى لا يختل الطيران.

ابتسم مرة أخرى وتفضل: "وماذا تقولين لو أثبت لك أن النساء هن الجناح القوي!"

برقت عيون السيدة تعجبا... وقالت:

سيكون لك امتناني اللامحدود..

***

يمكنني عمل كل شيء

رغم كبر سن حضرة عبدالبهاء، الا ان قوته ونشاطه كانتا سببا في تعجب الكثيرين. فذات مساء عاد لبيته متعبا بصحبة مجموعة من الأحباء الذين غمرهم جوّ من الحزن والتأثر، لعلمهم ان حضرته سيضطر لارتقاء درجات سلم بيته المرتفع، وهو في هذه الحالة من التعب والارهاق وكبر السن.

فجأة، وحال وصولهم الى قرب البيت، انطلق حضرته يتسلق درجات السلم بسرعة عظيمة وبدون توقف، مما أذهل جميع مرافقيه. ووقف ينظر اليهم من أعلى السلم، وقد زالت عنه كل معالم التعب والارهاق، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. ولتبديد التعجب والاستفهام من وجوههم، تفضل:

"انكم تبدون كبار السن، بينما أظهر أنا كشاب صغير. فبقوة حضرة بهاءالله، يمكنني عمل كل شيء. ولقد استعملت قوته الآن".

***

وعد سابق

جاءت احدى السيدات تطلب التشرف بلقاء حضرة المولى. فسألها الحاجب ان كان لديها موعد سابق. أجابته بالنفي وعلامات الحزن بدت واضحة على وجهها. فأخبرها بعدم قدرته السماح لها بالدخول، إذ أن حضرته بصحبة عدد من الشخصيات الهامة الآن، ولا يمكن ازعاجه.

التفتت المرأة لتعود أدراجها وهي تشعر بمرارة خيبة أمل، وشرعت بنزول درجات السلم. وبينما هي على وشك مغادرة

المكان، سمعت صوتا من خلفها ينادي، "عليك بالعودة، ان حضرته يرغب في لقائك، لقد طلب مني اقناعك بالعودة ".

لقد سمع كل من في البيت صوت حضرته قبل لحظات وهو يتفضل:

" اسرعوا.. اسرعوا.. هنالك قلب قد كسر، ادعوه الى هنا ".

***

فحم

اغتصب أحد التجار كمية من الفحم تخص أحد الأحباء أيام اقامتهم في عكاء وهو موقن أن صاحبها لا يستطيع المطالبة باستردادها لكونه سجين ولا يحق له مزاولة مهنة التجارة.

فذهب حضرة المولى الى مكتب التاجر يحاول استرجاع البضاعة. لكنه وجد التاجر منهمكا بأعماله. فجلس ينتظر دوره للكلام، كان المكتب يغص بالمراجعين والمتعاملين وغيرهم.

مضت ثلاث ساعات وحضرة عبدالبهاء على هذه الحالة، حتى التفت اليه التاجر يسأله: هل أنت أحد سجناء هذه المدينة؟

أجاب حضرته: " نعم ".

قال التاجر: ما هي جريمتكم؟

أجابه حضرة المولى: نفس جريمة السيد المسيح.

أندهش الجواب التاجر من هذا الجواب، فلقد كان مسيحيا. الا انه عاد، ليطرح سؤال آخر: ماذا تعلم عن السيد المسيح؟

كان هذا السؤال سببا لشروع حضرته بالاجابة بلطافة وهدوء. وشيئا فشيئا، تبدد غرور التاجر أمام صبر حضرته. وفي نهاية اللقاء، عندما هم حضرته بمغادرة المكان، نهض التاجر ليرافقه الى

باب مكتبه، مظهرا بذلك احترامه الشديد لأحد سجناء المدينة غير المرغوب بهم.

ومنذ ذلك الحين، أصبح التاجر صديقا عزيزا لحضرة عبدالبهاء، ومؤيدا قويا للأمر المبارك.

***

لغة القلوب

استعمل حضرة عبدالبهاء خلال أسفاره، كلمات انكليزية عديدة في كلامه وأحاديثه، وكان لا يجد صعوبة في التفاهم مع الأجانب، وعندما كانت تعجزه الكلمات، كان يخاطب القلوب مباشرة.

حدث ذات يوم، ان سمع أحد عمال المناجم الأميين عن وجود حضرة عبدالبهاء في سان فرانسيسكو. فسار على قدميه مسافة طويلة بغية التشرف بلقاء حضرته، وكان متحمس جدا لمشاهدته والتعرف عليه.

عند وصوله، وجد حضرته يلقي احدى خطبه بين جماعة من الناس. فلم يجد الرجل بداً الا الجلوس والاصغاء بعينين واسعتين، وكأنه يشرب من جدول ماء عذب.

بعد قليل، توقف حضرة عبدالبهاء قليلا ليتيح فرصة للواقف بجانبه حتى يترجم ما قاله الى اللغة الانكليزية. فهمس العامل للجالس بجانبه متذمرا، وهو يقول: لماذا يقاطع هذا الرجل حديث الخطيب؟

بعد قليل، عاد حضرة عبدالبهاء للكلام، وعادت معالم الفرح والسرور تبدو على وجه الرجل.

ثم.. ومرة أخرى، وقف المترجم، مقاطعا ومترجما.

عندها، فقد الرجل سيطرته على أعصابه، وصاح قائلا: "ابعدوا هذا الرجل، انه يقاطع الخطيب".

فأسرع من بجانبه ليهمس باذنه ويقول: "انه المترجم الرسمي، وهو يقوم بالترجمة من الفارسية الى الانكليزية لتوضيح الخطبة ".

فأجاب صاحبنا متعجبا: "أحقا ما تقول! هل يتكلم الفارسية! يا لها من لغة بسيطة، فكل فرد يستطيع فهمها! "

***

الشجاعة

تسلمت احدى المؤمنات، في باريس رسالة تحذير، تقول: "هنالك خطر على حياة حضرة عبدالبهاء عند زيارته للمدينة القادمة".

وبما ان من كتب الرسالة كان صديقا مخلصا لهذه السيدة ولا يمكن تطرّق الشك الى صدق كلامه. لذلك قررت اخبار حضرة عبدالبهاء بمضمون الرسالة.

كان حضرته لا يخاف شيئا، وعندما علم بفحوى الرسالة، ابتسم قائلا: يا ابنتي.. ألم تلاحظي حتى الآن، انني كنت في كل أيام حياتي دون استثناء في خطر شديد، وسأكون سعيدا لتركي هذا العالم والالتحاق بوالدي.

شحب وجه السيدة حزنا وخوفا.. وقالت: "يا مولاي نحن لا نرغب أن تتركنا". أجابها: "لا تحزني، ليس لأعدائي أي قوة على حياتي، فقوتهم ومقدرتهم محدودة من السماء. لو شاء الله ذلك، فهو يوم مبارك، عندما أضحي دمي في سبيله".

رسالـة

قالت إحدى السيدات وهي تدخل مسرعة للتشرف بحضرة عبدالبهاء قبل مغادرته لباريس بيومين: (كم أنا سعيدة لوصولي في الوقت المناسب). قالت ذلك وهي تلهث من التعب، ثم التفتت تخاطب الحاضرين بقولها: "دعوني أخبركم بقصتي وسبب سفري المفاجيء من أمريكا الى هنا".

بقي الجمع صامتا، يستمع لها وهي تقول:

قبل مدة، سألتني ابنتي الصغيرة قائلة: ماما.. ماذا أنت فاعلة، اذا عاد السيد المسيح الى الأرض مرة ثانية؟

أجبتها وسط دهشتي الشديدة: عزيزتي.. سأستقل أول قطار حتى أذهب للقاءه.

قالت الصغيرة: حسنا يا أمي، انه موجود الآن هنا.

أحسست بشعور غريب، وأنا استمع لها، وسألتها: كيف عرفت ذلك؟

أجابت: لقد أخبرني هو بنفسه ذلك. اذن هو موجود.

تعجبت مما سمعته كثيرا وقلت في نفسي: أهذه رسالة مقدسة تنقل لي بواسطة صغيرتي! ورحت أصلي، لأجد تفسيرا لذلك.

ثم عادت ابنتي في اليوم التالي، وقالت: لم لم تفعلي شيئا تجاه رسالتي؟ لماذا لم تذهبي لرؤيته ولقاءه؟ لقد أخبرني مرتين انه موجود في هذا العالم.

عند ذلك أجبتها: عزيزتي.. ان والدتك لا تعرف أين هو، فكيف تجده؟

أجابت صغيرتي: سوف نرى، سوف نرى.

في مساء أحد الأيام، كنا نتمشى معا في نزهة، حينما وقفت في مكانها وهي تصيح: هذا هو.. هذا هو..

كانت ترتعش بشدة وهي تشير الى واجهة احدى المحلات. توجهت ببصري نحو المكان، فشاهدت صورة حضرة عبدالبهاء واضحة على احدى صفحات الصحف. اشتريت الصحيفة، وعرفت هذا العنوان، ثم أخذت أول باخرة الى هنا.

وها أنا ذا.

***

أمسية لطيفـة

دبر بعض الأحباء الترتيبات اللازمة للقاء حضرة عبدالبهاء والتمتع بصحبته بعيدا عن الزائرين، ولقضاء أمسية هادئة في مناسبة فريدة من نوعها قلما يحصل عليها الكثيرين.

كان المتسامرون سعداء جدا وفرحين في بداية تلك الأمسية اللطيفة وتمتعوا بكلام ونصائح وروحانية ضيفهم الكريم.

لكنه لم تمض نصف ساعة، حتى ظهر - من حيث لا يعلمون - أحد مراسلي الصحف ليقطع عليهم مجلسهم بطريقة غريبة. دخل مندفعا باصرار من بين الخدم لمقابلة حضرة عبدالبهاء واتخذ له مجلسا على أحد المقاعد، ثم أشعل سيجارة، وقال: انني أكتب موضوعا لاحدى الصحف، ولدي بعض الاسئلة، بحاجة الى أجوبة. ثم استمر يتكلم بدون لياقة.

صمت الجالسون انزعاجا ودهشة، فلقد بدد هذا الغريب أحلام أمسيتهم تماما. وكان واضحا من تصرفاتهم ونظراتهم، انهم غير راغبين بهذا المتطفل بينهم. لذلك نهض حضرته بعد قليل، مشيرا للصحفي باللحاق به الى غرفته الخاصة.

ساد الحاضرين جوّ من الحزن والاحباط، حال فراق مولاهم، وبدأوا بتبادل النظرات.

نعم.. لقد ترك الدخيل المكان حسب رغبتهم وأمنيتهم، ولكن بصحبة سيدهم، وهذا ما زاد من حزنهم وغضبهم على الرجل.

بعد مضي بعض الوقت، توجهت صاحبة البيت الى سكرتير حضرة عبدالبهاء الخاص، وسألته أن يذهب ويخبر حضرته، إن الحضور ينتظرونه، ثم عادت لمجلسها وعلامات الاستياء بادية على وجهها.

بعد قليل، سمع الجميع صوت خطوات في الممر، ثم كلمات وداع عند الباب. بعدها ظهر حضرته وهو ينظر في وجوه الحاضرين بجد.

كانت السعادة تعلو وجوههم بعودته اليهم، فبادرهم قائلا: "لقد كان الرجل قلقا وغير مرتاح، لقد شعر بانزعاجكم منه، لذلك اصطحبته بعيدا ليشعر بالراحة والسعادة".

***

قناعة

يتفضل حضرة عبدالبهاء: مساء أحد الأيام في طهران، كنا نملك كل شيء.. وفي الصباح جردنا من كل شيء، لم يكن لدينا حتى خبزاً نأكله أو نقتاد به.. فوضعت والدتي في راحة يدي عددا من أوراق الورد لآكلها بدل الخبز..

مع ذلك كنا قانعين وشاكرين.

***

أنا أذهب لهما

رغب السفير الياباني لاسبانيا وزوجته، التشرف بزيارة حضرة عبدالبهاء خلال توقفهما في باريس. لكن صحة الزوجة كانت على غير ما يرام، فقالت لزوجها شاكية: أنا حزينة جدا، فبرودة الطقس تمنعني من الخروج هذا المساء، وفي صباح الغد سنرحل الى اسبانيا، لذا لن تكون هنالك طريقة للقائه.

كان الوقت متأخرا، عندما عاد حضرته الى بيته متعبا. فقابله أحدهم ناقلا اليه ما قالته السيدة. فتفضل: "بما انه لا يمكنهما المجيء، فسأذهب أنا لهما". كان حضرته سباقا للقاء الآخرين.

كانت ليلة باردة ممطرة، حينما قصد حضرته الفندق لزيارتهما. وقابلهما بابتسامته البشوشة المعهودة، وبدأ كلامه عن ظروف حياة مجتمع اليابان وعن خدمة البشر وعن ضرورة العمل للابتعاد عن الحروب وحاجة العمال لتحسين أوضاعهم وتعليم الجنسين بالتساوي، وعن طائر الانسانية واستحالة تحليقه بدون جناحي الدين والعلم. ثم أخبرهما كذلك عن وجود قوة عظيمة في العالم لم تكتشف بعد، وعلينا الصلاة لله والطلب منه بعدم اكتشافها قبل نضوج البشرية روحيا، ففي هذه الأيام يعيش العالم حياة مادية، ولو اكتشف هذه القوة، فانه سيدمر نفسه بها. ثم تكلم في مواضيع أخرى عديدة، جعلت السامعين يتسائلون، كيف يمكن لرجل أمضى حياته في السجون الشرقية، أن يملك حكمة لحلول مشاكل العالم بهذه البساطة؟

لقد علق أحد العلماء الامريكان ذات مرة بقوله:

" ان عبدالبهاء سيوحد الشرق والغرب بالتأكيد." ...

***

صورة

سأل القادم الغريب أحد الخدم وهو يقف على عتبة المنزل:

هل سيدة البيت موجودة؟

أجابه الخادم: نعم،

قال الرجل: أريد رؤيتها.

أما سيدة المنزل فلم تكن بعيدة عن المكان، فجاءت تستطلع الخبر. فبادرها الرجل الغريب قائلا:

هل أنت مضيفة حضرة عبدالبهاء؟

أجابته نعم: أتريد مقابلته؟

رد عليها لقد مشيت ستين كيلومترا على قدمي لهذا الغرض.

قالت: أدخل وخذ راحتك وقص لي حكايتك بعد تناولك الطعام.

جلس الرجل في غرفة الطعام وآثار التعب والسفر تبدو واضحة عليه، بينما كانت هيئته تدل على فقر الحال. لكنه بعدما ابتدأ الكلام اتضح انه شخص مختلف تماما.

قال: لم أكن كما تشاهدينني الآن يا سيدتي، فأنا رجل متعلم جيدا، ووالدي مبشر كبير، لكنني لا أملك الآن مكانا أنام فيه، وغالبا ما أفترش ضفاف نهر التايمس للنوم.

كيف وصلت لهذه الحال؟ فذلك أمر غير مهم، المهم أنني قررت ليلة أمس وضع نهاية لحياتي التافهة.

وبينما أنا أسير خطواتي الأخيرة، مررت بمحل للصحف، فشاهدت صورة وجه رجل في إحدى الصحف على شباك المحل، ووقفت أنظر اليه، لكنني تجمدت في مكاني، فالصورة بدأت تتكلم معي، ونادتني بالاقتراب. قرأت الصحيفة وعلمت انه هنا، في هذا البيت.

قلت في نفسي: "لو ان مثل هذا الرجل يعيش على الأرض حقا، فسأغير رأيي في الحياة وأعيش بقيتها.

ثم بدأت المسير الى هنا حتى أقابله.

هل هو موجود؟ هل سيرضي بلقائي حتى لو كنت أنا شخصيا؟

كانت الصحيفة ما تزال بحوزته، شاهدت صاحبة البيت صورة حضرة عبدالبهاء واضحة عليها.

أجابته: تعال بنا، انه سيراك بالطبع.

ظهر حضرته بنفسه رافعا يديه مرحبا، عندما طرقت السيدة باب غرفته كمن يتوقع وصول صديق عزيز، وهو يقول: أهلا.. أهلا وسهلا.. أنا سعيد بحضورك، تفضل بالدخول.

جلس الرجل على كرسي منخفض عند أقدام حضرته، وهو يرتعش بشدة لدرجة لم يستطع معها النطق بكلمة واحدة.

فخاطبه حضرته ملاطفا: كن سعيدا.. كن سعيدا. ثم أمسك بيده ومسح على رأسه. ثم ابتسم حضرته تلك الابتسامة الرائعة وقال: "لا تشعر باليأس عندما تسيطر عليك الأحزان، رحمة الله وقوته تشمل الناس جميعا وبدون حدود. ابحث عن السعادة الروحية، عن المعرفة، ستشعر انك في العالم الروحاني رغم انك تعيش على الأرض، وسوف تشعر بالغنى في مملكة الله ".

بدأت الكلمات تزيح غيوم الكآبة، وتبدلها بالقوة والسرور. وحين مغادرته المكان، كانت تعلو وجه الرجل نظرة جديدة على عكس ما كان عليه أول مرة. ووقف بأقدام ثابتة وجسد منتصب، وهو يقول لربة البيت: "رجائي أن تكتبي لي ما يقول. لقد حصلت على ما أريد، وربما أكثر من ذلك".

سألته السيدة: هل عزمت على شيء؟"

أجابها: "سأعمل في الحقول وأكسب معيشتي، وعندما أوفر قليلا، سأشتري قطعة أرض صغيرة أبني عليها بيتا بسيطا التجأ اليه، وسأزرع وردا أبيعه في السوق وكما تفضل حضرته:

"الفقر غير مهم، فالعمل عبادة".

وأنا أشعر بعدم حاجتي لقول كلمة شكرا..أو.. مع السلامة..

ثم انصرف...

***

قوة روحانية

لحضرة عبدالبهاء قوة روحانية ذات تأثير مادي أيضا.

ففي احدى الأمسيات عندما كان حضرته يتكلم، جاء أحد الأصدقاء وجلس بجانبه على ذات المقعد، وبينما هو يتكلم ويجيب على أسئلة واستفسارات الحاضرين لأكثر من ساعة تقريبا، كان في ذات الوقت يمسك بيد الرجل وفي أحيان أخرى يضع يديه على ركبته باسترخاء.

ذكر الرجل في وقت لاحق وهو يصف شعوره في تلك اللحظات، كانت تفيض من جسده المبارك قوة عظيمة الى جسدي، انني أتذكرها بكل تأكيد، لكنني لا أستطيع وصف ما أحسست به. لقد كانت قوة خفية فوق ادراك الانسان والملائكة.

بينما قال آخر وهو يحكي واصفا نفس تلك القوة الخفية ومؤكدا احساسه بها: "كنت أجلس بجانب حضرته داخل سيارة ونحن في رحلة، حينما شعرت ساعتها وكأنه يشحنني ببطارية إلهية ".

***

أربعة وعشرون عاما

جميعنا يعلم محبة ورحمة حضرة عبدالبهاء، ومقابلته للسيئات بالحسنات.

كان هنالك رجلا يدعى 'الأفغاني' عاش في مدينة عكاء في زمن ورود العائلة المباركة لها. وكان من أعداء الأمر المبارك يكره حضرة عبدالبهاء كرها شديدا ويجهد لأذيته والاضرار به وبالأمر المبارك.

كان يسب ويلعن كل ما يتعلق بالأمر علنا وأمام الناس وفي الأسواق ويحث أهل عكاء على مقاطعة الأحباء وعدم التعامل معهم وخاصة حضرة عبدالبهاء.

وحينما كان يتصادف مروره في السوق مع حضرة عبدالبهاء، كان يرفع رداءه ليستر وجهه حتى لا يرى وجه حضرته.

أما حضرة عبدالبهاء فقد كان يحب هذا الأفغاني ويعطف عليه ويرسل له كل ما يحتاجه من أكل ولباس وغير ذلك، لأنه يعلم انه فقير الحال وليس له مأوى سوى المسجد. وعندما كانت تصل معونات وصدقات حضرة المولى له، كان يقبلها غير شاكرا رغم كرهه الشديد لصاحبها. الى جانب ذلك، كان لا ينقطع عن السباب والشتم.

لم ينبس حضرة عبدالبهاء بكلمة واحدة ردا عليه من فرط محبته له، بل كلما زاد الأفغاني بكراهيته، زادت محبة حضرة عبدالبهاء له.

ذات يوم، انتبه حضرته لغياب الأفغاني واختفائه، وبعدما استفسر عنه، علم انه مريض طريح الفراش. فأسرع لزيارته مصطحبا طبيبه الخاص لعلاجه، فوجد مكانه قذرا، ومصاب بمرض سار معد وحالته سيئة.

وقف حضرته عند رأس المريض، بينما امسك الطبيب يده يقيس نبض قلبه، فما كان منه الا أن وضع يده الأخرى على وجهه وأغلق عينيه كي لا يرى وجه حضرة عبدالبهاء.

بعدما غادرا مكان المريض، أرسل حضرته له دواء وبعض الفواكه والطعام. وبعد شفائه وتحسن صحته أرسله للحمام العمومي ليغتسل ويتنطف، كما اشترى له ملابس وعباءة جديدة.

ذات يوم.. جاء الأفغاني يطلب التشرف بالمحضر المبارك، وحينما سمح له ودخل، رمى بنفسه على قدمي حضرة عبدالبهاء، وأخذ يبكي كطفل صغير يتيم، وهو يقول: اغفر لي يا مولاي.. اغفر لي يا سيدي.. منذ أربعة وعشرين عاما، أنا أسبّك وأشتمك، وأنت تمدحني، أكرهك فتحبني، أسيء اليك فتحسن لي. الآن فقط عرفت مقدار ذنبي وغفلتي، كنت لي ملجأ وأبا سماويا، فاغفر لي..

كان في غمرة البكاء والنحيب عندما رفعه حضرته ومسح على جبينه مسامحا ملاطفا. ومنذ ذلك الوقت، تبدلت تلك الكراهية الشديدة الى محبة عظيمة، وتلك العداوة الى صداقة حميمة، وأصبح من أتباع وملازمي حضرته الأوفياء. وبقي يمدح حضرة عبدالبهاء بقية حياته.

***

عباءة صوف

كان لدى حضرة المولى عباءة من الصوف الايراني اللطيف، حصل عليها كهدية.

ذات يوم.. جاء أحد الفقراء ووقف على باب منزله يطلب كسوة يقي بها جسده. فما كان من حضرته الا أن ناداه ليعطيه تلك العباءة الجيدة حتى يقيه شدة البرد.

أخذها الرجل وراح يتفحصها، ثم علق قائلا: انها ليست سوى عباءة عادية من القطن.

أجابه حضرة عبدالبهاء مؤكدا: "لا.. انها ليست من القطن، انها من الصوف". ثم أمر بعود ثقاب ليحرق بعضا من طرف نسيجها تأكيدا للرجل.

لكن الفقير بقي يدمدم ببعض الكلمات مدعيا انها ليست جيدة.

عند ذلك وبّخه حضرة عبدالبهاء لانتقاده هدية، وأنهى اللقاء بإشارة لأحد الخدم باعطاءه قطعة نقود حتى ينصرف.

***

أوراد المحبة

سأل حضرة عبدالبهاء، ميرزا ‘حيدر علي’ عن معنى الحديث القائل: "في يوم القيامة تخرج الورود من الصخور".

فأجاب بسرد الحكاية التالية: كان هنالك رجل أخرس شرير مؤذ جدا في مدينة قزوين، كانت أذيته لكل شخص تصل اليه يديه بدون تمييز، ولم يكن في الامكان التقرب منه. بعد جهد جهيد، ومحاولات عديدة استغرقت زمنا طويلا، نجح الأحباء في تبليغه الأمر، وأصبح ذلك الأخرس الشرير بهائيا. وبدأ الناس يستغربون

من تبدل حالة الرجل، فيوما بعد يوم يصبح أكثر لطفا وهدوء. وانتشر خبر ايمانه كسبب لهذا التبديل. وانقلب الوضع السابق تماما رأسا على عقب، وأصبح الناس هم الذين يؤذونه ويضربونه ويشتمونه ويرمونه بالحجارة ويبصقون في وجهه، وهو لا يرد عليهم. ثم ذكر ميرزا حيدر علي انه شاهد أحداث القصة بعينه.

لقد كان قلب هذا الأخرس كالصخر الصلد لا تهزه أية مشاعر، ولكنه بعد الايمان، نبتت فيه أوراد المحبة والعطف وأزهار الأدب والصبر.. وفي اعتقادي ان هذا هو معنى الحديث الشريف...

استحسن حضرة المولى الجواب وأثنى عليه..

***

ابتعدوا

مضت الأيام والشهور ببطأ شديد وحضرة عبدالبهاء الصبي ذو التسع سنوات، ما زال يقف عند باب بيته منتظرا بصبر رجوع والده المحبوب في أي وقت، لقد كان متعلقا به بشدة وذكراه لا تفارقه أبدا، بينما الحزن يملأ قلبه من حزن الفراق. لقد كان والده سجينا في سجن (سياه جال).

كان أولاد الحي يعتدون عليه ويقذفونه بالحجارة والعصي ويشتمونه عندما يشاهدونه واقف عند باب بيته، فتسحبه والدته 'آسيا خانم' لداخل المنزل خوفا عليه من أذيتهم، أو تصحبه معها الى بيت عمته لتستفسر عن أخبار والده، تاركة اخته بهائية خانم ذات السبع سنوات وحيدة في البيت في بعض الأحيان.

فكانت البنية تخاف كثيرا، فتختبيء خلف الباب منتظرة رجوع والدتها وأخيها. فما تزال ذكرى هجوم الغوغاء على منزلهم الكبير

في بوابة شمران ماثلة أمام عينيها حيث نهبوا وسلبوا كل ما وقعت عليه أيديهم وأعينهم، لقد تركت تلك الأحداث أثرا كبيرا في نفسها.

ذات يوم وبينما كانت بهائية خانم ووالدتها عائدتان الى البيت، شاهدتا حضرة عبدالبهاء وهو يقف وسط الأولد يحيطون به من كل جانب مستعدين للاعتداء عليه، وسمعتا صوته وهو يصيح:

ابتعدوا.. ابتعدوا.

تقول الأم: لم يستطع الأولاد الاقتراب منه، لقد كان في صوته قوة ورهبة جعلتهم لا يجرؤن على التقدم منه. فتقدمت لسجبه من بينهم، وبذلك سلم من آذاهم واعتدائهم في تلك المرة.

***

المولى والتاجر

تفضل حضرة المولى بحكاية حدثت له ذات يوم، ذكرها لأحد المهاجرين، قال: ذات يوم، كنت مسافر مع مجموعة من الأشخاص، وكان بينهم أحد التجار. وحينما كانت العربة تقف في القرى الواقعة على الطريق، كان الناس يتجمعون حولي مرحبين. وجدت ذلك في أكثر الأماكن التي استرحنا وتوقفت العربة فيها.

عندما لاحظ التاجر ما كان يظهره الناس لي من محبة واحترام، تقدم مني ليأخذني جانبا وليخبرني برغبته ان يكون بهائيا.

سألته: لماذا ترغب في ذلك؟

أجاب بدون خجل: انك بهائي، وأينما حللت يأتيك جمع كبير من المستقبلين مرحبين بك، بينما لا يأتي لمقابلتي أحد. لذلك أرغب في أن أكون بهائيا.

سألته مرة أخرى متعمقا: قل لي هل هذا هو السبب الوحيد؟

عند ذلك أجاب التاجر بصراحة أكثر: أعتقد ان مثل هؤلاء الناس سيساعوني في ترويج أعمالي التجارية أيضا.

عند ذلك أجبته: لا تصبح بهائيا، فمن الأفضل لك أن تبقى كما أنت عليه.

***

طبيب حديث

يونس خان طبيب حضرة عبدالبهاء الخاص، يحكي قصة مرض حضرته وكيفية تطبيقه، قال:

بعدما اكملت دراستي وحصلت على شهادة طبيب، رجعت الى مدينة عكاء. فعلمت من بعض الأحباء، ان حضرة عبدالبهاء يصاب بالحمى كل ليلة.

كان حضرته جالس في مضيف بيته عندما اقتربت منه وقدمت له شهادة تخرجي ليطلع عليها. فهنأني.. ثم قال لي بأنه يصاب بارتفاع الحرارة كل ليلة، وطلب دواء لذلك. لم يخطر في بالي أن أطبب حضرته يوما من الأيام قط، لذلك لم أأخذ كلامه مأخذ الجد واعتقدت انه يمازحني. وبعد ثلاثة أيام كنت ضمن المتشرفين في محضره حينما أعاد علي قوله بأنه يصاب بارتفاع في حرارة جسمه وصداع شديد كل ليلة، ثم طلب مني وصفة دواء مرة أخرى. وللمرة الثانية لم أدرك أنه يتكلم بجدية ولا يمازحني.

مرت عدة أيام حتى تشرفت مرة أخرى بصحبة حاج ميرزا حيدر علي، فوجدته فرحا مبتسما، فتفضل: ماذا فعلت يا خان؟ تعال وافحص نبض قلبي.

أسرعت اليه وأخذت يده الممدودة وقبلتها ثلاث مرات. فابتسم تلك الابتسامة العريضة، وقال: قس نبضي.

كان نبضه بطيئا لكنه منتظما وقوي مثل نبض الشباب. تفضل: هذه الأيام حالتي جيدة، ولكن حرارتي ترتفع خلال الليل. ثم نهض وسار ببطأ، وأشار لي بالتقرب منه، وقال: أكتب لي بعض الأدوية، فمنذ شهر كامل وأنا مريض.

أدركت في هذه اللحظات فقط انه يعني ما يقول، فأجبته: جعلت فداك، لقد حصلت على عينة لدواء جديد قبل أيام لمثل هذه الحالة، وسأذهب الى الصيدلية لتركيب أحد الأدوية كذلك. فتبسم موافقا، وأجابني: حسنا.

لم أعد أشعر بشيء من حولي لشدة فرحتي بهذه المهمة، وركضت الى الصيدلية لأجهز الدواء، ثم كتبت عليه طريقة الاستعمال ووضعته في علبة.

كان الوقت ضحى عندما قدمت له الدواء وهو يجلس في مضيف بيته. فتفضل ممازحا: ها.. أتعالجني بدون ثمن؟ ثم تقرب من جناب حيدر علي، وتفضل: أترى.. جائني يونس خان بوصفة ودواء.. لقد رددت كثيرا من كبار الأطباء ولم أرض بهم، ومنذ أيام فقط تخرج خان وأصبح طبيبا، وجاء ليعالجني اليوم.. والمصيبة بون ثمن.

لم ينبس جناب حيدر علي ببنت شفة وبقي صامتا، لقد كان مؤمن مطيع جدا. كنت شبه مجنون لتوكيلي بهذه المهمة العظيمة. وتفضل وهو يصعد درجات السلم: سأتناول دوائك.

جاء في المساء من يخبرني أن صحة حضرته أصبحت أكثر سوءا وهي ليست على ما يرام، وبعدها بقليل جاء آخر ليقول ان صحته ساءت كثيرا. قلت في نفسي متألما: هذه هي النتيجة الحتمية،

فانا حديث العهد في مهنتي، وكان لا يجدر بي تطبيب حضرته، يا سبحان الله! إن فرح وسرور هذا الصباح، انقلب الى مثل هذا الحزن في المساء.

عندما تشرفت مرة ثانية بمحضره، كان جالس على الأريكة، فقال لي: لم يحصل سوء. ثم سألني عن مكونات الدواء، وتفضل: بالنسبة للدواء الجاهز، لا اعتراض عليه، أما بالنسبة للدواء المركب، فلقد كانت جرعته كبيرة نسبيا. ولكنه مع ذلك طمأنني بأنه سيكون على ما يرام.

كنت في غاية الحزن عند وصولي الى الفندق، ولم أنم طوال الليل، كنت أقف قليلا ثم أجلس ثم أقف لأقول كلاما ليس ذي معنى، ان الله وحده فقط يعلم ما أصابني في تلك الليلة.

تسللت عند أول خيوط الفجر الى البيت المبارك أستشف الأخبار، فرأيت آقا أسد الله مشغولا بتنظيف ساحته، وأول ما شاهدني هتف: ابشر يا خان، طوبى لك، ان حضرته قد دعى لك بالخير من الله، وتفضل: "بسبب علاج خان أخذت حماما انقطعت عنه منذ شهر تقريبا، دعواتي لخان".

لم أحتمل هذه البشارة وانفجرت في البكاء فرحا، لأخرج كل آلام الليلة السابقة، ثم تحسنت حالتي بعد وقت قليل وهدأت.

كانت أشعة الشمس قد بدأت تنير المكان، عندما ظهر هيكله المبارك، وتفضل يوجه الكلام لي:- جناب خان، ان حالتي قد تحسنت كثيرا بحيث أخذت حماما، ولقد دعوت الله لك، وسأستمر في تناول الدواء.

أسرعت للفندق، حيث يجتمع عادة بقية الأحباء هناك، وغنيت ورقصت من شدة فرحي وسروري بسلامة حضرته. ثم قصصت لهم ما أخفيته عنهم ليلة أمس من خوف وقلق.

سائق العربة

استأجر حضرة عبدالبهاء ذات يوم عربة وهو بصحبة أحد ضيوفه الباشوات، وعند وصولهما الى مقصدهما، طلب سائق العربة أجرا عاليا بعدما أدرك رفعة مقام ركابه وسمو شأنهما. رفض حضرته دفع المبلغ المطلوب وتمسك باعطائه أجرته فقط. فاذا بسائق العربة يمد يده ليمسك حزام حضرته ويهزه بقوة وعنف مطالبا بزيادة الأجرة. كان الرجل كبير الحجم وقويا وصلفا.

لكن حضرة عبدالبهاء بقي ساكنا هادئا ولم يذعن لطلبه الجائر.

عندما شاهد السائق ثبات حضرته وهدوئه وعدم جدوى ما يفعله، استدار متوجها الى عربته ليتركه وشأنه.

عندها ناداه حضرته وقال له: لو كنت أمينا معي لأعطيتك زيادة على ما طلبت وبقشيشا اضافيا، لكنك بعملك هذا خسرت الاثنين معا ولم تحصل على شيء.

***

أنانيـة

قص حضرة عبدالبهاء الحكاية التالية موضحا انه حتى الصلاة يمكنها أن تحمل صفة الأنانية.

في أحد الأيام كان هنالك ثلاثة رجال ينتمون الى ثلاثة ديانات مختلفة، مسلم ومسيحي ويهودي، يستقلون مركبا وسط البحر. فجأة هبت عاصفة شديدة على المركب فتقاذفته الأمواج وعبثت به الرياح، وأدرك الثلاثة ما يهدد حياتهم من خطر.

بدأ المسلم بالصلاة والدعاء، وقال يسأل الله: اغرق هذا الكافر النصراني.

بينما في نفس الوقت كان المسيحي يتضرع الى الله، ويقول: يا أبتاه ارسل هذا المسلم الى الأعماق!

انتبه الاثنان لليهودي وهو ساكن لا يؤدي أي شكل من الصلاة! فتقدما منه وسألاه: لماذا لا تصلي لطلب النجاة؟ أجاب: بالعكس.. أنا أصلي، انني أدعو الله أن يستجيب لدعائكما معا!

***

السيد الصغير

ذهب حضرة عبدالبهاء وهو صغير السن لمشاهدة أملاك والده من قطعان الخراف وهي ترعى في الجبال، كانت اعدادها بالآلاف.

وترحيبا بضيفهم وسيدهم الصغير "عباس أفندي" جهز الرعاة وليمة عظيمة بمناسبة الزيارة.

في نهاية اليوم، وقبل أن يعاد "عباس" الى بيته، أخبره رئيس الرعاة، ان العرف السائد، هو تقديم هدية للرعاة باعتبارك صاحب المال، وردا لما قدموه لك من كرم واضح.

أجاب "عباس الصغير" ببراءة الأطفال، بأنه لا يملك ما يقدمه هدية.

لكن ذلك لم يقنع الرجل وأصر على أن يترك حضرته أي شيء هدية للرعاة. فما كان منه بعد ذلك الاصرار الا أن أمر باعطاء القطيع كله هدية للرعاة.

عندما علم والده، حضرة بهاءالله بما فعل، ضحك كثيرا، وتفضل معلقا: "يجب علينا حماية عبدالبهاء من نفسه.. فسوف يكرمها ذات يوم ان لم يجد بين يديه ما يهديه.

***

المبلغ الصغير

خلال زيارته لمدينة شتوكارت بألمانيا سنة 1913، تذكر حضرة عبدالبهاء أيام طفولته، فتفضل: عندما كنت طفلا صغيرا، في الثامنة أو التاسعة من عمري، كنت مبلغا للأمر. كان هنالك رجل غير بهائي على درجة عالية من الثقافة. طلبت من أخيه ذات يوم احضاره لي لتبليغه بالأمر المبارك. وقضيت معه بعض الوقت أكلمه وأناقشه. في النهاية قال لي: (انني لم أقتنع.. ولم أوافقك بعد..). وكلما كلمته أكثر، كان يردد نفس العبارة (انني لم أقتنع، ولم أوافقك بعد).

عند ذلك قلت له: لو قدم الماء لشخص عطشان، فسيأخذ كوب الماء بدون نقاش ويشربه فورا بدون تأخير. أما أنت فلست بظمآن، اذهب الان وارجع لي عندما تشعر بالعطش، وعند ذلك سوف تقتنع. انني أستطيع القول ان الشمس علامة النهار لكل فرد مبصر يستطيع مشاهدة الأشياء، ولكن الأعمى لا يقتنع بذلك، لأنه لا يرى الشمس. كذلك لو قلت لرجل ذي ذوق موسيقي عن قطعة موسيقية انها رائعة، لاستمع لها وسعد بها ووافقني في الرأي. ولكن لو عزفت في محضر رجل أطرش أجمل الألحان، فسوف لن يسمع شيئا ولن يطرب لشيء.

أما أنت فاذهب واحصل على عينين مبصرتين وأذنين سميعتين، ثم ارجع لي بعد ذلك، وسوف أكلمك مرة ثانية عن هذا الموضوع.

لقد ذهب الرجل وعاد لي بعد فترة مرة أخرى، وقد أصبح يعي ويفهم أفضل من السابق. ثم أصبح آخر الأمر بهائيا مخلصا.

لقد حدث هذا وأنا طفل صغير..

***

موعد عند الفجر

عندما كان حضرة عبدالبهاء في مدينة نيويورك، قال لأحدهم: "اذا جئتني غدا صباحا عند الفجر، فسوف أعلمك اسلوب الصلاة".

في فجر اليوم التالي استيقظ الرجل عند الساعة الرابعة يملؤه شعور بالفرح والسرور، وخرج متجها الى بيت حضرته. وعندما طرق الباب كانت الساعة تشير الى السادسة صباحا. كان مسرور جدا بهذه الفرصة العظيمة، فدخل المنزل واتجه الى غرفة حضرته الخاصة، فوجده قد شرع في الصلاة فعلا منذ بعض الوقت. وكان راكعا على طرف فراشه الممدد على الأرض ساكنا لا يتحرك. فما كان منه الا أن بحث لنفسه عن مكان قريب يؤدي صلاته فيه أيضا. بعد انتهاء الرجل من صلاته، لاحظ ان حضرته ما زال غارقا في صلاته وتأملاته. فتساءل في نفسه: اذن.. متى سيعلمني الصلاة؟ وعندما طال انتظاره، قرر اعادة صلاته مرة أخرى بدلا من الجلوس دون فائدة. فصلى من أجل نفسه، ثم صلى من أجل عائلته ومن أجل أصدقائه ومن أجل رؤساء دول أوروبا ومن أجل رؤساء دول العالم وشعوبها و..و.. كل هذا وحضرة عبدالبهاء لم يفتح شفتيه بكلمة واحدة ليخاطبه، وبقي هادئا أمامه غارقا في صلاته. عاد الرجل ليقرأ كل أنواع الصلاة والدعاء التي يعرفها ويستطيع ترديدها، ثم اعادها مرة واثنتين وثلاثة. لكن أي شيء لم يقطع ذلك الصمت الطويل.

بدأ الرجل يشعر بألام في ظهره نتيجة ركوعه المستمر الطويل وأخذ يحاول شغل تفكيره، فمد يده ليمسد ركبتيه بصمت وسرية. ثم انتبه لصوت تغريد الطيور والعصافير خارج الغرفة وهي تعلن عن بزوغ صباح جديد. وها قد مضت ساعة.. وهذه أخرى، وهو على هذه الحالة جالس لا يدري ماذا يفعل. وتخدرت أعضاء جسده

نتيجة جلوسه المستمر، فراح يجول ببصره حوله ينظر في أرجاء الغرفة، فشاهد شرخ كبير على أحد الجدران، ثم عاد الملل يدب في نفسه.

في النهاية التفت لذلك الهيكل الجالس أمامه المستقر على فراشه بهدوء وسكينة يؤدي صلاته، فأعجبه مشهد التعبد، وتأثر به من أعماقه. وفجأة شعر أنه يرغب في تأدية صلاته الخاصة مثل ذلك الجالس أمامه. فنسي رغباته النفسية وآلامه وقلقه والأشياء المحيطة به وكأنها لم تكن، وشعر بشيء واحد فقط، رغبته الشديدة المتحمسة للاتصال بالله. اغلق عينيه وترك العالم جانبا، فامتلأ قلبه بالسرور من قوة صلاته ومتعتها، وشعر بالتقديس لهذا التواضع وهذا النعيم. كان احساسا جديدا لم يذقه من قبل.

اذن.. أخيرا علّمه حضرة عبدالبهاء كيف يصلي.

وفجأة، نهض سيد عكاء من مكانه منهيا صمته الطويل، وتقدم والابتسامة تملأ عينيه مخاطبا الرجل المتواضع:

"عندما تصلي، عليك أن لا تفكر بآلام جسدك، ولا بالطيور خارج شباك غرفتك، ولا بشروخ الجدران من حولك. عليك أن تعلم بأنك تقف في محضر ذات الجلال..".

***

رحلـة

فريد مور تينسن، شاب قطع أمريكا من الغرب الى الشرق للآلتقاء بحضرة عبدالبهاء. كتب قصته بعد عدة سنوات، قال:

ولدت في مكان قاس وفي عائلة فقيرة، ثم التحقت باحدى العصابات.. كانت هذه العصابة تسرق وتقتل وتخرب لكسب عيشها، ولذلك سجنت كثيرا. ذات مرة هربت من السجن عندما كنت أنتظر محاكمتي، وبقيت لأربع سنوات مطارد من قبل رجال الشرطة. وذات مرة حاولت مساعدة أحد اللصوص ضد رجل شرطة، فوقعت في كمين، مما اضطرني ساعتها للقفز من جدار يرتفع خمسة وثلاثين قدما تقريبا تفاديا من الوقوع في قبضة الشرطة، لكن ساقي كسرت نتيجة لعلو المكان.

كانت هذه الحادثة سببا لاتصالي بأحد المحامين الذي بذل ما في وسعه لاطلاق سراحي. كان هذا المحامي بهائياً، فبلغني الأمر المبارك، وبهذا ولدت من جديد بكلمة الله.

شعرت بدافع قوي لزيارة حضرة عبدالبهاء عند زيارته لأمريكا سنة 1912. ومع انني لا أملك شيئا، فقد قررت الذهاب والسفر وقطع تلك المسافة الطويلة بأي وسيلة ممكنة.

وقبل ليلة واحدة من سفري، شاهدت في منامي انني حللت ضيفا عند حضرة المولى، وجلست الى أحد الطاولات الكبيرة، بينما كان حضرته يمشي ذهابا وايابا ويقص بعض الحكايات ويتحرك ويشير بيديه.

بدأت سفري، وأخذت أول قطار، ومنه الى آخر.. وآخر، ثم سفينة وأخرى غيرها، وبعدها استقليت باصا وسيارة.. وتوسلت كل الطرق للوصول.

بعد كل هذا السفر الطويل والطريق المتعب وملاحقة وسائل النقل بأنواعها. وقفت على باب الجنة. كان قلبي يخفق بشدة، ورغم أني كنت متعبا وقلقا وملابسي متسخة وقذرة، لكن السعادة والفرحة كانت تملأ صدري وقلبي.

دخلت المنزل، ووجدت نفسي بين عدد كبير من الأحباء، وجميعهم يود مقابلته وزيارته، كان الوقت متأخرا، فلم أستطع لقاءه وتركت الأمر ليوم غد. ويا للعجب فعندما عدت في صباح اليوم التالي، أخبرني أحدهم بأن حضرته، قد أمر بمقابلتي بعد أن ينتهي لقاؤه مع أحد الأطباء الموجودين بصحبته في تلك الأثناء.

كنت قلقا وسيء الهندام، ولكني أتوقع لقائه.

دخلت ووجدت بالضبط ما قد شاهدته قبل سفري بليلة واحدة تماما، الطاولة الكبيرة ومجموعة الضيوف، وحضرته يقطع الغرفة ذهابا وايابا وهو يتكلم. وعندما شاهدني مد يده مصافحا بحرارة وابتسامته العريضة تملأ ووجهه، ثم طلب مني الجلوس، بينما جلس أمامي.

كانت أولى كلماته لي: " مرحبا.. مرحبا ".

ثم سألني: "هل أنت سعيد؟ وأعادها ثلاث مرات.

ثم اقترب مني كي لا يسمعه غيري، وسألني: هل كانت رحلتك ممتعة؟

كنت أرغب في تجنب الاجابة على هذا السؤال بالذات، دون جميع الأسئلة. فحولت بصري خجلا نحو الأرض. لكنه أعاد علي السؤال مرة أخرى.

رفعت نظري الى عينيه، فرأيتها كجوهرتين سوداوتين متلألئتين، تبدوان لو انهما تنظران في أعماقي وتقرءآن ما في داخلي. كنت أعرف انه يعلم ما أخفيه!

لذلك قررت الاجابة، فلم تكن أمامي حيلة غير ذلك. قلت: لقد وصلت بطريقة لم يستعملها غيري لمقابلتك.

فسألني: "وضح ذلك لي، كيف حضرت؟"

أجبت: جئت راكبا ومتسلقا ومتشبثا تحت عربات سكك الحديد، وعلى الباصات، وداخل السفن.. لقد استعملت كل وسائل النقل بدون أجرة وبدون ثمن.

ثم رفعت عيناي فوجدت عيناه قد تغيرتا، وشعاع عجيب من الحب يخرج منهما، عندها شعرت بالراحة وبسعادة عظيمة.

نهض ليطبع على وجنتي قبلتين، ثم مدّ يده وأعطاني فواكه وقبل قبعتي التي أرتديها، رغم وساختها ولونها الترابي.

وعندما حان موعد سفره، كنت ضمن المودعين له، واذا به يشير لي بمرافقته في جولته التي استمرت اسبوعا كاملا... يا لسعادتي فقد أصبحت كلمات حضرة بهاءالله طعامي وشرابي وحياتي بسبب أحداث ذلك الاسبوع. انني أعشق كل ثانية منه.

***

هذا بابي ..

يتفضل حضرة عبدالبهاء: في تلك الأيام العصيبة.. وهجمات الأعداء مستمرة.. كنت في التاسعة من عمري. عندما رمى الأولاد في أحد الأيام أحجارا كثيرة داخل بيتنا حتى غمرته ساحته، وخوفا من اصابتنا بسوء، جمعتنا والدتي في مكان منعزل داخل البيت أكثر أمنا.

بعدها استأجرت بيتا آخر في منطقة أخرى. كان لهذا البيت ساحة خلفية واسعة، فتجمعنا فيها وتراقبنا وتحافظ علينا بسهولة أكثر.

نفذ ذات يوم ما في البيت من خبز. فقالت لي والدتي: اذهب الى عمتك وأطلب بعض النقود منها لكي نشتري خبزا.

ذهبت.. وأعطتني ما استطاعت عليه.. خمس قرانات وضعتها داخل منديل لها ربطته وسلمته بيدي. فتعرف علي أحد الأولاد أثناء عودتي وصرخ: هذا بابي.. هذا بابي... وما هي الا لحظات حتى تجمع الأولاد وبدأوا بمطاردتي.. لم يكن أمامي سبيل للتخلص منهم سوى الالتجاء الى مدخل باب أحد البيوت المفتوحة، فوقفت خلفه مختبئا في الممر لعدة ساعات حتى حلول المساء.

اعتقدت بعد طول تلك الفترة ومضى كل ذلك الوقت، ان الأولاد قد انصرفوا، فخرجت لأتجه الى البيت.. واذا بهم ما زالوا واقفين ينتظرونني.. فعادوا لمطاردتي مرة ثانية. ركضوا خلفي وهم يصرخون ويرمونني بالحجارة..

وعندما وصلت الى البيت كنت متعبا جدا، ومنهوك القوى، فاستقبلتني والدتي مندهشة تسألني عن السبب، لكني لم أستطع التفوه بكلمة واحدة.. فقط.. سقطت بين يديها مغشيا علي.

***

قصص لأوائل المؤمنين

أبـو الفضل

كان جناب ابو الفضل من سكنة مدينة طهران ومن شيعة المسلمين المغالين المتعصبين، وصف في بعض كتاباته ما حدث له في أيام اتصالاته الأولى بالبهائيين وفي الأمر المبارك سنة 1876م، وكتب عن جلساته ومناقشاته واحاديثه معهم. كان هدفه الرئيسي من كل ذلك، هو اجبارهم على الاستسلام ووقف نموهم وزيادة عددهم. ولحوالي ثمانية شهور عقد مع متعلميهم عدة جلسات ومناظرات لاطفاء جذوة الايمان فيهم. الا انه في النهاية وجد ان كل تصوراته السقيمة باءت بالفشل وتبخرت وذهبت ادراج الرياح.

فراح يطرق درب التحري عن الحقيقة وبذل قصارى جهده في البحث عن دلائل هذا الأمر وأوجد علاقات حميمة وأخوية مع قادة رجال الدين من يهود وزرادشتيين ومسيحيين وسنّة وشيعة وأزليين، وجاهد في التساؤل من الاصدقاء والاعداء بخصوص تاريخ مؤسس الامر المبارك، ودرس الكتب المقدسة بعناية كبيرة وتأمل كلماتها الالهية، وكان يصلي أناء الليل واطراف النهار، راجيا الله وهو في حالة ضعف وألم تامين، ان ينعم عليه بالهداية ويعطيه عين البصيرة. وأخيرا، حصل على الرؤية الصحيحة للدين الجديد بمنة الله، وامتلأ قلبه المهموم بالطمأنينة والراحة.

ولكن قبل وصوله الى المرحلة النهائية من اليقين واعتناق الامر المبارك، كان ميرزا ابو الفضل في محنة ذهنية عصيبة، فقد كان عقله موافقا لحقيقة الأمر، الا ان قلبه لم يتنور بنور الايمان واليقين بعد. وخلال فترة البحث هذه، قرأ معظم آثار حضرة الباب وحضرة بهاءالله المتوفرة، ومن ضمنها كتاب الايقان وحكايته المشهورة معه.

عندما وجد ابو الفضل نفسه مقهورا تماما بالادلة والحجج التي قدمها له مبلغه البهائي. قرر انه لن يؤمن حتى يقدم له حضرة بهاءالله بنفسه معجزة يطمئن بها قلبه. لكن البهائيين أوضحوا له ان المعجزات لا تعتبر برهانا قاطعا لحقيقة المظهر الالهي، لأنها لا تشاهد من الجميع، بل تقنع المشاهدين لها فقط. وأكثر من ذلك، فليس للعبد ان يمتحن الحق.

الا ان ابا الفضل أصر على طلبه. فكتب بسرية عدة أسئلة على ورقة ووضعها في ظرف، وأغلقه وختمه بختمه الخاص وسلمه لعبد الكريم (بائع الملابس) ليحتفظ به كأمانة، غير عالم بمضمونها. ثم وضع ورقة بيضاء خالية في ظرف آخر وطلب من عبد الكريم ارساله الى حضرة بهاءالله. وادعى انه لو أجاب حضرته على هذه الاسئلة فلن يبقى لديه شك بحقيقة الامر.

رافق عبد الكريم ميرزا ابو الفضل ومعهما الورقة البيضاء والظرف المختوم الى بيت الحاج محمد اسماعيل الذبيح ليرسل الرسالة الى حضرة بهاءالله في عكاء.

وفيما بعد، أخبر ابو الفضل قصته للحاج حيدر علي الذي دونها في مذكراته، حيث قال: كان الحاج محمد اسماعيل الذبيح غير موجود في بيته عند وصولنا هناك، الا ان زوجته كانت تعرف عبد الكريم، فرحبت بنا بشدة وأصرت على استضافتنا بمحبة كبيرة... فدخلنا حجرة تحتوي على مكتبة عامرة بالكتب والآثار الالهية، وأعطتنا الأذن باستعمالها وقراءة ما نحب اذا رغبنا. وبما ان عبد الكريم كان أميا لا يعرف القراءة، فقد سألني القراءة له. فإستجبت بلطف لطلبه.

كان هناك لوح معنون الى السلطان عبد العزيز مكتوبا على ورقة زرقاء. فأخذته وبدأت بقراءته ومررت بقصة (مسرح

السلطان سليم)، فأعجبت جدا ببلاغتها ورصانة فقراتها. وكلما قرأت، كلما أحببت الاستزادة. والحقيقة لم أمر بحياتي بمثل هذه الكتابات الرائعة التي سلبت عقلي وخلبت لبي. وكنت أفكر بكل شيء، إلا ان تكون هذه الكلمات الهية، حتى وصلت في لوح الرئيس الى الآية التي تقول: (قريبا سنأخذ به وبرئيسه الحاكم وحقا أنا القوي القدير).

فصعقت تماما عند قراءة هذا التصريح ودخلت في حالة من الاستغراب والتساؤل وجلست صامتا لفترة نصف ساعة تقريبا أسبح في بحار أفكاري وأتسائل ان كان هذا سحر كبير. فبالتأكيد هو اختبار عظيم لي. واعتقدت اننا ندخل (يوم الآخر) وهذا لن يتم حتى يأتي الدجال قبل مجيء الموعود. واقتنعت ان حضرة بهاءالله قال هذه الاقوال والنبوءآت ليضل عامة الناس ويشد اتباعه اليه. والا فليس من الممكن لرجل سجين بأمر الملك ان يخاطب الملك بهذه اللهجة القوية ويوبخه بمثل هذه العبارات الشديدة، خاصة وانه فريد وحيد بدون معين وفي أرض أجنبية...

ملأت هذه الافكار الشيطانية والتصورات العقيمة عقلي. الا انني الان أشكر الله وأحمده لعنايته بي، لأني لم أكره حضرة بهاءالله ساعتها ولم أجافيه.

على كل حال، ولتخليص نفسي من عبد الكريم، قلت له: ان امتلاك قدرة التحكم بأعمار الناس، معجزة لم يمتلكها رسل القبل. لذلك، سحبت منه مظروفي المختوم وورقتي البيضاء ومزقتهما، وقلت، ان مجرد تحقق هذه النبوءات، سيقيم الدليل والقسطاس على الحقيقة. واشترطت ان لا يكلمني احد عن الأمر المبارك اكثر من ذلك، حتى تتحقق هذه النبوءات. وقلت في نفسي، ان حادثة الذهاب الى بيت الحاج اسماعيل ليست عملا أبعدني عن مناقشات جديدة

مع البهائيين فقط، بل أمدتني بطريقة استطيع بها هداية هذه النفوس وتخليصهم من سلوك طريق الضلال.

لكن الاحباء لم يقطعوا الاتصال بي جميعهم، وظلوا يأتون لرؤيتي ومحادثتي من وقت لآخر، يحاولون تخليصي من أغلال التصورات البالية. لكني كنت مثل العنكبوت، كلما قطعوا خيوط أفكاري السخيفة كلما نسجتها من جديد.

مضت خمسة او ستة شهور على قراءتي تلك النبوءة، بقيت خلالها أفكر دائما بنبوءة حضرة بهاءالله. حتى جاء اليوم الذي كنت فيه مارا أمام مسجد شاه طهران، فرأيت الحاج ميرزا أفنان وهو تاجر محترم ومن المؤمنين الثابتين بالاسم الأعظم وبرفقته ميرزا حيدر على اردستاني احد الناجين من مذبحة قلعة الشيخ طبرسي. وكانا يقفان على ناصية الشارع يتحادثان، وبما اني كنت أتحاشى البهائيين وأبتعد عنهم قدر الامكان، فقد غطيت رأسي بعباءتي وعبرت الشارع بعيدا عنهما. الا انهما شاهداني وناديا باسمي، فلم يكن امامي بد الا الاستجابة لهما. وباقترابي منهما، قالا: "وصلت لطهران برقية تعلن نبأ خلع السلطان عبد العزيز". فوقع هذا النبأ كالصاعقة على رأسي. ورغم علمي بمقصدهما، الا اني استشطت غضبا وصرخت بهما: "ليس لخلع السلطان شأن بي. فلست فرداً من أقاربه". فذكراني بهدوء بتعهدي، وقالا: "ألم تسند ايمانك بالأمر المبارك بهذا الحدث؟" فإنتفضت بشدة وبعصبية وتركتهما بدون كلام، ولم أذهب الى مقصدي، بل عدت الى البيت. ولعلمي بحجم هذا الاختبار، فقد تغلبت علي المشاعر الجياشة رغما عني، وبعيون تذرف الدموع توسلت الى الله ان لا يضلني. وبينما أنا في هذه الحالة، وصل لبيتي عبد الكريم ومعه شخصان آخران، الا انني لم أكن في حالة تسمح لي بدعوتهم للدخول، لذلك تركت البيت ولم

أعد له الا في وقت متأخر من الليل. كان هؤلاء الاصدقاء يعلمون انني هربت منهم لعدم قدرتي على مقابلتهم. فأنتظروا يومين او ثلاثة، ثم عادوا. عندها اعتذرت لهم عن تصرفي السابق، وقلت: "علينا الانتظار حتى تتحقق بقية النبوءة، وأوضحت ان عبارة (نضع يدنا عليه) لا تعني موتا طبيعيا للسلطان عبد العزيز، فكل انسان سيموت. وأشرت ان المقصود هو أن يقتل".

وصلت حماستي لمعرفة الحقيقة الى قمتها، فزرت جميع العلماء المسلمين الذين أثق بهم، وناقشت معهم مباديء الدين الاسلامي، الا انني وجدتهم عاجزين عن الرد والاقناع.

اما الاثباتات التي وضعها البهائيون أمامي، فكانت مقنعة وحاسمة في نظري، إذ وجدت من خلالها القدرة على اكتشاف غموض وحقيقة اشارات آيات القرآن ومعرفتها.

مضت عدة ايام، حتى جاءت برقية أخرى تعلن اغتيال السلطان عبد العزيز. فطار عقلي، وكدت أجن تماما واصابتني الحيرة، ورحت ألطم على رأسي. ودخلت في حالة غير طبيعية، فصرت أحارب الله مرة، وأكفر مرة أخرى، ثم أعود لطلب مساعدة الله لهدايتي وحمايتي. وبقيت على هذه الحال في هذه المصيبة أياما وليال طوال، لم استطع تخليص نفسي من أفكارها، ولم أنم أو أتناول طعاما، وبقيت فقط أدخن وأشرب الشاي وأبكي.

نهضت ذات ليلة من نومي، ورحت أوبخ نفسي بهذه الكلمات: "مضت عليك سنة، وأنت تعاشر البهائيين وتناقشهم، وهم أميين وغير مثقفين، ومع ذلك فقد أكدوا تفوقهم عليك في كل مرة، وقدموا الاثباتات والبراهين والحجج على صحة دعوتهم. ورغم انك تعتبر نفسك رجلا متعلما وباحثا في الكتب المقدسة والاحاديث الشريفة، فانت متأكد انهم أكثر منك علما، ويبدوا انهم مدعومين ومؤيدين من

الله وينطق روح القدس بأفواههم. وأنت تشهد على سمو ورفعة أخلاقهم وطباعهم. فلماذا تعتبر كلماتهم كما لو انها همسات شيطانية؟ هل تذكر كم كنت جذلا عند قراءتك قصة (مسرح السلطان سليم) في لوح الرئيس! وكيف انجذبت لقوة كلماتها وحلاوتها وجمالها! والآن، عليك بقراءة كتابات من يدعي انه منزل كلمات الله بعين العدل والانصاف والتحقق منها. ان كان هذا الأمر باطلا، فحسبه الله. وعندها لن يفلح أبدا".

قمت وتوضأت وصليت، ثم أخذت لوح حضرة بهاءالله (لوح الرئيس) وكان بحوزتي لفترة طويلة ولم أقرأه. ففتحته وتوجهت بعيون دامعة وبقلب خالص النيّة الى الله وبدأت بقراءته. عندها سمعت صوت الله يناديني من خلال فم هذا المظهر الالهي: (ألست بربك؟). فاستجبت لنداء الجمال الابهى بكل قلبي، وقلت: (بلى.. بلى.. أنت أنت. لقد آمنت).

اجتزت مرحلة الافكار والتخيلات السقيمة الشيطانية الى مرحلة الايقان... وانجذبت بشدة الى كلمات الله وامتلكتني قوتها، وشعرت بمحبة وتعلق بحضرة بهاءالله وفرح وسرور داخلي بشكل لا استطيع وصفه. ان الكلمات لتعجز عن وصف العالم الروحاني السامي الذي دخلته.. انني أعلم اليوم انني لو خدمت هذه النفوس التي تسببت في هدايتي الى اخر أيام حياتي او فديت حياتي في سبيلهم، فاني لن أوفهم حقهم، لما قدموه لي من خدمات جليلة نورت بصيرتي وادخلتني حياة روحانية جديدة.

أمضيت تلك الليلة بمتعة لا حدود لها، واسرعت قبل بزوغ الفجر الى منزل عبد الكريم وقبلت عتبة داره وسجدت عند قدميه وأظهرت له كل الاحترام. فقال لي: ان تصرفك هذا غير جائز، وهو نتيجة معتقداتك القديمة، لأن الله هو الهادي وليس البشر.

جناب بديع وجلاده

قابلت المؤمنة الامريكية مدام "ديفورس بارني" معدة كتاب "مفاوضات حضرة عبدالبهاء"، الضابط الايراني السابق ‘محمود والي خان’ في باريس، وقدمت له نسخة من كتابها وكتاب ألواح حضرة بهاءالله الى الملوك والرؤساء، المحتوي على لوح (ناصر الدين شاه)، وعند قراءته للوح المبارك، أخذ قلما وكتب على حاشية الكتاب بعض المعلومات التي سمعها بنفسه من لسان ‘كاظم خان’ الضابط المسؤول عن تعذيب جناب بديع واعدامه. فكتب التالي:

بعث الشاه أمراً لوالدي (سعيد الدولة)، وكان آنذاك برتبة جنرال، ولم يكن قد حصل على لقب سعيد الدولة بعد، بينما كنت أنا ضابطا برتبة كولونيل. أمره بالذهاب الى كاجور وتهيئة اسباب الراحة والتموين لمعسكره الصيفي الذي سيسكنه عند عودته من الصيد في ‘لار’، وأخبره أنه سيذهب من هناك الى بلدية نور ثم الى كاجور.

كنت مع والدي آنذاك في اطراف مانج كاجور عندما وصلتنا أخبار وصول الشاه الى لار وقتله شخصا هناك. بعدها علمنا أن الشخص القتيل كان رسولا للبابيين (لم يسمع آنذاك بكلمة بهائيين بعد). وكان الناس فرحين بمقتل هذا الرسول البابي.

بعدما وصل الشاه الى بلدية نور، ذهبت برفقة والدي لتحيته في خيمته. الا اننا وصلنا قبله، ووجدنا ‘كاظم خان ترك’ (الفراش باشي) صديق والدي في خيمته، فجلسنا ثم قدّم الشاي لنا، ودار الحديث بيننا عن الرحلة.

بعدها وجّه والدي سؤاله لمضيفه، وقال:-

يا سعادة الفراش باشي.. من هو ذلك البابي؟ وكيف قتل؟

فأجابه:- يا مير بنج.. كان هذا الرجل مخلوقا غريبا. فدعني أقص عليك الحكاية!

لم أكن برفقة الشاه عندما ذهب للصيد في (سفيد ماه لار). لكني رأيت فجأة، اثنان من الفرسان يجريان نحوي ليخبراني أن الشاه ارسل في طلبي. فامتطيت حصاني وذهبت اليه على الفور.

وحال وصولي، أبلغني الشاه:-

"هناك شخصا بابيا جاءه برسالة، وانه أمر باعتقاله، وهو الآن في كشكجي باشي".

ثم أمرني بالذهاب اليه وأصطحابه الى 'فراش خانه'، ومعاملته باللطف أولا، فاذا لم ينفع، فعليّ استعمال كل وسيلة ممكنة لاجباره على الاعتراف والبوح باسماء أصحابه وأماكن تواجدهم حتى عودته من الصيد.

فذهبت وأخذت الرسول وقيدته. ولكن دعني اخبرك شيئا عن ذكاء وفطنة الشاه. كان الرسول يقف في ذلك المكان حاملا رسالته، وحالما نطق ان لديه رسالة يريد تسليمها للشاه، ادرك الشاه انه بابي، وأمر باعتقاله ومصادرة ما بحوزته من رسائل. الا انه رفض تسليم الرسالة التى في جيبه الى أي شخص غير الشاه. فأخذته الى البيت، وتكلمت معه في البداية برفق ومحبة وقلت له:

"أعطني تقريرا كاملا عن الموضوع. من أعطاك هذه الرسالة؟ ومن أين جئت بها؟ وكم لها من الوقت معك؟ ومن هم رفاقك؟"

فقال:- "أعطاني أياها حضرة بهاءالله في عكاء. وقال لي عليك بالذهاب الى ايران لوحدك فقط، وتسليم هذه الرسالة الى الشاه بنفسه، واعلم ان حياتك ستكون في خطر. إن وافقت، فخذها. والا فسأرسل رسولا غيرك. فقبلت بالمهمة. كان ذلك منذ ثلاثة شهور. وكنت أبحث عن فرصة لتسليمها ليد الشاه واخباره بها. وأشكر الله

انني انجزت مهمتي اليوم. أما إذا كنت تبحث عن بهائيين، فهم كثر في ايران. وأما طلبك لأسماء رفاقي، فلقد كنت وحيدا وليس معي أحد".

فضغطت عليه لمعرفة أسماء رفاقه واسماء البهائيين في ايران، وخصوصا في طهران.

الا انه أصر على الانكار، وقال: "ليس لي رفاق، ولا أعرف أحدا من بهائيي ايران".

فأقسمت له، وقلت: ‘ان اخبرتني بالاسماء، فسوف أحصل لك على العفو من الشاه وأنقذك من الموت’.

فكان جوابه: "إني أتمنى الموت! هل تعتقد انك تخيفني؟"

عندها أمرت باحضار الفلقة، فضرب الحرس بها وتناوب عليها ستة رجال في كل مرة. ومع كل ذلك الضرب لم يبك ولم يتوسل ابدا.

بعد ذلك، أوقفت الضرب وأجلسته بجانبي، وقلت له مرة ثانية:- ‘أعطني أسماء رفاقك’.

فلم يجبني، وبدأ يضحك، وكأن كل ذلك الضرب لم يؤذه بأي شكل.

فغضبت وأمرت بجلب السياخ والنار، وبينما هم يهيئونها، قلت له: ‘تعال وقل الحقيقة، والا فسأحرقك’.

فلاحظت ازدياد ضحكه.

فأمرت بالفلقة مرة اخرى.

فضربوه حتى تعبوا، وتعبت معهم.

عندها فككت وثاقه واخذته الى خلف خيمة اخرى وقلت لرجالي: ‘عليكم بكيّه حتى يعترف’.

فحرقوا ظهره وصدره عدة مرات بسياخ الحديد المحمّاة. وكنت أسمع أزيز صوت لحمه يحترق وأشم رائحته. ولكن مهما فعلنا به وحاولنا معه، لم نحصل منه على شيء.

وعند المغيب، عاد الشاه ودعاني اليه.

فذهبت وقصصت عليه كل ما حدث.

فأصر على حمله على الاعتراف ثم اعدامه.

لذلك عدت وأحرقته مرة ثانية.

فراح يضحك تحت وطأة كل تلك الحروق.

وللمساومة، رضيت منه ان يقول: ‘ان ما جاء به هو التماس وليس رسالة’.

فلم يستجب لهذا الطلب ايضا.

عندها فقدت اعصابي وأمرت باحضار لوحا خشبيا ووضعت رأسه عليه ووقف الجلاد فوق رأسه وخشبة أخرى بيده، وقلت له:- ‘ان صرحت باسماء رفاقك، أطلقت سراحك. والا فسآمر بضرب رأسك بهذا’.

فبدأ يضحك ويشكر الله لحصوله على مبتغاه.

عدت وقلت له: ‘قل ان ما جلبته هو التماس فقط وليس رسالة.

فلم يقبل حتى بهذا.

لذلك أشرت الى الجلاد بضرب رأسه. فضربه ضربة قوية هشمت جمجمته وأسالت مخه من أنفه.

عندها ذهبت الى الشاه وأخبرته بكل شيء.

لقد ذهل كاظم فراش باشي من تصرف واصرار هذا الرجل وقوة تحمله وعدم تأثير كل ذلك الضرب والحرق فيه وعدم شعوره بأي ألم.

أما الشاه، فقد أرسل "اللوح" الى طهران للملا ‘علي كاني’ وغيره من العلماء لقراءته والاجابة عليه.

الا انهم قالوا: "ليس هناك ما نجيب عليه".

وكتب الحاج ‘ملا علي’، الى مصطفى الممالك (رئيس الوزراء) ليخبر الشاه نيابة عنه: ‘ان كان (لا سمح الله) لديه أية شكوك تجاه دين الاسلام، وان ايمانه به ليس كافيا. فأنا مستعد لتشتيت ذلك. وأن مثل هذه الرسالة ليس لها جواب. ان جوابها فقط، هو ما فعله بحاملها "الرسول" تماما. والآن عليك بالكتابة الى السلطان العثماني عبد العزيز ليكون قاسيا جدا مع صاحبها ويضيق عليه سبل المعيشة في السجن.

وسجّل تاريخيا، ان الشاه غضب بشدة من تصرف علماء الدين برفضهم مواجهة تحدي حضرة بهاءالله وكتابة جواب له. الا انه لم يستطع عمل شيء لتغيير موقفهم.

ويضيف كاتب التعليق قائلا:- بعد سنة ونصف تقريبا، وخلال رحلتي الى كربلاء، أصيب ‘كاظم خان’، (الذي قام على تعذيب جناب بديع) بالجنون، فقيّده الشاه، ثم مات بعدها ميتة تعيسة. وفي سنة ذهابي الى تبريز كحاكم لاذربيجان، وجدت حفيده يتسول في الشوارع عند أبواب الجوامع.

فإعقلوا يا أولوا الألباب.

***

دليل القافلة

رحل للزيارة في أيام الأمر الاولى، رجل غني وعالم مسلم كبير مع عائلته من مدينة كاشان في ايران الى مدينتي النجف وكربلاء في العراق. ولما لم يجد شخصا مناسبا يختاره بين أصحاب القوافل وأدلائها، أجبرته الظروف على استئجار دليل بابي حتى يسافر بصحبته، ويدعى 'هاشم خان' ليأخذه الى مقصده ومن ثم إعادته الى وطنه.

أما السبب الذي كان يدعوه للنفور من صحبة هاشم خان، رغم كون الاخير رجل ثقة وذا خبرة في المنطقة، كونه بابيّ الديانة.

كان هاشم خان رجلا قويا طويل القامة قليل الثقافة، ورغم تعلق قلبه بنور الأمر المبارك في مراحله الاولى، إلا أنه ونتيجة إنعام الله عليه بنعمة الفهم والادراك، كان باستطاعته إقناع الناس بحقيقة ما يعتنقه بطريقته الخاصة البسيطة.

لم يجد التاجر في النهاية الا الموافقة على السفر مع الدليل هاشم، لكنه بقي طوال الرحلة يتجنبه وعائلته قدر المستطاع، ولم يرغبوا في التكلم معه او معاشرته، فهو في نظرهم شخصا مرتدا ومنشقا عن الدين الحنيف.

وفي مثل هذه الرحلات الطويلة، يتحتم على المسافرين التوقف مرتين او ثلاث خلال النهار للراحة ولإطعام البهائم وغير ذلك. ذات مرة وبينما كان الجميع يأخذون قسطا من الراحة، قرر التاجر، التقرب من هاشم والتكلم معه، في محاولة منه لرده عن معتقده، وإعادته الى دينه القديم. لذلك دعاه للانضمام اليه وللآخرين.

وبعد تقديمه الشكر والامتنان على خدماته وعنايته بعائلته ومن معهم. راح يحاوره، وقال: (كيف حصل إني فشلت في تقدير صحة

دعوة الباب، رغم علمي وفطنتي ومعرفتي. بينما تدّعي أنت معرفتك بحقيقة دعوته، رغم قلةّ معرفتك وجهلك؟).

وفي اجابته على هذا السؤال. مدّ هاشم يده الى الارض وتناول حفنة من الرمل وبسطها أمام وجه محدثه، وقال:-

(ان الناس من أمثالي، ليسوا ذوو شأن مثل هذه الرمال. ورغم ذلك، فعندما تشرق شمس الصباح، يكونوا أول المستنيرين بأشعتها. أما الرجل المتعلم من أمثالك. فهو مثل جوهرة ثمينة، تحفظ داخل قطعة قماش جيدة، وتخبأ داخل صندوق محكم في غرفة مقفلة. فيبقى غارقا في ظلمته رغم شروق الشمس وسطوعها!).

إهتز التاجر لهذا الجواب البسيط، عميق المعنى، وإنتبه ان هذا الرجل الأمي، يعرف شيئا لا يعرفه هو.

ونتيجة لذلك، لازم هاشم طوال الطريق يحاول معه ويحاوره ويتعلم منه، حتى زالت كل الحجبات التي غطت بصيرته. وفي النهاية، تنور قلبه بأشعة دين الله الجديد.

والحقيقة، ان جواب الدليل البسيط، كان عميق جدا رغم تقديره لمقام وقيمة العلماء والمتعلمين. وهذا يثبت انه عندما تشرق شمس الحقيقة، يجب على رجال العلم والمعرفة، السعي لشرح صدورهم وأرواحهم لأشعتها والتنور بنورها. فهنالك العديد من الحجبات المضرة التي تمنع الناس من اعتناق أديان الله الجديدة، فتلفهم في حالة من الظلام والحرمان التامّين، مثل المادة والثروة والسلطة وغيرها مما يحيط البشرية في هذا اليوم.

***

علي أكبر حكاك

ان الذين يميزون حقيقة، مقام حضرة بهاءالله، يقبلون العذاب والمعاناة بسبب محبته، ويعرفون تماما انهم بعد اعتناقهم أمر الله، سيكونون في خطر دائم وعظيم. وعندما يتركون منازلهم، يكونوا غير متأكدين من عودتهم اليها سالمين مرة ثانية، فالأعداء مستعدون في كل الاوقات للوثوب على أي شخص يوسم بالدين الجديد. لذلك، فمن اتبع حضرة الباب وحضرة بهاءالله في الأيام الأولى، أدرك بوضوح انه يمكن في أي لحظة سفك دمه في سبيل الله. كان هذا هو امتحان ايمانهم. ومع ذلك، بقي جلهم ثابتون على عقيدتهم حتى النهاية. ولا أحد يعلم، ماذا يشاهد هؤلاء الشجعان وقت الشهادة حتى يثبتوا كالجبال في تلك اللحظات التي يرهبها أقوى الرجال.

والقصة التالية تصوّر مشهدا لعملية استشهاد أحد المؤمنين الأوائل، وتثبت بوضوح أحقية هذا الدين.

هاكم شخصا نبذ حياته بطريقة مأساوية مؤلمة بحيث ذرف الدمع عليه العديد ممن احتشدوا للاستهزاء به او لمجرد رؤية منظر اعدامه. وتأثرت بعمق شديد، حتى قلوب الرجال الاشداء المكلفين بتنفيذ هذه الاعمال الشائنة.

ان البطل اللامع الذي يظهر بقوة في هذا المنظر المأساوي، هو (علي أكبر حكاك)، شاب جذاب جميل من مدينة يزد في ايران. كان يعمل نقاشا وله خبرة ومهارة عالية في حرفته. متزوج وله ولد عمره أربع سنوات اسمه (حبيب الله).

حالما وصلت اخبار نيريز ومذبحتها المفجعة الى مدينة يزد، شرع علي أكبر من فوره برحلة لزيارة ذلك المكان التاريخي، حيث قاتل (وحيد) الفريد وسقط مع جماعته المدافعين الشجعان شهداء.

وفي طريق عودته الى يزد، اظهر متعة روحانية وحماسة غامرة في اعمال التبليغ، بحيث اشتهر بسرعة وعرف الناس أنه بابيّ. مما دفع الحاكم المستبد لإعتقاله بتهمة الهرطقة، ورفع تقريرا الى العاصمة طهران يسألهم التعليمات.

مرّت قرابة الشهرين ولم يصل جواب طهران. عندها انتزعت من الأسير فدية مالية واطلق سراحه بشرط تسليم نفسه فور وصول الجواب الى مقر الحاكم.

بعد حوالي ثلاثة شهور، وصل الأمر بقتل أي شخص يثبت انتمائه الى الديانة البابية فورا. فدفع هذا الأمر المجحف بالحاكم الى تنفيذه بقوة وأرسل رجاله لإعتقال علي أكبر في منزله، واصطحابه الى مقره في القلعة، حيث احتجز هناك. فإستقبل الأسير أمر الاعتقال، بروح ملؤها الرضى، غير مبال بالقدر الذي ينتظره.

انتهز العامة في يزد هذه الفرصة، يدفعهم التحامل المتعصب على الدين الجديد، ونهضوا بسرعة وبعنف ضد كل من إتصف وعرف بالبابية، ولم يهتموا لا بصفات علي أكبر ولا بأخلاقه الحميدة ولا بسمعته الطيبة.

غير ان الحاكم والمكلفين بإعدامه حاولوا مساعدته وأبدوا نفورهم من العملية، وفعلوا كل ما في وسعهم حتى ينطق الرجل مجرد كلمة ضد الدين الجديد لإنقاذ حياته، واستعملوا كل طرق الاقناع ووسائل التهديد والوعيد.

الا انهم فشلوا تماما، فلم يكن هناك شيء يقنع هذا البطل الإلهي ذو القلب الشجاع على انكار او تبديل دينه العزيز، مقابل هذه الدنيا الفانية. فإشتاط الحاكم غضبا لعدم تحمله شخصا يجرؤ على تحدي سلطته ويصر على رأيه، واستدعى رئيس الحرس وأمره بقتل هذا البابي المرتد بوضعه داخل فوهة مدفع ونسفه. وعلى الفور تحركت

وحدة المدفعية لتنفيذ الأمر وأخرجوا مدفعا من المعسكر الى ساحة مجاورة. ثم اقتاد رئيس الحرس والجلاد، الضحية الى ساحة مجاورة، وسط ضوضاء وصراخ جموع المشاهدين.

ورغبة من رئيس الحرس لانقاذ علي أكبر من مصيره المحتوم مرة أخرى، استخدم طرقا عبقرية لإرهابه وتخويفه وكسر معنوياته العالية للتخلي عن ولائه لدينه.

كان المدفع من النوع القديم الذي يعبأ من فوهته، ولمعرفة رئيس الحرس بعدم تعبئته بعد، فكّر بتمثيل عملية الاعدام، آملا بتخويف الضحية وارعابها. فغالبا ما تنجح هذه الخدعة.

وبنظرة وحشية مرعبة، أصدر أمره للجلاد بالاسراع في التنفيذ. فربط الشاب الى فوهة المدفع لإطلاقه بدون تأخير. وهكذا تم. حيث تركت الضحية على هذه الحال وهذا المنظر المخيف لفترة غير قليلة. بينما كان طاقم الاطلاق يتحرك ذهابا وايابا، متظاهرين بتجهيز مدفعهم.

كان رئيس الحرس خلالها يراقب الضحية عن كثب، ويطالبه بالانكار بين الحين والاخر. الا انه تعجب كثيرا من بقاء علي أكبر على هدوءه واصراره بدلا من الخوف والاهتزاز. وأدرك بسرعة ان تمثيليته فشلت. فأسرع نحو المدفعي ليوقف محاولاته الخادعة.

كان الوقت حوالي الساعة الحادية عشر صباحا، والساحة محتشدة بجموع المشاهدين الحمقى الشرسين. وحالما حل وثاق الرجل، تقدم منه رئيس الحرس مظهرا محبته وتعاطفه معه. فأخذه جانبا وأجلسه بقربه يحاول معه برغبة شديدة ويطالبه ويحثه مرة تلو الاخرى على الانكار لإنقاذ حياته.

الا ان الفشل كان نصيبه مرة اخرى. وجلس علي أكبر مثل صخرة صلبة غير متقبل لحلول وسطية، مقاوما بقوة كاملة كل هذه الاختبارات.

في هذه اللحظات العصيبة، بدأ رئيس الحرس يشعر بالتذمر الشديد لعدم عثوره على شيء قيّم عند هذا الشاب ليجبره على الانكار. فإقتاده الى مسرح الاعدام وهو يشعر بالرعب والفشل معا، وأمر طاقم المدفعية بتعبئة مدفعهم.

في تلك اللحظات، خطرت له فكرة جديدة راقت له واعتقد بنجاحها في كسر روح السجين. وهي استدعاء زوجة السجين، فأرسل رجاله في طلب المسكينة وطفلها الى مكان الاعدام.

كان هذا التحدي شديدا بحق. فبعد بضع دقائق، ظهرت الزوجة في حالة من الأسى وهي تمسك بيدها طفلها المحبوب الذي بدى لطيفا وجذابا بردائه الجميل، ووقفت أمام زوجها تبكي بحرقة، وتقول:- "إرحم هذا الطفل.. ماذا سأفعل بعدك وبدونك؟"

لم يجب 'علي أكبر' على توسلاتها، وأدار ظهره لها.

فإلتفت لتواجهه ومعها طفلها ووقفت أمامه ورمت بنفسها على قدميه تلتمس وتتوسل. الا انه بقي صامتا وأدار لهما ظهره مرة ثانية. فما كان من الصبي الصغير، الا ان هرول نحو أبيه وراح يشد رداءه ويصيح:-

(بابا.. بابا.. لماذا تشيح بوجهك عني؟ ألم تعد تحبني؟).

ويبدو ان هذه الكلمات البسيطة المؤلمة، كان لها وقعا مختلفا، أثرت في الوالد الضحية أكثر من أي شيء آخر. ومن المحتمل انه لم يتحمل وقعها، لأنه رفع رأسه بنفاذ صبر الى السماء بطريقة المستغيث، وكأن لسان حاله يقول:-

(يا إلهي.. أتوسل اليك وقف هذه الامتحانات).

هنا وصلت المأساة المحزنة لقمتها، بحيث تعاطفت معه قلوب العديد من المشاهدين، وحزنوا وإغرورقت بالدموع حتى عيون رئيس الحرس.

لكن نكران الذات والثبات الخارق الذي أظهره هذا الشهيد الشهم، بخّر آخر نقطة أمل لدى رئيس الحرس في سعيه لرده عن دينه.

فصرخ برعب مقررا وضع حد لهذه المسرحية المحزنة، وذلك بتنفيذ أمر الحاكم على الفور.

فربطت الضحية مرة ثانية الى فوهة المدفع أمام أنظار زوجته المحزونة وطفله البريء، وأخلي المكان من جميع الواقفين.

لكن الطفل رفض الابتعاد عن والده، وراح يصرخ ويتوسل ويقول:- (خذوني لأبي! دعوني بقربه!).

اصبحت النهاية المرعبة قريبة في هذه اللحظات، واجتاح نفوس المتواجدين في الساحة شعورا بالتوتر والرعب والخوف، وساد الصمت أرجاء المكان، ولم يسمع الا صوت رئيس الحرس وهو يشير ويأمر بإطلاق النار وارسال الضحية الى الجو لتمزيقه إربا في ثوان.

ووسط تعجب الجميع، رفض المدفع الانفجار.! فكرر الجنود المحاولة مرة ثانية وثالثة، لكن المدفع لا ينفجر.!

وقف الكل امام ما يحدث مذهولين صامتين. وهنا ركض رئيس الحرس نحو الضحية ليرجوه، قائلا: ‘نحن لا نريد قتلك. ويبدو ان الله لا يريد ذلك ايضا. والآن ألا تعطف على ولدك وزوجتك؟’

الا ان علي أكبر لم ينطق بكلمة واحدة، حتى عندما ركضت زوجته الحزينة وطفله البريء الى جانبه ليرجوانه مرة اخرى. وبقي هادئا غير مكترث بمن حوله ابدا.

كان الجنود في تلك الاثناء، منشغلين بتعبئة المدفع من جديد. ووقف رئيسهم ينتظر لفترة قصيرة، لعل الضحية يتخلى عن موقفه وينطق بكلمة نكران، او ربما يحصل شيء ما ينقذ حياته.

بينما لم تخطر أية فكرة لحل وسط في عقل علي أكبر، وكانت روحه مشتاقة للتضحية بجسده التافه في سبيل ربه، ولرقيها الى بارئها.

وأخيراً.. حانت اللحظة الرهيبة واقتربت.. ورغم كل الفرص العجيبة التي كان باستطاعته استغلالها لتخليص نفسه، أكد 'علي أكبر' ثباته الراسخ عديم المثال، الفرق الشاسع بين رؤيته النبيلة وبين أفكار رئيس الحرس. وبعيدا عن الحزن والتردد وبفرح وشوق كبيرين وروح يملأها السرور، استقبل الشهيد اشارة رئيس الحرس المفعم باليأس، أمره باطلاق المدفع من جديد.

في هذه المرة.. وخلال جزء من الثانية، انفجر جسد الشهيد المجيد وتفرّق الى اشلاء متناثرة وسط الانفجار الناري الدخاني الرهيب، وطار في الهواء عاليا، ليسقط من السماء مثل قوس قزح قرمزي اللون مصحوبا بحمّام من الدماء، وانتشرت أشلاءه بعيدا في كل أرجاء الساحة.

بعدها، أمر رئيس الحرس ترك أشلاء الشهيد في مواضعها حتى المساء لتدوسها أقدام المارة وحوافر الحيوانات.

كانت هذه الشهادة المحزنة ضربة موجعة لكل جامعة المؤمنين الاوائل، خصوصا زوجته المحزونة التي بقيت تبكي وتلطم رأسها بحزن لا حدود له.

***

جـارنـا

يروي الحاج محمد طاهر مالميري في مذكراته (تاريخ الأمر في يزد) هذه القصة الممتعة بخصوص احد السادة، واسمه ابو القاسم بيضا:

كان السيد ابو القاسم تاجرا جيدا وشاعرا موهوبا ومواطنا محترما معروفا، اعتاد مخالطة ومجالسة تجار وشخصيات المدينة لمكانته المحترمة. اما من ناحية عقيدته، فكان مسلما ثابتا أمينا شريفا، فهو حفيد الحاج الملا رضا (أحد قراء عزاء الامام الحسين المشهورين).

يقول الحاج محمد طاهر، كان بيتي يغلق طريق المرور على بيت ابي القاسم ولا يسمح له بالوصول الى الشارع الا بالمرور من خلال باحة بيتنا.

ولأن بيتنا كان معروفا ببيت البابيين، فقد بقي هذا الرجل يخاف الاقتراب او الوقوف بقربه. لذلك اعتاد اجتياز تلك الفاصلة راكضا بسرعة شديدة وبأقصى ما يمكنه، حتى لا تناله تأثيراتنا الروحانية.

بعد عدة محاولات مستمرة لتبيلغه، آمن الرجل واعتنق الأمر المبارك، وصار يحضر لقاءاتنا داخل بيتنا الذي طالما خاف الاقتراب منه. وكلما تذكر أيامه الاولى تلك، يقول:-

"كنت كلما مررت بهذا البيت، يرتجف ويرتعش جسدي بأكمله، وأبقى طوال النهار أشعر بالرهبة والانزعاج".

***

ميرزا مصطفى

وصل لمدينة استنبول في يوم مغادرة حضرة بهاءالله لها، مؤمن مخلص يدعى ميرزا مصطفى، من مدينة نراق، كان قد اعتنق الامر البابي في أيامه الاولى وزار بغداد وسكنها لبعض الوقت ايام اقامة حضرة بهاءالله فيها وفاز بلقاءه وتمتع بمشاهدة جمال وجه مولاه الحقيقي الذي لم يكن قد كشفه للناس بعد. أما في استنبول فقد سنحت له الفرصة بالتشرف بمحضر مولاه مرة واحدة فقط، أمره خلالها، بالعودة الى ايران للانخراط في تبليغ الأمر المبارك. فذهب الى اذربيجان.

وفيما يلي قصة هذا الروح الباسل، كما وردت عن لسان حضرة عبدالبهاء:

عندما وصل ميرزا مصطفى لاذربيجان، راح يبلغ الأمر المبارك، وبقي مواضبا على الصلاة والتعبد ليلا ونهارا، مما زاده حماسة وأحدث تبليغه للأمر صخبا في تبريز. ثم انضم اليه العالم الشهير الشيخ احمد خراساني. فاتحدت قوة الاثنان في التبليغ. وكانت النتيجة نارا روحانية عارمة، راحا على اثرها يبلغان الأمر علانية بين الناس، مما دفع أهل المدينة للنهوض ضدهما بحنق شديد.

فطاردهما الحرس وأمسكوا بميرزا مصطفى. الا ان المعتدين اشتبهت عليهم شخصيته، وارادوا اطلاق سراحه، وقالوا مشككين:- "ان هذا ليس هو الرجل المطلوب، لان ميرزا مصطفى له جذيلتين طويلتين". عندما سمع الرجل ما كان يدور بين الحرس، خلع عمامته على الفور واسقط جذيلتيه، وقال:-

"مهلاً.. مهلاً.. توقفوا.. انا هو الرجل المطلوب".

فإعتقلوه وعذبوه مع الشيخ احمد، حتى كرع هذين الرجلين العظيمين كأس الشهادة في تبريز وأسرعا الى العالم الأعلى.

في موقع الشهادة صرخ ميرزا مصطفى بأعلى صوته:-

"اقتلوني أولا.. أقتلوني قبل الشيخ احمد حتى لا أرى سفك دمه".

كانت العادة في تلك الايام توجيه وجه الضحية نحو القبلة قبل تنفيذ الاعدام. الا ان ميرزا مصطفى استدار نحو ادرنة ورفض الحياد عنها كلما طلبوا منه ذلك، وكان يقول:-

"هذه هي القبلة الحق". ثم صرخ بصوت عال، سمعها كل من حوله قبل تلقيه الضربة القاتلة:-

"يا بهاء الأبهى".

***

نبيل أكبر

هذه قصة أخرى تبين مقدار ما يصيب المؤمنين الجدد بالديانة البابية من خطر رهيب. وهي قصة الملا ‘محمد قائني’ الملقب بـ ‘نبيل أكبر’. استخلصت هذه المقتطفات من أقواله التي سجلها ابن أخيه الشهير شيخ ‘محمد علي قائني’.

حدثت هذه القصة، اثناء اعتقال حضرة بهاءالله في سجن ‘سياه جال’ في طهران، عندما شنت حملة عظيمة لإبادة البابيين من قبل الحكومة والشعب ورجال الدين.

كان وقتها ‘نبيل أكبر’، رجل دين بارز ومثقف كبير. وصل طهران في ذروة موجة الاضطهادات ضد البابيين، وكان في طريقه الى مدينتي النجف وكربلاء في العراق لزيارة العتبات

المقدسة. فصادف ان سكن في مدرسة فقهية يديرها رجل دين يدعى الشيخ 'عبد الحسين'. وهاكم قصته أيام اقامته في تلك الاثناء في طهران:-

كان مدير المدرسة الشيخ 'عبد الحسين'، قليل الالمام بالفلسفة الالهية والغيبيات رغم اهتمامه بها، لذلك اعتاد دعوتي الى العشاء خلال الامسيات، ليتعرف على وجهة نظري وآراء غيري.

خلال تلك الفترة، حاول شابان بابيان الاعتداء على حياة الشاه وقتله، الا انهما فشلا وألقي القبض عليهما. ونتيجة لذلك استعرت نار غضب الملك وأمر باستئصال شأفة البابيين جميعا. فحمل اثنان من الضباط في طهران مسؤولية تنفيذ أمر الشاه ووزره، وهما 'عزيز خان سردار' و'محمود خان كلانتر'، وراحا يقبضان في كل يوم على مجموعة من الناس ليعدموهم، فأصبح الوضع خطير جدا، لدرجة انه حتى لو أتهم أي شخص بالبابية زورا وبهتانا، فسيلاقي نفس المصير، ولن ينجيه من القتل شيء.

حدث ان ذهب بعض الطلاب ممن كانوا ضد أفكاري الفلسفية وضد الفلاسفة أجمعين الى 'محمود خان' للوشاية بي ليتهموني باعتناق البابية.

ساعتها، كنت أمضي ليلتي في مقاطعة سانجلاج في بيت صديق عزيز يعمل طبيبا، عندما وصل عدد من الجنود في الصباح الباكر ليصطحبوني الى بيت محمود خان. ولشدة حراجة موقفي وخطورته، تدبرت كتابة بعض السطور على ورقة صغيرة، وارسلتها الى الشيخ عبد الحسين أبلغه بحالتي.

أخذوني الى بيت الكلانتر في طابقه العلوي، فوجدت هناك رجلا متقدما في السن معتقلا لنفس السبب. وعندما رأى حالتي،

أصابه الحزن الشديد وأبدى عطفه تجاهي وتوسل الى الله بحرقة والدموع تسقط من عينيه، لنجاتي من هذه المحنة.

سمعنا داخل البيت هياجا شديدا وصراخا وأنينا، فأدركنا ان هناك معتقلون يعذبون ويضربون من قبل الكلانتر. ولم يمض وقت طويل حتى صعد الكلانتر للغرفة المقابلة لنا. فاغتنمت الفرصة، وبدون أذن منه، تقدمت نحوه، وبادرته بالتحية. الا انه لم يرد علي. وبدلا من ذلك، غضب وتجاهلني.

فسألته عن سبب إحضاري الى هنا؟

أجاب: لتنفيذ أوامر الشاه.

فسألته: ما هو جرمي؟

أجاب: هل هناك جريمة أكبر من البابية، أعداء الدين والدولة؟

قلت له: ان هذا اتهام باطل ضدي. أتهمني به أعدائي الذين ليس لهم نية سوى إيذائي.

عندما لاحظت عدم تأثير كلماتي عليه، لم أتابع الموضوع أكثر من ذلك، وسلمت نفسي لقدري. وبينما انا جالس أنتظر ما يخبئه القدر لي، اذا بسكرتير الشيخ عبد الحسين يصل المكان ويسلم الكلانتر رسالة من مديره.

بعد قراءتها، ارتسمت على وجهه علامات الهدوء، وشرع بتقديم الاعتذار لي، وقال لي: 'ان الشيخ يريد لقائك. وعليك بالذهاب اليه فورا'. وعندما نهضت استعد للمغادرة، نهض من مكانه ورافقني حتى الباب، وقدم لي اعتذاره عدة مرات.

ذهبت الى المدرسة، حيث كان الشيخ ورفاقه في انتظاري. ففرح بوصولي. وبسبب إهتمامه بأمر اعتقالي، أراد معرفة سبب الحادثة. فقلت له:-

"إسأل هذا السؤال لطلابك المتعجرفين الذين إتهموني ووشوا بي ظلما". فإغتاظ حال سماعه ذلك، وخاطب طلابه بلهجة شديدة ووبخهم ووعد بانزال أقسى العقوبة بحق الفاعل.

على كل حال، ورغم بطلان التهمة وعدم ثباتها، الا انني وصمت بعدها بالبابية بين طلاب ورجال الدين. واعتقدوا انني بابي، وهذا هو سبب اعتقالي الحقيقي، ولم يطلق سراحي، الا بتدخل الشيخ عبد الحسين نفسه.

فانتشر الخبر بين الناس، وراحوا يتهامسون فيما بينهم ويشيرون نحوي في الشوارع والاسواق، وتجنبني بعض الطلبة وراحوا يبتعدون عني، حتى لا تلامس عباءآتهم عبائتي.

ذات مساء، وبعد اشتهاري بالبابية، جاء لزيارتي شخص من أهالي قائين يدعى 'سيد يعقوب'، وكان يعيش في نفس المدرسة، واتضح لي فيما بعد، انه بابي يخفي ايمانه.

فقال لي ممازحا:- "هل تعلم، أنك اشتهرت بين الناس في هذه المدينة بالبابية؟ ان رجال الدين والطلاب يصفونك بها ويعتبرونك واحدا من جماعة البابيين".

فأجبته: "لكن هذه الاشاعات بدون أساس. فأنا لا أعرف عن هذه الجماعة غير اسمها، ولم أقرأ سطرا واحدا من كتبهم، ولم أقابل أحدا منهم".

قال:- "على كل حال، أصبحت الآن معروفا بالبابية. وآراء الناس تجاهك لن تتغير، اذا قرأت كتابات الباب، أم لم تقرأها. وبالمناسبة، لقد عثرت على بعض تلك الكتابات بالصدفة، الا انني لم أفهمها. وبما انني وجدتك منصفا ورجل ثقة تتمتع بأخلاق حميدة، لذلك جلبتها معي الآن حتى تقرأها. وسأكون ممنونا لك

وشاكرا، اذا اخبرتني رأيك واستنتاجك منها". ثم مدّ يده الى جيبه ليخرجها ويسلمها لي، قبل ان ينصرف.

نظرت الى الاوراق باستخفاف وبدون أكتراث. ولأن عقلي كان مليئا بعبارات ومصطلحات الفلاسفة ومعتادا على طرقهم، لم تجلب هذه الكتابات انتباهي مطلقاً، ووجدتها ركيكة وخالية من الحقيقة والحكمة معا. لذلك جمعتها وخبأتها تحت كتبي.

جاء السيد يعقوب في الليلة التالية يستفسر عن استنتاجاتي. فقلت له: "قرأت الكتابات بشكل سطحي، ولم أجد فيها ما يجلب انتباهي. ان هؤلاء البابيين المساكين، يضعون أنفسهم في وضع باطل وخطير، ويضحون بأنفسهم في سبيل مولاهم. ان الأناس العاديين معذورون لأنهم لا يميزون الخطأ من الصواب. لكن الذي يحيرني، هو تصرف هؤلاء العلماء، لماذا يطرقون هذا السبيل ويتسببون في تضليل البسطاء؟ من الواضح جدا ان دعوى الباب باطلة، ولا حاجة لاثبات ضلالة أتباعه".

إنزعج السيد يعقوب عند سماعه هذا الرأي، وبقي صامتا لبعض الوقت مطرقا برأسه الى الأرض.. ولدى استعداده للمغادرة، نطق بهذه الأبيات:- "غالبا ما تنقلب المعرفة والذكاء الى لص مهول يسرق عابري السبيل..".

ثم خاطبني قائلا:- "وجّه نظرك الى المغزى الباطني والى حقيقة هذه الآثار، حتى تشاهد ما لم تره عين، وما لم تسمعه اذن، وتشعر بما لم يشعر به قلب".

قال هذا وترك الغرفة واليأس باد عليه.

تأملت للحظات موقف السيد يعقوب وأفكاره. وانزعجت ليأسه. وشككت انه بابي يبغي اضلالي. ولاظهار بطلان دعوة الباب لهذا

السيد فقط، ولانقاذه من طريق الضلال، قررت اخراج الكتابات لقراءتها بعناية، حتى أثبت خطأ الباب من خلال كتاباته.

وكان ذلك هو السبب الرئيسي في اقدامي على قراءتها. الا انه تملكني الخوف والرهبة والانزعاج من فحواها، ووجدت نفسي أمشي فوق الصراط بين الموت والحياة.

في هذه المرة، تعجبت كثيرا، عندما وجدت ان كل سطر منها فتح علي بابا جديدا من المعرفة، واظهر أمام عيني عالما جديدا. فلم أستطع النوم تلك الليلة، وكان تعجبي يزداد كل دقيقة عند قراتها.

فأعدت قراءة الآثار المباركة مرة ثانية، وغمرت نفسي في لجّة ذلك البحر مثل غواص يبتغي جمع درر ولئاليء ثمينة، وشاهدت حقيقة دعوى ‘النقطة الاولى’ واضحة أمامي مثل شمس النهار في كبد السماء، وأحسست في نفسي بانني أملك قلبا وعيونا وروحا وقوة جديدة، وأدركت ان كل المعرفة والفلسفة التي اكتسبتها وتعلمتها سابقا، والتي كانت مصدر افتخاري، كأنها لا شيء تماما.

جاءني السيد يعقوب في مساء اليوم التالي، فتملكه السرور والذهول لرؤيته انقلاب حالي، وعند سماع قصتي، رمى بنفسه على الارض من هذه الاخبار المفرحة، وراحت دموعه تنهمر على وجنتيه وصدى ضحكاته يملأ أرجاء الغرفة. ومن ساعتها، راح يتحفني بالكثير من الآثار المباركة.

***

ميرزا حلبي

ان قصة شهادة ‘مبيّض النحاس’، الحاج ‘ميرزا حلبي ساز يزدي’، وهو من اتباع حضرة بهاءالله المحبين، لهي حكاية من تاريخ الأمر القديم، حدثت خلال مذابح يزد الفضيعة في صيف عام 1903م عندما تم قتل وأعدام عدد كبير من البهائيين خلال بضعة أيام.

تجمع عدد من الناس خارج منزل الحاج ميرزا، في ذكرى ولادة سيدنا محمد(ص)، وراحوا يرجمون باب بيته بالحجارة لمدة طويلة، فكسروا وحطموا كل نوافذ المنزل وتصرفوا بخسة ودناءة، اضطر معها الحاج ميرزا للصعود الى سطح منزله لمطالبتهم بتوضيح سبب ذلك.

فارتبك بعضهم وطأطأوا رؤوسهم خجلا وانصرفوا، بينما بقي صغار السن منهم مستمرون على أعمالهم الصبيانية، حتى هدؤا في النهاية من وقع تأثير كلماته وانصرفوا...

لكنهم عادوا عند المغيب، يرجمون الحجارة داخل المنزل لحوالي ثلاث ساعات.

في ساعات الفجر الاولى، غادر الحاج ميرزا منزله قاصدا بيت الحاج ‘ميرزا محمود أفنان’، ليلتقي الاحباء في تجمعهم كعادتهم لاداء الدعاء والمناجاة في مشرق الأذكار، وبقي حتى انتهاء الجلسة قبل الشروق. ثم أبدى رغبته في توديع الحاضرين الوداع الاخير قبل مغادرته، لاحتمال عدم تمكنه من رؤيتهم مرة أخرى. فعانقهم واحدا تلو الآخر.

ادرك صاحب البيت خطورة الموقف، ونصح الحاج بالبقاء وعدم العودة الى بيته وانتظار جلاء الموقف خلال النهار.

لكن الحاج رفض الاقتراح، وخرج وهو يقول:-

(ليفعل الله ما يشاء).

في صباح نفس اليوم، كان الحاج منشغلا بقطع لوح زجاجي داخل بيته، وبجانبه جلس اطفاله الثلاثة وزوجته، عندما ظهرت خارج المنزل مجموعة من الرجال وعلى رأسهم شخص يدعى 'حسن مهرزى' وهو رجل معروف بشقاوته وقوته غير العادية.

ضرب 'حسن' باب بيت الحاج بقوة وفتحها ثم دخل الدار ومن خلفه المهاجمون، وتقدم نحو الحاج ليمسكه بقوة ويسحبه الى خارج البيت، ثم راح يضربه بسلسلة حديدية ثقيلة والحشد من خلفه يضربونه بأيديهم وبالعصي والسلاسل والحجارة، حتى سقط الرجل على الأرض مضرجا بدمائه.

عندما شاهدت زوجة الحاج ما يجري أمام بيتها، اندفعت بيأس وسط الجمع المحيط بزوجها، ورمت بنفسها على جسده المثخن بالجراح لتقيه من الأذى. الا انهم ضربوها ايضا بما معهم من العصي والسلاسل وجرحوها جروحا بليغة.

ورغم ما أصابها منهم، بقيت متمسكة بزوجها تحاول تخفيف الضرب والأذى عنه، فحاولوا سحبها لابعادها عن جسد حبيبها، لكنها بقيت تحتضنه لفترة من الوقت.

أما أطفالهما، فكانوا يقفون على مقربة هلعين يصرخون ويبكون خائفين لدرجة الموت لا حول لهم ولا قوة وهم يراقبون هذا المشهد المخيف، والله وحده يعلم ما كانوا يشعرون به من رعب.

كان كبيرهم يدعى 'عناية الله'، وهو في سن الحادية عشر، والبنت اسمها 'رضوان' في سنتها التاسعة، أما الصغيرة 'طوبى' فكانت في السادسة من عمرها.

بعد فترة تمكن المهاجمون من ابعاد الزوجة عن زوجها. ورغم ان جسد الحاج ميرزا كان مليئا بالجروح وينزف الدماء بغزارة، الا

انهم بدأوا يسحبونه الى بيت (امام الجمعة) مصحوبا بحوالي مائتي رجل.

لكنهم لم يكادوا يبتعدوا من مكانهم سوى بضع خطوات، واذا بالزوجة تتسلل من بينهم لترمي بنفسها على جسد زوجها مرة ثانية. فحاولوا أبعادها، لكنها تمسكت به بشدة.

في هذه المرة، ضربوها أكثر من قبل كثيراً حتى أفقدوها وعيها، ثم تركوها مرمية على الارض بحالة يرثى لها، وسحبوا زوجها معهم. فما كان من الغوغاء والعامة إلا اغتنام فرصة خلو البيت من أهله المظلومين، ليقتحموه وينهبوا كل ما وجدوا فيه.

كان أولاد هذا المظلوم يبكون وينتحبون قرب جسد أمهم المطروح على الارض وهي فاقدة الوعي. وبينما هم على هذه الحالة التعيسة، إذا ببعض النسوة يتقدمن من جسد الأم شبه العاري إلا من قميصها الخفيف الممزق ليأخذوا منها وشاح رأسها (للدلالة على انها إمرأة غير صالحة) ثم تركوها كما هي ممددة على الارض.

كانت تسكن المنطقة، امرأة معروفة بسوء سلوكها ورداءة سمعتها، تدعى (روبيبة)، أظهرت هذه المرأة شجاعة ونخوة حقيقيتين، عندما اقتربت من الأم لتنحني عليها وتغطيها بعباءة قديمة جلبتها من بيتها القريب، ثم حاولت جاهدة انعاشها واعادتها لوعيها.

كان اولاد الحاج ميرزا يبكون دون توقف وبحرقة لا حدود لها. فحاولت المرأة بكل ما في وسعها تهدأتهم، وحملت أمهم على ظهرها الى منزلها وأظهرت شجاعة عظيمة في مساعدة الضحية.

في مثل هذه الظروف لا يجسر احد على مدّ يد المساعدة الى أي بهائي، لاحتمال اتهامه بالانتماء للبهائية ايضا. الا ان 'روبيبة' كانت مومسا، وبذلك فهي بعيدة كل البعد عن هذه التهمة.

وفي البيت، جهزت هذه 'المومس'، شرابا خاصا وسقت الاطفال منه ومن ثم سقت أمهم التي فاقت بعد ساعتين. أما الاطفال فكانوا منهكين جدا من كثرة البكاء.

حال استعادة الأم لوعيها وقدرتها الكلام، سألت عن أخبار زوجها، فأخبرتها المرأة، انهم أخذوه لدائرة الحكومة وان الامير يعامله بكل لطف وعطف. فإنفجرت تبكي بحرقة شديدة.

لم تجد 'روبيبة' ما تفعله سوى مواساة الأم، وقالت لها: 'اشكري الله على سلامة الحاج. عليك بعدم البكاء أمام الاطفال لأنهم عانوا كثيرا'. ثم ساعدتها على الوقوف وحملتها مع اطفالها الى بيتهم.

كان البيت خالي تماما حتى من الأبواب والشبابيك، فلقد أفرغ مما فيه من آثاث وسجاد وملابس وأدوات، ولم يترك الغوغاء فيه شيئا ذا قيمة. بل لم تستطع العائلة اغلاق باب بيتهم، لأنها كانت محطمة ومرمية على الارض.

التجأت الأم الجريحة واطفالها المساكين الى زاوية في ركن البيت يبكون بحرقة حتى منتصف الليل تقريبا. واذا بسيدة أخرى تأتي وهي تحمل أخبارا مفرحة من الحاج ميرزا محمود أفنان، فتقول لهم ان الحاج في صحة جيدة وهو في مكان أمين وسيعود الى البيت في مساء اليوم التالي.

واست هذه الكلمات القليلة قلوب العائلة الحزينة بعض الشيء.

ومع ان روبيبة كانت خائفة وتتوقع هجوم الناس عليها لتجرأها في مساعدتها العائلة المنكوبة، الا انها تدبرت أمرها بجلب بعض الطعام للأم واطفالها.

وخلال ذلك، ولأن البيت كان بدون باب خارجي، بقي الغوغاء وخصوصا النساء والاطفال، يستغلون الفرصة ليدخلوا ويخرجوا دون وازع ويهيلوا الشتائم والسباب على العائلة المحزونة.

انزوت الأم واطفالها الى ركن غرفة وجلسوا على الأرض ينتظرون عودة والدهم، وبمساعدة روبيبة طبخوا طعاما بسيطا لتقديمه للأب عند عودته.

الا انه لم يعد.

أما بالنسبة لوالدهم، فقد أخذته جموع الغوغاء الى بيت امام الجمعة، وهناك تقدم منه الرجل الشرس 'حسن'، ليأمره بشتم الدين البهائي. فنظر الحاج اليه ولم يجبه بشيء.

فأعاد 'حسن' طلبه ثانية بغضب شديد.

عندها، قال الحاج: أنت لست قاضيا ولا حاكما. وهذا ليس من شأنك. وسأجيب على الأسئلة في المكان المناسب.

عند سماع حسن هذا الجواب، غضب غضبا شديدا، فانطلق الى دكان قصاب قريب ليأخذ منه سكينا كبيرا ويعود ليضرب بها فتح جمجمة الحاج ويشجها، ثم.. وبضربة أخرى قطع يد الحاج.

وبينما الجميع على هذه الحال من الفوضى، وصل اثنان او ثلاثة من رجال الحكومة، فاخترقوا الحشود ليأخذوا الرجل الجريح الى دار الحكومة. وهناك سقط مغشيا عليه داخل الممر. الا انه عاد وأفاق بعد دقائق.

ويروي مجموعة من البهائيين الذين كانوا معتقلين داخل القصر، أهم شاهدوا عملية اعدامه، فقالوا:-

نزع الحاج ميرزا، ساعته اليدوية المزينة بصورة حضرة المولى وأعطاها لأحد الحاضرين حتى يسلمها الى زوجته وأطفاله... في هذه الاثناء كان الجلاد يربط مئزره الخاص على رأس الحاج ليوقف نزيف الدماء الغزير، الا ان ذلك لم ينفع، فقد خارت قوى الرجل وسقط مغشيا عليه.

فرفع الجلاد مئزره عن رأس الضحية وأعاد لبسه. وفي تلك اللحظة، نفذ عمله المطلوب. وهكذا تمت عملية الشهادة. وكان عمر الحاج ثمانية وثلاثون عاما.

بعد حلول المساء بساعتين، أرسل الحاكم الى الحاج ميرزا محمود افنان وطلب منه ارسال من يخلي جثة الشهيد لدفنه.

فذهب القائم على خدمة الروضة الأبدية في يزد الى قصر الحاكم وحملها على ظهره ودفنها هناك.

بقيت عائلة الحاج ميرزا في تلك الليلة يقظة حتى الصباح لا تعلم شيئا عن استشهاد معيلها ويتوقعون عودته الى البيت سالما في أي لحظة. وبقي الاطفال يلحّون في السؤال عن مصير أبيهم، بينما الأم تؤكد لهم عودته القريبة.

الا ان الوقت مضى، وانتشر حراس الليل في طرقات المدينة وأزقتها، وخلت الشوارع من المارة، عندها انقطع الامل بعودته. الا ان الاطفال لم يناموا، وبقيت الأم صاحية تعاني من أوجاع جراحها الشديدة منتظرة عودة الزوج.

ومع أول بزوغ خيوط نور الفجر، خرجت الأم رغم كل الآلام والجراح متوجهة الى بيت الحاج ميرزا محمود أفنان لتستفسر منه عن مصير زوجها. وحالما شاهدها، لم يستطع تحمل الموقف وراح يبكي وينتحب. وبهذه الطريقة علمت الزوجة باستشهاد زوجها.

كان الاطفال ينتظرون عودة والدتهم بصحبة والدهم، وعندما عادت هذه الأرملة المسكينة الى البيت كسيرة الجناح تبكي بدموع لا انقطاع لها، أدرك الأطفال حال رؤيتهم والدتهم بتلك الدرجة من الخوف والرعب ما حصل، فراحت أصوات بكائهم ونحيبهم تسمع في كل أرجاء البيت. ويمكننا تصور مصيبتهم وتأمل حالتهم، فالبيت خال تماما من كل شيء ووالدهم مقتول وأمهم مثخنة بالجراح والناس جميعا ضدهم. الله وحده يعلم مقدار حزنهم وشتات أفكارهم.

وكأن كل هذه المصائب لم تكن كافية لهذه العائلة التعيسة. فبعد يومين، أطارت إمرأة من الحي اشاعة تقول: "ان زوجة الحاج ميرزا سممت خزان مياه الشرب العام في المدينة".

فكانت هذه الاشاعة كافية لهجوم بعض النسوة على بيتها مرة أخرى للقضاء عليها. وبينما كانت الأم جالسة مع أطفالها في زاوية من البيت تصلي لله وتبكي حالها، اذا بحوالي ستين او سبعين إمرأة يهجمن عليها ويبعدن الاطفال جانبا ثم يطرحونها أرضا، ورحن يضربنها بنهاية القسوة لقتلها والتخلص منها.

فأحدث هذا العمل صخبا وضوضاء عالية في الحي واجتمع الناس من كل مكان. ووصل الخبر الى رئيس الحرس، الذي إنطلق مع رجاله الى المكان واخترقوا جموع النساء ليجدوا الأم المسكينة فاقدة الوعي منذ نصف ساعة تقريبا، بينما المهاجمات ما زلن يضربنها رغم اقتناعهن التام بموتها.

بعد تفريق الجمع، كانت زوجة الحاج ميرزا مرمية على الارض، وملابسها ممزقة قطعا منثورة حولها، وجسدها عاري مغطى بالدماء والتراب. فإنتاب رئيس الحرس شعورا بالخزي والارتباك، ولم يستطع النظر اليها فتركها وانصرف، وترك

اطفالها ممسكين بجسدها المهروس، وليس هناك من يعتني بهم سوى جدتهم العجوز التي كانت هي نفسها بحاجة لمن يساعدها ويأخذ بيدها.

وهنا تدخلت العناية والقدرة والرحمة والعطف الالهي لتشمل الاطفال. فبعد ساعة، راح جسد الأم الميت يتحرك ببطء، ولم يمض وقتا حتى عادت الحياة لها.

فأسرعت ‘روبيبة’ مرة اخرى لتجلب بعض الملابس لها.

عند سماع النسوة نبأ بقاء الأم على قيد الحياة، قررن العودة للقضاء عليها. الا ان عمدة الحارة تدبر أمر حملها الى مكان آخر رغم جراحها الشديدة. فأخذوها الى دار الحكومة في القصر، وتكلف المجتهد الشيخ ‘محمد جعفر سبزوارى’ أمر حمايتها، وأرسل في طلب إحدى النساء وتدعى ‘بابي بجم’ ليطلب منها إبقاء الأم التعيسة في بيتها والعناية بها حتى ينجلي الوضع.

بقيت الأم في بيت تلك السيدة لا تعلم شيئا عن مصير اولادها حوالي عشرين يوما، وبقي الأطفال الأبرياء المظلومين خلال هذه المدة بدون والديهم جالسين بين اطلال بيتهم الخالي الا من جدتهم العجوز المريضة، منهكين القوى تماما وفي خوف وترقب مرعب على حياتهم معتقدين ان مصيرهم هو القتل أيضا، ينتظرون بلهفة عودة أمهم.

وخلال العشرين يوما عانوا من الارهاق والتعب والجوع والخوف كثيرا وتحولت أجسامهم الى مجرد هياكل عظمية من شدة الجوع، وكان المارة يرمونهم بالحجارة ويشتمونهم بألفاظ نابية، وكلما سمعوا السباب والشتائم اعتقدوا ان الناس سيدخلون لقتلهم، فيتملكهم الخوف الرهيب، ويسرعون نحو حضن العجوز المتهالك ليحتموا به.

كانت مصيبة الولد الاكبر ‘عناية الله’ كبيرة بفقدان والديه، فسقط مريضا بشكل خطير وتمدد على الارض في احدى زاويا الحجرة. كما عانى بقية اخوته كثيرا لدرجة أنهم صاروا على وشك الهلاك. وغالبا ما سألوا العجوز:-

"ماذا فعلنا ليقتلنا الناس؟"

ان القلم ليعجز عن وصف مصيبتهم هذه...

أخيرا، وبعد عشرين يوما، هدأ الوضع، وعادت الأم يملؤها الرعب والهلع لتبحث عن أولادها.

وأورد الحاج محمد طاهر مالميرى، مؤلف كتاب (تاريخ شهداء يزد) حالة استشهاد الحاج ميرزا نقلا عن فم زوجته. ووصف حزن قلبها كما ذكرته هي بنفسها عند عودتها الى البيت ومشاهدة أولادها على وشك الموت، قالت:-

"يشهد الله عليّ، انني عندما وصلت البيت رأيت ثلاثة أطفال لم أميزهم ولم أتعرف عليهم، فتركتهم ورحت أبحث عن أولادي. فقالت لي والدتي: "هؤلاء هم أولادك!" فنظرت اليهم وتفحصتهم. وعندما تأكدت أنهم أولادي، دخلت في حالة محت من قلبي وعقلي كل ما عانيته سابقا، وأصبحت كل تلك المصائب لا قيمة لها. ولحد هذا اليوم وبعد كل تلك السنين يرتعش جسمي بأكمله من الخوف والهلع عندما أتذكر ذلك الموقف".

ويعطينا نفس الكاتب في كتابه غير المنشور (تاريخ الأمر في مقاطعة يزد) صورة عن المعاناة التي وقعت على أطفال الحاج ميرزا عندما كانت أمهم في الحجز، فيقول:-

"كان لهذه العائلة جار يدعى ‘زين العرب’، يسكن بجوارهم ويلاصق سطح بيته سطح بيتهم. ذات مساء أثناء مجزرة يزد، قال

بعض الأشرار لهذا الرجل:- "طالما ان بيتك مجاور لبيت الحاج ميرزا. فاننا نعتقد انك بهائي أيضا".

والحقيقة انه كان بعيدا جدا عن هذا، فهو رجل سافل شقي جدا. وحال سماعه هذه التهمة، ثارت ثائرته، وقرر الذهاب لقتل زوجة الحاج ميرزا وأولادها الثلاثة. فذهب الى بيته وأخذ مسدسه وصعد سلم بيته متجها الى السطح، فاجتازه الى سطح بيت الحاج ميرزا، وراح يصرخ لاعنا وشاتما، رافعا مسدسه عالياً ومعلنا بصوت عالي لجميع من حوله رغبته بالنزول الى بيت جاره لقتل اطفاله.

كان الاطفال في تلك الساعة، يجلسون في ركن من البيت حول جدتهم مرعوبين من هيئة 'زين' الشريرة وما يتفوه به، وهو يقف على السطح شاهرا مسدسه. وراحوا يبكون ويصرخون ويتوسلون. وعندما شرع الرجل بنزول سلالم بيت جاره متوجها نحو باحته، سمع الصياح جار آخر يدعى 'أقا حسين ابن أقا رضا'، حيث أسرع الى السطح في الوقت المناسب ليمنع حدوث تلك الجريمة. فتوجه نحو زين يحاول منعه، وسأله بتودد:-

"لماذا تريد قتل هؤلاء الاطفال؟"

أجاب زين: "في هذا المساء، اتهمني بعض الرجال انني بهائي، لأنني جار للحاج ميرزا. لذلك قررت محو هذه العائلة تماما. ولن يمنعني أحد من تنفيذ ما أريد".

فراح أقا حسين يهديء من غضب زين ويوضح له قائلا:- "ان الاطفال أبرياء، وان والدهم البهائي قتل وانتهى أمره، ومصير والدتهم مجهول. وهم أيتام الان، فوالدهم ذبح ومات أمام عيونهم، وأمهم ضربت وعذبت ولا أحد يعلم هل هي ميتة الان أم على قيد الحياة. وكما تراهم الآن يعيشون عرايا في هذه الخرابة، جوعى ليس لديهم شيئا يأكلونه. انظر لحالهم البائس، انهم يبدون أشباحا.

فكيف يسمح لك ضميرك بتنفيذ هذا العمل؟ لقد أمر الرسول محمد(ص) باحترام الجار حتى ولو كان كافرا. وأنت مسلم، فكيف تفعل هذا بهؤلاء الاطفال الابرياء؟"

ولما لم تنفع هذه الكلمات مع زين ولم تجد لها طريقا الى قلبه القاسي، طلب منه أقا حسين تأجيل تنفيذ رغبته قليلا والذهاب معه الى بيته للجلوس قليلا وتدخين سيجارة وشرب قدح من الشاي والاستراحة، ثم ليفعل بعدها ما يشاء. واخيرا، استطاع الجار الطيب اقناع هذا الرجل الشرير بكثير من المحاباة والتودد تغيير فكرته.

أما بالنسبة للاطفال، فالله وحده يعلم مقدار خوفهم ورعبهم في تلك الليلة. وقال لي احدهم:- "جلسنا طوال تلك الليلة في الظلام يقظين مرعوبين خائفين وعيوننا شاخصة نحو السلالم، نتوقع نزول 'زين' في أي وقت. وكانت أقل حركة أو أدنى صوت يخيفنا ويملؤنا رعبا لاعتقادنا بقدومه. لن ننسى أبدا رعب وهلع تلك الليلة السوداء.

***

ذبيح أدرنـة

ترك لنا حسين آشجي طباخ حضرة بهاءالله لسنين طويلة، هذه الحكاية عن مساء ذلك اليوم الذي غادر حضرته ادرنة الى ميناء غاليبولي في تركيا. قال:-

صدرت الاوامر من استنبول بنفي حضرة بهاءالله الى سورية. وعلى اثر ذلك، أشاع خورشيد باشا حاكم المدينة، خبرا مفاده انه سيغادر ادرنة بسبب فشله في وقف تنفيذ هذا الامر ولعدم استطاعته

مواجهة حضرة بهاءالله من شدة شعوره بالخجل. فأوكل موضوع تنفيذ عملية النفي الى بعض ضباطه ثم اختفى.

والحقيقة انه لم يغادر المدينة، بل انسحب الى بيت صيفي في ضواحي المدينة مختبئا خجلا.

ويضيف حسين آشجي:- ذات مساء وبعد انجاز عملي في المطبخ، ذهبت الى السوق لزيارة ‘أقا رضا شيرازي وميرزا محمود كاشاني’ في محلات عملهم. وبعد دقائق من وصولي، اذا باثنين من الجنود يصلان ليستدعيانهما الى دار الحكومة. فحاولت الانسحاب بهدوء وترك المكان، الا انهما امسكا بي واخذاني معهما. ثم فهمت بعد ذلك، انهم قبضوا على جميع الاحباء أصحاب الدكاكين في السوق وسجلوا اسمائهم وأعدادهم. وبعد معرفة السلطات أنني الطباخ الخاص لحضرة بهاءالله، نودي على جندي ليرافقني الى بيت حضرته.

باقترابنا من البيت المبارك، ارتعبت لرؤيتي عددا من الحراس يقفون خارج البوابة. وعندما حاولت الدخول، منعوني رغم محاولة الجندي المرافق لي توضيح الامر. وقالوا: لا يمكن دخولك الا بموافقة الضابط المسؤول، وهو الآن موجود في القسم الخارجي لبيت حضرة بهاءالله، يتحدث الى حضرة عبدالبهاء...

وبعد عدة محاولات، تمكنت من الدخول وذهبت مباشرة الى محضر بهاءالله. فسألني عما يدور في المدينة. كنت خائف جدا وفمي ناشف جاف لدرجة صعب علي الكلام وقتها. فاستأذنت للخروج لشرب بعض الماء، وعندما شعرت بالتحسن عدت الى محضره المبارك.

فنظر إلي وابتسم وتفضل يمازحني: "هل الكاشاني خائف؟"، وكانت اشارة لأهل كاشان المشهورين بالخوف.

فأخبرته بالقصة كاملة. عندها أرسلني الى بيت أخيه أقا كليم مع رسالة تأمره بالحضور فورا. وعند وصولنا لبوابة بيت حضرته، سمح الجنود لي بالدخول بينما منعوا 'أقا كليم' الذي حاول الاستفادة من وجوده خارجا، فبعث معي برسالة الى حضرة بهاءالله، تقول: "طالما أنني حرّ في الحركة داخل المدينة، فهل يمكنني عمل شيء للمساعدة؟"

وجوابا لذلك، تفضل حضرته:- "اذهب وقل لأقا كليم أن يدخل. فنحن لا نطلب مساعدة أحد. ان أمرنا ليس بيد أحد، انه بيد الله".

لذا نقلت أمره الى حضرة عبدالبهاء، فطلب من الضابط دخول 'أقا كليم'. فدخل..

كانت الاوامر تقضي بالرحيل خلال يومين. إلا ان حضرته ارسل الى السلطان معترضاً على عدم كفاية المدة للتجهيز للرحلة، وان بعض تجار السوق يطالبون رجاله بتسديد ما بذمتهم من ديون. وطالب أيضا بالافراج عن رجاله الثلاثة المحتجزون في استنبول حتى يتمكنوا من بيع خيولهم الثلاثة، ليسددوا ما في ذمتهم من ديون، وعندها يمكننا الرحيل..

كان الضباط يصلون الى قسم البيت الخارجي كل يوم ليقابلوا حضرة عبدالبهاء. وكان الحرس يحيطون بالبيت ليل نهار. واستمر هذا الوضع ثمانية ايام، جاء خلالها العديد من القناصل الاجانب لمقابلة حضرة بهاءالله، الا ان الحرس كانوا يمنعوهم من الدخول. وكانوا يظهرون كرمهم وتعاطفهم وقدموا لحضرته حماية وتقدير حكوماتهم. الا انه أوضح لهم بجلاء عدم رغبته في طلب مساعدة أية دولة. فحسبه الله وحده... وبالرغم من اصرارهم الشديد. الا انه رفض خدماتهم بلطف، مؤكدا انه وضع كل ثقته بالله وانه متوجه اليه في كل الاوقات.

ذات مرة، نصح حضرته بعض أصحابه من الذين وصلوا حديثا للتشرف بمحضره المبارك، بالابتعاد عن المدينة وعدم الاندماج مع المنفيين، واخبرهم ان وجهة سفره ستكون غير معلومة.

كان من ضمن هؤلاء القادمون حديثا، أخوين شجاعين جريئين هما الحاج جعفر تبريزي وكربلائي تقي. بعد سماعهما هذه النصيحة، قرر الحاج جعفر بينه وبين نفسه تفضيل الموت على البقاء حيا بعيدا عن مولاه. فأخذ سكينا وذهب الى قسم البيت الخارجي المزدحم بالضباط ورجال الحكومة ومدّ رأسه خارج الشباك المطل على الشارع وقطع حلقومه.

لم يكن 'أقا محمد علي تمباك فراشي' يعلم بما عزم عليه الحاج جعفر، لكنه عندما سمع صرخته العالية وهو يقف بجانبه، سحبه الى داخل الغرفة ليكتشف لحظتها أنه قد قطع رقبته. فذعر الجميع من هذا الحدث، ونادوا على حضرة عبدالبهاء فورا. أما أنا، فتصادف دخولي الغرفة في نفس لحظة الواقعة، لأني كنت أريد حساب عدد الموجودين لأعد لهم طعام العشاء الكافي، وكانت حضرة الورقة العليا تنتظرني في المطبخ لتعرف النتيجة.

عندما رأيت الحاج جعفر بتلك الحالة يترنح داخل المكان والدم ينزف من رقبته ويغطي ملابسه تناثرت قطرات دمه في المكان والرجال حوله يتحركون في كل اتجاه وكل يشير بشيء ويقول برأي، أخافني المشهد كثيرا وبقيت واقفا مذهولا. ورأيت الجنود يطمئنون الذبيح بقرب وصول الطبيب لمعالجته. أما هو ورغم عدم قدرته على الكلام، إلا أنه كان يشير اليهم بطريقة واضحة ومفهومة انه سيقطع رأسه مرة ثانية، اذا نجح الطبيب في انقاذه.

وبسبب تأخري وعدم عودتي الى المطبخ، أرسلت حضرة الورقة العليا في أثري أرملة ميرزا مصطفى، إلا انها حال رؤيتها الحاج جعفر وهو بهذا المنظر، انهارت وسقطت على الارض مغشيا عليها. ومرة أخرى ونتيجة للتأخير، أرسلوا خادمة اخرى مسيحية لتعرف ماذا يجري، فسقطت هي الاخرى بجانب الأولى فاقدة الوعي حال رؤيتها المشهد!

في تلك الاثناء ارسلني حضرة عبدالبهاء الى قسم البيت الداخلي لجلب بعض من ملابسه الخاصة ليغير للحاج جعفر ملابسه الملطخة بالدماء. وفي طريقي وعند الباب، شاهدت السيدتين مغشي عليهما، فسكبت ماء على وجهيهما ليفيقا، ثم اصطحبتهما الى المطبخ.

عندما شاهدتنا العائلة المباركة بهذا الحالة ونحن مرعوبين خائفين، اندهشوا وارادوا معرفة حقيقة ما حدث، وخاصة عندما طلبت منهم ملابسا حضرة المولى. فقلت محاولا تغطية الموقف وتخفيفه: ان حضرته تعرّق كثيرا من شدّة الزحام ويريد تغيير ملابسه!

لكن حضرة الورقة العليا لم تصدقني، وقالت:-

"قل لي الحقيقة: ما هو الموضوع؟ لماذا أنتم خائفين بهذا الدرجة؟"

حاولت إخفاء الامر، لكنها طالبتني بلطف، وأشارت: "إن الصمت سيتسبب بخوف جميع أهل البيت". فلم أجد بداً من قول الحقيقة. واقترحت على حضرتها اخفاء الموضوع عن حضرة بهاءالله حتى يتم تناول عشاءه. فلم توافق على اقتراحي، وعلقت قائلة: "هذه ليست أول مرة يحصل فيها هذا. فقد سفك آلاف الاحباء دمائهم في سبيل الجمال المبارك".

اما بالنسبة للحاج جعفر، فقد وضعوا بعض القطن على جرحه منتظرين وصول الطبيب، وطلب منه حضرة عبدالبهاء الهدوء وضرورة التعاون مع الطبيب عند وصوله، ووعده بمرافقة حضرة بهاءالله في نفيه.

الا انه لم يكن راغبا بتضميد جرحه، وبقي يردد: "حياتي لا تساوي شيئا بعيدا عن محبوبي...".

وهنا.. وفي هذه اللحظة.. اذا بالحاضرين يتراجعون بهدوء الى جوانب الغرفة ويسود المكان الصمت المطبق والهدوء التام. فقد شرّف حضرة بهاءالله الغرفة وتقدم الى جانب الحاج جعفر بكل جلال وكمال وعظمة وأخذ بيديه المباركتين رأس الحاج، وأكد له على مرافقته الى مكانه الجديد. وطلب منه البقاء في ادرنة حتى الشفاء التام ثم اللحاق به.

فلم يتحرك من مكانه أحد ولم يسمع للحاضرين صوت، الا بعد ان غادر حضرته الغرفة.

عندما جاء الجراح، شرع بعمله على الفور. لكن الجرح كان كبيرا لا يلتئم بسهولة، وبقي الطبيب يكرر عمله مرة بعد أخرى حتى أتم عمله.

أما الحاج جعفر فكان ساكنا هادئا لا يتحرك، وتحمل الألم بشكل عجيب، حتى ان معالم وجهه لم يكن يبدو عليها شيء من التأثر!

***

السيد جعفر

السيد جعفر يزدي عالم دين محترم جدا من قبل كل أهالي يزد. اعتنق الأمر المبارك خلال زيارة العالم الشهير وحيد الى المدينة لتبليغ الامر البابي. بعد فترة، علت موجة من الاضطهادات، أجبرت وحيد وسيد جعفر وبعض المؤمنين على ترك المدينة والذهاب الى نيريز في مقاطعة فارس.

ولأن السيد جعفر يتمتع بمكانة محترمة ويملك حماسة عالية، راح يبلغ الناس علنا في نيريز تحت اشراف جناب وحيد. وخلال وقت قصير، انضم تحت لواء الأمر عدد كبير من الناس. فأشعلت هذه الفعاليات نار عداء الحكومة ورجال الدين معا. وحدثت نتيجة لذلك، مذبحة عظيمة جرفت معها العديد من المؤمنين ومن ضمنهم وحيد نفسه.

كان المحرض الاول لهذه الاحداث، هو زين العابدين خان حاكم نيريز الذي أمسك ببعض من نجوا من القتل لتعذيبهم حتى الموت لاسباب مختلفة، وكان من بينهم السيد جعفر الذي اعتبره الحاكم مسؤولا بشكل مباشر عن ايمان الناس بالدين الجديد بسبب علمه ونفوذه. وسجل المؤرخ البهائي الشهير نبيل أعظم (نبيل زرندي) ما يلي عن حبس السيد جعفر:

كان الحاكم قبل ذلك، يحترم السيد جعفر ويقدمه على نفسه بشكل واضح لما له من مكانة ونفوذ كبيرين بين الناس. أما الآن، فقد أمر بخلع عمامته - رمز نسبه الرفيع - ورميها في النار، واظهاره امام العامة حاسر الرأس ليمطروه بالسباب ويسخروا منه.

استمرت مذبحة نيريز بضعة شهور، فكانت سببا لنشر الفقر والمجاعة بين الناس وخصوصا الفقراء منهم، ومما زاد في حجم الفاجعة واختفاء مصادر الغذاء وشحة المواد التموينية، مشاركة

قوات الحكومة في هذه المذبحة. واستمرت هذه الازمة حتى بعد المذبحة وانسحاب الجيش، مما اتاح للحاكم استغلال هذه الفرصة، حيث قام بتخزين كميات كبيرة من القمح لبيعها للناس باسعار باهضة. وعندما أصبح الوضع قاسيا ولم يعد يقوى أحد على شراء قوت يومه، وافق الحاكم على توزيع الحنطة بينهم بأسعار زهيدة. وكان يجلب السيد جعفر من زنزانته ويوقفه أمام بوابة المخزن وقت توزيع الحصص، ويشترط على كل من يريد أستلام حصته، البصق في وجه السيد جعفر أولا، ومن لا يفعل، يحرم من حصته. فيقف بطل الأمر الالهي هذا، على باب المخزن يتلقى بصاق مئات الرجال والنساء على وجهه وهم يمرون بتلك البوابة وينظرون اليه بحقد وكراهية.

لم يشعر آقا سيد جعفر بالقرف او التذمر او السخط أمام هذا الاحتقار الشديد، بل العكس، بقي هادئا ساكنا في مصيبته وأظهر روحا مرحة عالية ومحبة وشكر تجاه كل من أهانه.

وكما سجل تاريخيا ورسميا، لاحظ السيد جعفر ذات مرة وهو واقف في محنته، ان عددا من الناس يترددون في التقدم لأخذ حصتهم، فكان يناديهم بوجه ملائكي مرح، ويقول: "من الأفضل لكم التقدم وأخذ حصتكم قبل فوات الاوان، فليس مهما ان تبصقوا في وجهي، لأني سوف أمسحها بمنديلي فيما بعد".

من الوارد جدا، انه عند وقوفه بجانب بوابة المخزن والناس يمرون به ويفعلون به ما يفعلون، أن عاد بأفكاره الى تلك الايام الجميلة في يزد، عندما كان يقف كل يوم جمعة على المنبر لإلقاء خطبته ويتلقى من الحاضرين التقدير والاحترام. يا لهذا التناقض الحاصل الآن! انه يقف بسعادة تامة امام كل هذا الاحتقار، لأن مولاه أنزل على عيونه رؤيا رائعة لحياة جديدة منحته تاج المجد

الخالد. والقلة القليلة من الناس من كانت تتسائل: "لماذا لا تطغى وتغطي هذه الاضطهادات المرّة شعاع سعادته السماوية".

ان هذه المعاملة الوحشية لم تكن الا بداية مصيبة أقا سيد جعفر ورفاقه. فقد أمر الحاكم الظالم بأخذه من سجنه كل يوم ليضرب بكل شدة بالفلقة أمام بيت أحد المواطنين ممن يختارهم الحاكم حتى يرق قلب صاحب البيت أو أحد المارة عليه ويدفع بعض المال كفدية لوقف الضرب وإنقاذه بصورة مؤقتة. ثم ينقل في اليوم التالي الى مكان آخر في شارع آخر، وهكذا... وكنتيجة لهذا العذاب اليومي أدميت وتورمت وتقرحت قدماه ولم تعودا تقويان على حمله.

كان مصير صاحبه الحاج محمد تقي أكثر فداحة منه، ففي كل يوم كان يؤخذ الى مقر الحاكم لتخلع عنه ملابسه ويعرّى، ثم يغطس في حوض ماء، يسحب بعدها ليقف وسط مجموعة من الرجال ليضربونه بالعصي بكل قوتهم. وكانت الاوامر تقضي بأن لا يترك حتى يتحول الماء على جسده الى دم قاني. فأي وحشية هذه!؟

وعلى كل حال، فإن يد القدرة الالهية التي تركت هؤلاء الرجال الرائعين في هذه المحنة، أمست على وشك الأخذ بأيديهم. فقد عاشوا حتى شملتهم العناية الالهية، وذلك بتكحيل عيونهم بالنظر الى جمال حضرة بهاءالله.

وبسبب منام رأته زوجة الحاكم، حاولت تدبّر اطلاق سراحهم. وتقدمت من زوجها تطلب اطلاق سراح هؤلاء الضحايا الأبرياء، لكن تدخلها فشل ولم يثمر بنتيجة. بل وبّخها زوجها على رقتها وشفقتها. فلم يخيفها سوء تصرف زوجها، وقررت العمل بسرية لتنفيذ خطتها. وبدعم وتدبير بعض الاشخاص الموثوق بهم، نفذت خطتها بغاية السرية.

وفي ذات ليلة ترك أحدهم باب السجن مفتوحا ووضع جسدي الحاج محمد تقي وأقا سيد جعفر على ظهر حمارين وسلما الى صاحب قافلة مع أوامر واضحة بحملهما بغاية السرعة الى قرية هرات البعيدة عن متناول يد حاكم نيريز الظالم.

في النهاية، وصل هذين الجسدين المتهالكين الى هرات. وكان منظرهما مثيرا للحزن، أيقظ احساس وعطف رئيس القرية، فاستقبلهما بمعاملة حسنة جدا. وبقيا هناك عدة أشهر حتى شفيت جروحهما الرهيبة. بعدها سافرا الى يزد. وعندما علم الاحباء بنفي حضرة بهاءالله الى العراق، مشى الحاج محمد تقي على قدميه الى بغداد مسافة ألف وخمسمائة كيلومتر ليتشرف بحضرة بهاءالله ويتلقى بركاته. فأنزل له لوح الصبر الشهير بإسمه.

ثم لحقه الحاج سيد جعفر، ولم تكل او تفشل قدماه التي لاقت كل ذلك العذاب في حمله كل تلك المسافة الطويلة للدخول في محضر مولاه ونيل البركات.

***

الملا رضا

قصة حياة الملا رضا قصة جميلة مشوقة. فهو من عائلة معروفة. تعلّم في مدرسة دينية وسخر حياته كلها للتبليغ منذ اعتناقه الأمر المبارك الى آخر لحظة منها وهو في داخل سجن طهران. ويعتبر بطلا عظيما بحق، أيده الله في أيام الأمر الاولى لتبليغ واعلاء رسالته وأنعم عليه بسيف قوة المنطق الذي شق به ستائر الجهل والخرافات. ونتيجة لأعماله التبليغية العلنية الجسورة، كان معرّض على الدوام للمخاطر والآلام والمعاناة الشديدة، ولم يمر

عليه يوم دون أن يشرب من كأس المحن والبلايا وهو بغاية السعادة والرضا.

وينقل الأحباء عن حالته بشكل مؤكد، أنه عندما أدين في يزد بتهمة النشاط البهائي. أمر الحاكم بضربه فلقة أمام عامة الناس سبع مرات في سبعة تقاطعات لعدة شوارع في يوم واحد، وذلك ردعا للمواطنين من الايمان بالدين الجديد.

فكان الملا رضا يخلع عباءته وعمامته وجورابه ويضعهم على منديل يفرشه على الارض في كل مكان يقفون به. وبعد استلقاءه ووضع قدميه في عقدة حبل الفلقة، يغطي وجهه بطرف عباءته ويشير الى الجلاد بالشروع في عمله. ولم ينطق خلال كل تلك الجولات بكلمة تذمر واحدة، ولم يبد أية حركة تدل على تألمه.

ذات مرة، وأمام هدوءه غير العادي وسكونه في تحمل كل ذلك الجلد الوحشي، اعتقد المشاهدون انه قد مات. وعندما كشف الغطاء عن وجهه، وجدوه منشغلا بتنظيف أسنانه بكل هدوء!

يقول سيد أسد الله، وهو من ضمن الاحباء الذين اعتقلوا مع الملا رضا:- "كنا نتوسل اليه ونطالبه دائما بالاعتدال والتحفظ في كلامه وطريقة تبليغه، الا ان جميع توسلاتنا وطلباتنا لم تفلح في أي نفع أو فائدة، بل ظل متحمسا للتبليغ، ولم يغير طريقته. وبما ان الوضع كان يزداد سوءا يوما بعد يوم، والخطر يزداد أمامنا، والخوف يدفعنا للاعتقاد بحتمية وقوع مشكلة كبيرة جرّاء تصرفاته، قد تجلب الأسى والمعاناة للجميع.

قررنا اتخاذ عمل احترازي، فذهبنا الى السجان المسؤول وطلبنا منه ان يأمر الملا رضا بعدم تبليغ الأمر المبارك علنا، آملين تأثير كلمات السجان في تحقيق ذلك.

ولكن، ومع الأسف، أدركنا انه ليس هناك قوة في الارض تستطيع ثني هذا العجوز عن ارادته وتحديه في نشر أمر الله. ولا حتى كل تلك الالام المبرحة والمعاناة التي وقع فيها. لذا، فعندما رفض الانصياع لأمر السجان، أمر الأخير بانزال عقوبة بغاية القسوة عليه.

فأخذوه الى باحة السجن بكل وحشية. ورغم كبر سنه وتأثير حياة السجن الرديئة عليه، إلا أنه وقف راسخا ثابتا مثل صخرة صلبة وقت التنفيذ، ولم يتحرك او ينبس ببنت شفة او حتى بدت عليه علامات الألم، وبدا وكأنه فاقد للإحساس، وصدم جميع الاحباء واهتزوا لمنظر عقابه.

عند انتهاء عملية الجلد، أسرعت اليه أواسيه وأداوي جروحه. فإستغرب الملا رضا من تصرفي، وصرخ بصوت عال:- "يا سيد أسد الله.. هل تعتقد حقيقة إنني قد تألمت؟ انني في ساعة التنفيذ، شعرت وكأنني فيل ثمل، ولم أشعر بأدنى ألم. لقد كنت في محضر بهاءالله أتكلم معه ساعتها".

كان من بين السجناء الاغيار الذين شهدوا عملية الجلد المرعب، رجل يدعى غلام رضا خان. بعدما شاهد صلابة وثبات الملا رضا غير العاديتين، تحركت فيه رغبة البحث والتقصي عن الأمر المبارك. وفي النهاية، توّج بحثه بالايمان. وعندما أطلق سراحه، سأل الناس: "كيف أصبحت بهائيا". فقال: "لقد حصلت على نور ايماني من الجلد! فلو أنزلت أمامي مئات الآيات القرانية وألوف البراهين لإقناعي بحقيقة الأمر. ما كانت لتجدي معي نفعا كما فعل هدوء ذلك العجوز قوي القلب وهو تحت وطأة العذاب..".

أخيرا.. بقي الملا رضا داخل زنزانة السجن حتى توفي نتيجة اصراره على التبليغ العلني..

الحاج سيد جواد كربلائي

كان هذا الرجل من أتباع حضرة بهاءالله المشهورين ومن أوائل المؤمنين بالظهور البابي في العراق، قدّم خدمات جليلة لا تنسى للأمر المبارك. وكان واحدا من تلاميذ السيد كاظم الرشتي المشهورين، وقابل في شبابه الشيخ الشهير احمد الاحسائي مؤسس الفرقة الشيخية الاسلامية. كان معروفا بعلمه وحكمته وتقواه وعدله، متحفظا في كلامه دمث الاخلاق كريم الطبع، كسب ثقة الناس وودهم.

عرف حضرة الباب منذ أيام صباه وقبل سنوات من اعلانه لدعوته، وأعجب بأخلاقه العالية التي كانت بادية عليه بشكل واضح.

بعدها بعدة سنوات، ذهب سيد جواد الى بوشهر وعاش حوالي ستة شهور في نفس البناية التي كان حضرة الباب وخاله يمارسان عملهما داخلها. هناك انجذب له ودخل محضره عدة مرات. ولكن، لم يخطر في باله أبدا أن يكون المهدي المنتظر من غير رجال الدين أو من غير المتعلمين.

وفي حديث له مع الميرزا ابو الفضل العالم البهائي الشهير، ذكر الحاج جواد كربلائي الظروف المثيرة التي قادته للايمان بحضرة الباب في كربلاء، قال:-

في سنة 1844م، عاد الملا 'علي البسطامي' من شيراز الى كربلاء ينقل معه أخبار ظهور حضرة الباب ودخوله محضره المبارك مع عدد اخر من الاشخاص. فأثارت هذه الاخبار - التي انتشرت بسرعة - ضجة كبيرة بين رجال الدين الذين يثقون بالملا علي وبمقامه وحياته الشريفة. الا ان الملا علي لم يذكر غير صفة حضرة الباب فقط، ورفض الكشف عن شخصيته، واعتاد القول:

ان حضرة الباب قد ظهر وتشرف بعضنا بمحضره، الا ان حضرته منعنا في الوقت الحاضر من ذكر اسمه او الكشف عن شخصه او اسم عائلته. وعلى كل حال، فقريبا ستنتشر دعوته وسيكشف عن اسمه.

احدثت هذه الاخبار شعورا جميلا بين الناس في العراق، وكان ظهور حضرة الباب، هو الموضوع المتداول بين الجميع. وحاول الكل التنبؤ بشخصيته. لكنه، لم يتوقع أحد أبدا أن الميرزا علي محمد، هو حضرة الباب. ولم يخطر هذا الاحتمال على بال أي فرد، لأنه كان شابا وتاجرا، واعتقد الجميع وبدون استثناء، ان حضرته (باب حكمة الله) سيظهر من بين المتعلمين وليس من بين التجار او أصحاب الحرف. واعتقد اتباع الشيخية - على وجه الخصوص - انه لابد ان يكون من بين تلامذة السيد كاظم الممتازين.

يقول الحاج سيد جواد: "ذات يوم، دعوت الملا علي الى بيتي... وتكلمنا عن هذه الاحداث الجميلة، ورغم كل علاقة المحبة القوية والصداقة التي تربطنا، لم أستطع استخلاص اية اشارة منه لمعرفة شخصية حضرة الباب. وعندما يأست، أمسكت يده بقوة ممازحا ودفعته نحو الجدار أطالبه بالكشف عن شخصية ذلك الرجل الجليل. الا انه ذكر بهدوء، انه ممنوع من ذلك. وبينما نحن على هذه الحال، أشار الملا علي سهوا، أن حضرته طلب منه جمع كل رسائله التي كتبها سابقا الى سكان كربلاء ثم ارسالها الى شيراز. وحالا برزت في ذهني صورة ميرزا علي محمد، ورغم ان الفكرة غريبة، الا انني تساءلت: "هل يكون هو". لذلك اسرعت الى غرفتي أبحث عن بعض رسائله التي سبق وارسلها لي. وحالما وقع نظر الملا علي على صورة ختم حضرة الباب، انفجر باكيا.

فإنتابني شعور غريب، وبكيت معه. ووسط بكائه، راح يطالبني ويرجوني، ويقول: "انني لم اذكر اسمه. رجائي ان تبقي ذلك سرا".

لم يمض وقت طويل حتى كشف حضرة الباب عن مقامه في مدينة مكة، وانتشرت الاخبار بسرعة بين مسلمي العالم.

بعد هذه المقابلة سافر الحاج سيد جواد الى شيراز، ودخل محضر الباب كمؤمن، وكرس حياته لخدمة الأمر في كربلاء لاحقا. كما حدث ان تشرف بمقابلة حضرة بهاءالله في كربلاء لأول مرة سنة 1851م، وأدرك على الفور عظمته. الا انه لم يستطع معرفة مقدار بهاءه الا في وقت لاحق.

وهذا وصف كتبه بقلمه عن اول لقاء له مع حضرة بهاءالله:-

"كنت في كربلاء عندما وصلتني اخبار وصول حضرته اليها. وكان أول شخص نقل لي هذا الخبر، هو الحاج سيد محمد اصفهاني (عدو الديانة البهائية اللدود لاحقا). وقبل تشرفي بمحضره توقعته شابا من سلالة النبلاء يخلو من المعرفة او الحكمة لأنه ابن وزير. فذهبت لمقابلته مع بعض الاصدقاء. وكما هي العادة، لم يدخل اصدقائي الى البيت قبلي احتراما لكبر سني ومقامي بينهم. فدخلت أولا واحتللت مقعد الشرف في الاجتماع. وبعد تبادل التحية مع حضرته، التفت الى الحاضرين وسألهم عن المواضيع التي يتباحثها عادة تلاميذ السيد كاظم عند اجتماعاتهم. وهل يتناقشون، كما هو الحال بين بقية الرجال؟ وماذا سيفعلون لو أظهر الله نفسه وطوى كل علماء الدين والفلاسفة، ووضع نظاما جديدا من التعاليم وفتح صفحة جديدة من العلوم الالهية؟ فماذا سيكون موقفهم؟

تكلم حضرته بهذا الخصوص لبعض الوقت، ولم يمض وقت طويل حتى أدركنا نحن الموسومين برجال العلم والمعرفة، اننا

نعيش في أعماق الجهل. بينما يقف هو، الذي نعتبره شابا فقط وابن وزير على أعلى قمم العلم والمعرفة والحكمة.

بعد هذه المقابلة، رحت أجلس عند قدميه بغاية التواضع ولا أتكلم أبدا واستمع اليه باهتمام كبير للاستفادة من علمه ومعرفته كلما دخلت محضره. فأزعج تصرفي هذا، الحاج سيد محمد.

وذات مرة زجرني بقوله: لنفترض اننا جميعا موافقون ان جناب البهاء من نفس مستوانا. فلماذا تجلس انت صامتا وتظهر له كل هذا الخضوع والتواضع؟

طلبت من ‘صديقي’ ان لا يغضب مني، وقلت له: "لا يمكنني تحديد مقام له او اعتباره كفرد مثلنا (لا سمح الله). فأنا اعتبره شخصا فريدا ليس كمثله آخر".

عاد حضرة بهاءالله في أوائل سنة 1852م من كربلاء الى موطنه في ايران، وسجن بعدها بعدة شهور في سجن ‘سياه جال’ في طهران. وعندما اطلق سراحه من السجن ونفي الى العراق بعد عدة شهور، كان الحاج سيد جواد يسكن في كربلاء. وخلال اقامة حضرة بهاءالله في العراق لحوالي عشر سنوات، كان السيد جواد مؤمنا مخلصا أدرك بحق مقام حضرته قبل اعلان دعوته. وعندما نفي حضرته من استنبول، سافر الحاج جواد الى مختلف انحاء ايران لخدمة الأمر المبارك باخلاص كبير. وبقي مخلصا مؤمنا ثابتا حتى وفاته في مدينة كرمان سنة 1882م.

***

الحقـــد

آمن بالامر المبارك سنة 1871-1872م، رجل دين محترم اسمه "الملا نصير" من قرية تلخوجيا القريبة من اصفهان. ونتيجة لحماسته الكبيرة، نجح بتبليغ بعض أهل قريته وجذبهم الى الدين الجديد. فانتشرت اخبار ايمانه بين الناس وقاموا عليه، مما دفعه لهجر قريته والابتعاد عنها. فذهب الى اصفهان لبعض الوقت. وهناك، نجح بتبليغ عدد آخر من الناس وضمهم الى ظل الأمر المبارك. بوصول هذه الانباء الى المجتهد العنيف عدو الأمر اللدود الشيخ "محمد باقر" الملقب بـ "الذئب"، أصدر على الفور فتوى باعدامه.

في هذا الوقت كان الملا نصير يعمل أجيرا بسيطا في حمام عمومي داخل المدينة، فارتدى زي أهل المدينة وخلع عنه ملابس رجال الدين. ورغم البحث والتحري عنه وملاحقته، نجح في الخروج من اصفهان والعودة الى قريته، وراح يتنقل بين مدن اصفهان وشيراز وطهران ساعيا وراء لقمة العيش. الا انه اعتقل وهو في قريته وارسل مخفورا الى اصفهان ليرمى في السجن مكبلا بالاغلال.

وهناك، استدعاه الامير مسعود ميرزا (ظل السلطان) الى مكتبه وطالبه بالارتداد عن دينه، وعندما رفض، أصدر أمرا باعدامه، ونفذ في سنة 1877م.

حصل الاعدام في ساحة عامة كبيرة تدعى (ميدان الشاه)، فاجتمع عدد كبير من الناس للتفرج عليه. وفي ساحة الاعدام كرر الشهيد ممانعته الانكار مقابل اطلاق سراحه، فما كان من الجلاد الا ان قام بعمله وقطع رأسه.

عندها أمر الشيخ محمد باقر بتعليق جسده بالمقلوب على عمود عال فوق منصة الاعدام ليراه الجميع. ويبدو ان الحبل لم يتحمل ثقله، فانقطع وسقط جسد الشهيد من علوه على الارض.

فلم تمنع هذه الحادثة الشيخ من تكرار فعلته، وكرر أمره بتعليق الجسد ثانية، وأعلن بصوت عال للحاضرين، ان من يرمي الضحية بحجر، سيحجز له مكانا في الجنة بالتأكيد. فهرعت الجموع المجنونة للتنفيذ، وشوهد الرجال والنساء لمدة يومين وهم يقطعون مسافات طويلة في كل اتجاه بحثا عن الاحجار لتنفيذ مهمتهم، حتى يفوزوا بمقاعدهم المرجوة حسب وعد الشيخ. ولم يمنع هذا العمل الشاق حتى النساء الحوامل من المشاركة في هذه الجريمة المخزية، وشوهدن ببطونهن المنتفخة البارزة وهن يحملن مختلف انواع الاحجار للمساهمة في رجم جسد الشهيد.

استمر هذا العمل البربري لمدة يومين كاملين. ومن الصعب تصور شكل جسد الملا نصير بعد رجمه بكل تلك الكميات الهائلة من الاحجار. وعندما تركت جثته في الليل، أقدم بعض المهووسين الأشرار على اقتلاع عينيه وقطع اصابعه وجدع أنفه وشفتاه وأذنيه.

في صباح اليوم الثالث، وصل الشيخ محمد باقر الى المكان، فأمر وهو غير مكتف بكل ما جرى من أفعال وحشية دنيئة، بطرح الجسد على الارض ودهسه بحوافر حصان. فنفذ الأمر وراح الحصان يمر عليه ذهابا وايابا حتى تهشمت كل قطعة عظام فيه.

وزيادة في أعماله الوحشية، أمر بايقاد نار حامية ورمي ما تبقى من لحم جسد الملا نصير المهروس وعظامه المسحوقة في داخلها. وفي النهاية، جمعوا ما تركته النيران وصعب عليها التهامه، ورموها في بئر قديمة متروكة.

هكذا كان شهداء الأمر الأبطال يستقبلون المخاطر والبلايا من أجل ايمانهم بحضرة بهاءالله ودينه المبارك.

ملاحظة:

ترجمت جميع القصص الواردة في هذا الكتيب عن كتاب ظهور حضرة بهاءالله لجناب أديب طاهر زاده بأجزاءه الأربعة. أما عناوينها فوضعت بتصرف المترجم.

سيفي سيفي النعيمي